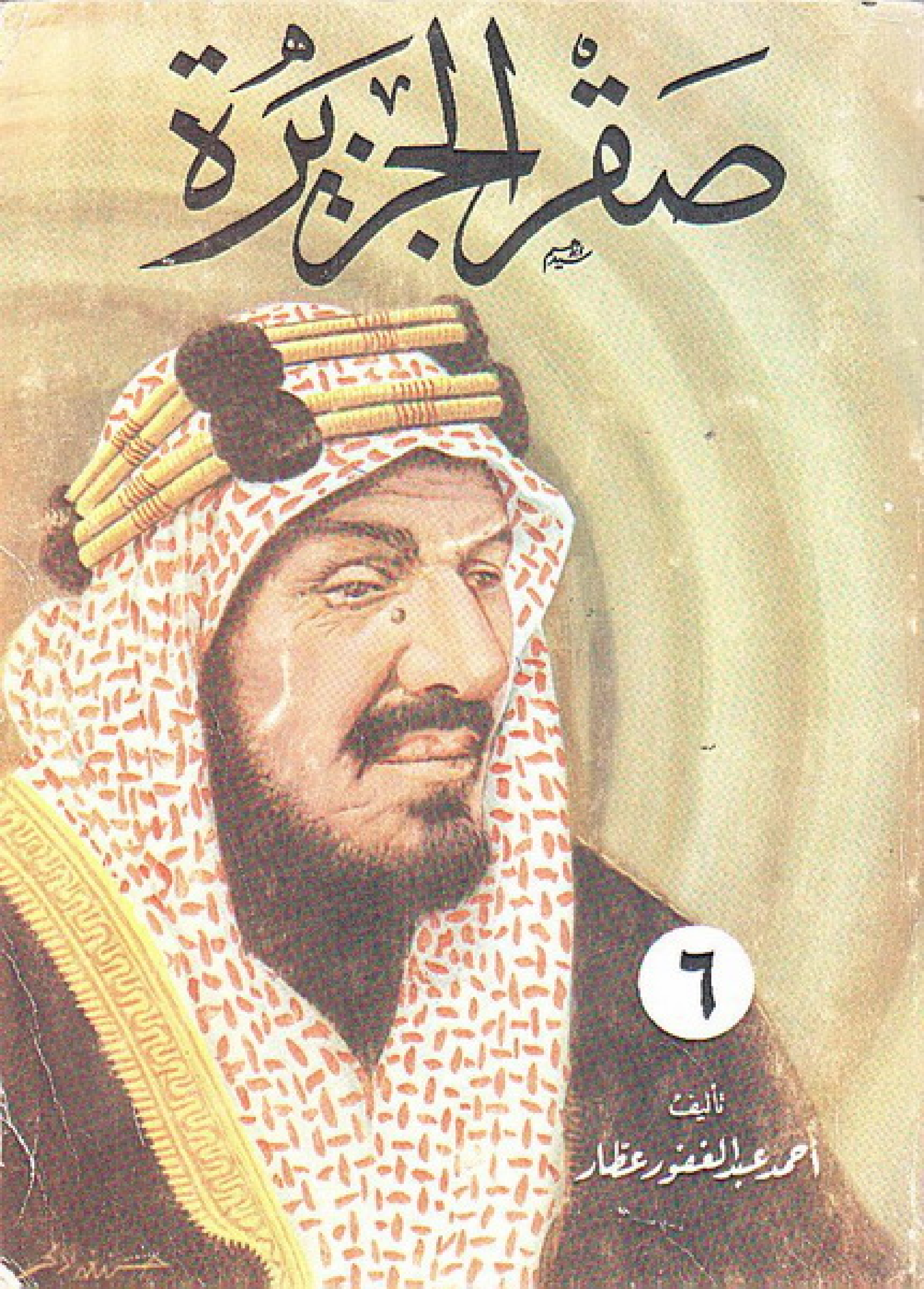

صقر الجزيرة
٦
تأليف
أحمد عبد الغفور عطار

صقر الجزيرة

أحمد عبد الغفور عطار



الجزء السادس

الطبعة الثالثة

١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

الطبعة الاولى

١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م

الطبعة الثانية

(طبعتان)

١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م

الطبعة الثالثة

١٥ شعبان ١٣٩٢ هـ

٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ م

ابن سعود والإمام

كان لدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب التي حملها آل سعود ودافعوا عنها ونشروها في جزيرة العرب نفوذ في اليمن وأتباع ، واختلف على اليمن حكام لم تصل ببعضهم مناوأة الدعوة إلى تجريد السيف ، ولما آل الحكم إلى الامام يحيى حميد الدين كان شديد الهلع من شيوع نفوذ المذهب الوهابي الذى شمل الجزيرة بعد استيلاء ابن سعود على نجد شمالها وجنوبها ، وعلى الأحساء ، والحجاز ، وعسير ، ونجران .

ولم يفت الامام يحيى أن الحكم السعودي يقوم على المذهب الوهابي الذى يراه الإمام وكثير من الحكام والعلماء وأرباب المذاهب خطرا على أنفسهم ونفوذهم ، ويرونه مذهبا باطلا في عمومه . فتقولوا عليه واتهموه بالخروج على الاسلام ، مع أنه في حقيقته الاسلام الحق المجرد من البدع والخرافات والوثنيات التي دخلته حتى أخفت جوهره النفيس .

والصراع في حقيقته بين الامام وابن سعود مذهبي وعقائدي وإن اتخذ الصبغة السياسية التي غلبت عليه ، فابن سعود قد انتشر نفوذه وسلطانه ، واتسعت رقعة ملكه ، وهذا الاتساع يهدد ممالك غيره من الحكام ، ومنهم يحيى حميد

الدين إمام اليمن ، فحري به أن يستعد للنفوذ السعودي الوهابي ، ويقضي عليه الاستعداد أن يوسع هو نفسه رقعة ملكه ، فانتهز فرصة ضعف الادارسة الحاكمين في عسير واختلافهم فيما بينهم فاقتطع مدنا وقرى وأجزاء من أراضيهم، ولم يشتبك مع ابن سعود في حرب أو خلاف يجر إلى حرب ، لأنه بطبيعته ميال إلى السلم ، ولأنه يتخذ الحرب بعد ختام السلم .

وحين أخذ الإمام يحتل الأراضي الإدريسية كان ابن سعود وصيا على الحكم الادريسي ، ثم كان صاحب الحق الأوحد ، لأن الحاكم الادريسي نزل له عن الحكم كله .

ومع هذا لم يتخذ ابن سعود الحرب وسيلة لحماية الأراضي الإدريسية التي أصبحت أراضي سعودية مثلها مثل أراضي نجد والاحساء والحجاز ، وآثر السلم رجاء أن تحل المفاوضات السلمية المشاكل التي أوجدها الإمام يحيى بأطماعه التوسعية .

ولا شك أن الحديدة واللحية وميدى وغيرها من المدن والقرى والأراضي التابعة لها هيّ من صميم اقليم الادريسي ، واحتلها الإمام بغير حق ، ولم يكتف بذلك بل استمر في انتزاع أراضي الادريسي الذى دخل في الحماية السعودية بموجب معاهدة مكة المكرمة التي انعقدت بين ابن سعود والحسن الادريسي في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ (٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦) .

ورأى ابن سعود أن الامام أسرف في انتزاع ما هو حق الادريسي فأعلمه بهذه المعاهدة ، وبعث إليه بصورة منها ، وطلب إليه الكف عن الزحف ، ورجا أن يرعاها ، لأن العدوان على أراضي عسير لم يعد عدوانا على الادريسي ، بل هو عدوان على ابن سعود .

وتجاهل الإمام المعاهدة ، ولم يرد على ابن سعود ، وان كان الخوف منه

منعه من الاستمرار في العدوان ، وتريث ليفكر فيما يجب أن يتخذ من خطط ، فهو غير راض عن دخول الإدريسي في الحماية السعودية ، وزاد من ضيق الإمام وسخطه أن الإدارة الإدريسية لم يصبح لها وجود بعد حلول الإدارة السعودية ، لأن الادريسي قد نزل عن السلطة لابن سعود نزولا تاما ، وانتقلت كل مقاليد السلطة والحكم والادارة إلى يد ابن سعود .

وسبب سخط الإمام أنه يعد كل ما كان في جنوب الحجاز أرضا يمنية هو صاحبها الشرعي الذى يجب ألا ينازع في حقه ، وهذا فهم خاطيء لا يعزب عن الإمام ، ولكن طمعه في التوسع يحمله عليه .

ومن المصطلحات والمفاهيم الشائعة أن شمال الحجاز يسمى شاما ، وجنوبه يسمى يمنا وهو من صميم أرض الحجاز ، وفي وسع الامام أن يعتبر كل ما كان جنوب مكة المكرمة حرسها الله يمنا ، وأهل مكة يؤيدونه ، لأنهم يذكرون ذلك في حجج منازلهم وأراضيهم التى يملكونها .

وتشبث الامام بهذا المفهوم الخاطيء لا يدل على سذاجته ، فما كان قط ساذجا بل هو عالم وداهية ، إلا أن مطامعه تدفعه إلى التشبث بذلك المفهوم .

ولم يعد في طوقه أن ينفذ مطامعه في عسير التى دخلت في ممتلكات ابن سعود الا اذا أراد أن يقامر بمملكته المتوكلية ، وهو لا يجهل قوة ابن سعود التى يملك طاقة بشرية هائلة وقوة حربية ضارية لا يملكها حاكم عربي على الإطلاق .

ومع كل ذلك لم يرد ابن سعود أن يكون بينه وبين جاره الإمام يحيى خلاف قد يؤدى إلى عواقب وخيمة ، فأراد أن تربطهما الأخوة الصحيحة ، وكتب إليه يرجوه أن يوافق على ما فيه صلاحهما وصلاح مملكتيهما ، وبنى كتابه على المطالب الآتية :

أولا — تحديد الحدود .

ثانيا – إقامة علاقات سياسية .

ثالثا – عقد معاهدة صداقة وحسن جوار .

رابعا – عقد معاهدة دفاع مشترك .

وكل هذه المطالب عادلة ونافعة للجانبين ، وبخاصة المطلب الرابع ؛ لأن مطامع بعض الدول الغربية في الجزيرة العربية واضحة ، وها هو ذا النفوذ الايطالي قد تسلل إلى اليمن ، وفي ذلك تهديد للحجاز ولأقطار جزيرة العرب ، والحق ، ألا يسمى تسللا ، لأن الإمام هو الذي جعل لإيطاليا هذا النفوذ .

ولم يشأ الامام أن يجيب ابن سعود ويرد عليه رغبته الطيبة ، ولديه من الوسائل ما يستطيع – كما ظن – أن يخدع به ابن سعود ، وهو – حقا – يستطيع إلى خدعه سبيلا ، لأن ابن سعود كريم ، والكريم يخدع كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حق كله ، ولكن الخداع منته إلى الفضوح .

وعلى أي حال قبل الامام يحيى أو تظاهر بالقبول دون أن يلزم به نفسه ، وان كان وعد وعدا لا يوفى ، فاضطر ابن سعود إلى أن يكتب إليه يعلمه أن وفدا يمثله سيزور صنعاء ، وفوجىء الامام بشخوص الوفد إليه ، ووصل صنعاء في يوم ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٦ وكان قوامه تركي بن ماضي ، وعبد الوهاب أبا ملحة ، وسعيد بن مشيط .

واستقبل الامام الوفد بحفاوة ، وألف وفدا يمثله للمفاوضة ، وبعد مباحثات لا جدوى منها أخفق الوفدان في الوصول إلى نتيجة مرضية ، لأن الوفد اليمني كان يتنكب كل السبل المفضية إلى الاتفاق والتفاهم ، فاذا قال الوفد السعودي : أبيض ، رد الوفد اليمني بقوله : أسود .

وتأكد الوفد السعودي من أن الإمام يحيى غير راغب في صلات المودة مع ابن سعود ، ولم يرد وفد اليمن بحث المطالب الأربعة ، فاضطر الوفد السعودي

إلى العودة إلى وطنه بعد أن اجتمع بوفد اليمن خمسة عشر اجتماعا لم تثمر غير الإخفاق الشنيع .

غير أن ابن سعود لم ييأس . فهو حريص على رضا الإمام ولو كان على حساب حقه ونفسه . فكتب إليه يرجوه أن يقبل عرضه الذى يراد منه الخير لهما ، ويبدى للامام استعداده لقبول ما يطلب . ولكنه لم يجب .

وليس فى ابن سعود الغباوة وإن كان يتغابى ، وما به رغبة فى شر يصدر منه نحو أحد . بل لا يتخذه وسيلة للحصول على غاية شريفة . لأن الغايـــة الشريفة في مفهومه الاسلامي الصحيح يجب أن تكون الوسيلة إليها شريفة أيضاً . وهو حرب على الفكرة القائلة : إن الغاية تسوغ الوسيلة . ولا يرى الاستمرار في الخير ونشدانه ذلا أو انكسارا ، فبعث الى الامام وفدا جديدا وصل صنعاء فى أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٤٧ .

وفى الوقت الذى وصل وفد ابن سعود إلى صنعاء كان الإمام مشغولا بتدبير خطة تمكنه من احتلال بعض المواقع الهامة في عسير ، ورأى أن وجود وفد ابن سعود فى صنعاء لا يتفق مع خطته التى يخشى افتضاحها ، فاختار وفدا من بعض رجاله الأذكياء ليفاوضوا الوفد السعودي ، وبدا من أول اجتماع أن الطريق مغلق ، ولا أمل فى الوصول إلى نتيجة ، ولكن الإمام لا يريد أن ينقل الى ابن سعود من قبل وفده الا أمل . فدفع الامام دهاؤه إلى أن يصحب وفد ابن سعود بوفد منه إلى مكة المكرمة حيث يجرى بها البحث والتفاوض .

وكان الامام حريصاً على أن يغادر الوفدان صنعاء إلى مكة في أسرع مـــا يمكن من الوقت . لأن خطته قد نضجت ، وكثرة النضج تؤدى الى الفساد . فغادر الوفدان صنعاء إلى مكة ، وبينا هما في البحث والتفاوض علم ابن سعود أن الجيش اليمنى قد انتهى الى « جبل العرو » بتهامة من مملكة ابن سعود ، وأن اليمنيين قد أخذوا من السكان رهائن لاخضاعهم للحكومة اليمنية ، كما أن

اليمنيين اتصلوا برؤساء القبائل ليخلعوا بيعة ابن سعود ويدخلوا في طاعة إمام اليمن ، وأعلم ابن سعود وفده بهذه الحوادث التي تعد عدوانا سافرا من اليمن على الحق السعودي،وأرسل برقية الى الامام يحيي يستنكر فيها ما حدث بجبل العرو ومنطقته ، ويطلب إليه وضع حد سريع لهذه الأحداث التي قد ينجم عنها الضرر البالغ .

وسياسة الامام في مثل هذه الظروف والأحداث تقوم على التسويف والمطال والمكر ، فأبرق إلى وفده بالتفاوض في المشاكل الجديدة ، وهو وأعضاء وفده يفهمون خطة التفاوض ، فاجتمع الوفدان بمكة المكرمة في يوم ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ وطال بينهما الأخذ والرد وانتهيا بهما إلى المزيد من الخلاف والاختلاف والتناقض ، وأعلم كل وفد مرجعه .

والامام يحيي يعرف أنه لن يغلب ابن سعود الا بسيف الحياء فأبرق إليه برقية رقيقة يكل إليه أن يحكم بما يرى في جبال العرو ، ويذكر له فيها أنه راض بحكمه رضا تاماً مهما كان الحكم ، وإن حكمه حكم قاطع لا اعتراض له عليه ومقبول منه أتم القبول،فأجابه ابن سعود ببرقية يعلن له فيها أنه نزل له عن كل حقه في جبل العرو وصار حقاً من حقوقه ، ويرجوه أن يأمر وفده بما يراه ضامنا للاتفاق .

وكسب الامام الجولة على ابن سعود ، وانتزع منه بسيف الحياء حقه ، وأمر وفده بالاتفاق ، إذ حقق مأمله .

وهذه الحادثة وحدها كافية في الدلالة على نفسية ابن سعود وشخصيته وسياسته ، فهو لا يريد المشاكل والخلافات ، وكل همجيراه السلام والصفاء والمودة مع الجيران والأباعد الأقارب على السواء . وإذا كان قد نزل عن حقه وحق شعبه للامام رغبة في حسن الجوار والمودة فانه أصحب نزوله بأمر

أصدره الى وفده بأن يتساهل مع وفد اليمن للوصول إلى اتفاق يحقق رغبته في الخير ، والبعد عن الشر كله .

واجتمع الوفدان ، وطال الاجتماع ، وتعددت الجلسات وكثرت حتى انتهيا بعد زمن طويل إلى اتفاق تم بينهما في ١٤ شعبان ١٣٥٠ .

وكان الوفد السعودي مؤلفا من عبدالله بن محمد بن معمر ، وفهد بن زعير ، وعبد الوهاب بن محمد أبي ملحة ، ومحمد بن دايم ، ومحمد العيدلي ، ومحمد بن علي الحازمي ، والوفد اليمني مؤلفا من القاضي عبدالله بن أحمد العرشي ، وأبي طالب بن محمد محجب ، وسمار بن عبدالله بن علي مناع .

وتم توقيع الاتفاق من الجانبين في يوم السبت ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ (٢٦ ديسمبر ١٩٣٢) وكان هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حسب الاوامر الصادرة من سيادة الامام يحيى بن محمد حميد الدين وجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، قد اجتمعنا نحن من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه .

المادة الاولى — يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم ادخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر .

المادة الثانية — يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين بعد هذه الاتفاقية كل حكومة عند كل حكومة له .

المادة الثالثة — يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الاخرى في بلادها في جميع الحقوق طبقاً للاحكام الشرعية .

المادة الرابعة — يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الاخرى في كل الحقوق الشرعية . فما أشكل ولم ينهه الامراء والعمال فمرجعه الى الملك والامام .

المادة الخامسة — على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وارجاعه الى دولته حالاً .

المادة السادسة — اذا حدث من أحد رعايا الحكومتين حدث في بلادالاخرى فعلى المحدث أن يحاكم في محاكم البلاد التي وقع فيها الحادث .

المادة السابعة — يمنع الامراء والعمال من التدخل في الرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين .

المادة الثامنة — ان كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذا الاتفاق وتطلبه حكومته فانه يساق الى حكومته حالاً .

هذا ما حصل عليه التراضي بين المندوبين من طرف سيادة الامام ومندوبي جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . على أن يكون العمل بهذه المواد الثماني بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها .

وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق نسخة بتاريخ اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥٠ .

وتسلم الإمام نسخة الاتفاق ، فأرسل إلى ابن سعود برقية يعلمه فيها بذلك ، وأنه موافق على كل ما جاء به ؛ ويقول له في نهايتها : « أرجو من الأخ أن يعلمني بموافقته لتبليغ الموظفين على أطراف الحدود بتنفيذه اعتبارامن وصول الخبر بالتصديق » .

وأجابه ابن سعود ببرقية في يوم ١٥ رمضان ١٣٥٠ يذكر له فيها أنه

موافق على الاتفاق ومؤيده ، ويقول له : « إنه لدينا مرعي من قبل ومن بعد إن شاء الله لا نتزحزح عن ذلك ، وإنا بكل صورة تحت عقد الوفاق والاتحاد ، وقد كانت مراجعه بيننا وبين مندوبي حضرتكم الواصلين إلينا ، وثمة متفرعات ملحوظة ، فإن تفضلتم بإرسال أولئك المندوبين مع توسيع خطتهم فلكم الفضل » .

وأخلص ابن سعود للامام ظاهرا وباطنا ، ولم يكن الامام كذلك ، بل كان يتربص بابن سعود الدوائر ، وكان في بلاده نشاط معاد له ، ولكن لم يكن الامام ظاهر التأييد لهذا النشاط فإن أرضه كانت مباءته ، وكان ابنه أحمد يرعى الحركة المعادية ويتعهد بعض أسبابها الناجحة كما مر فى الفصل الذى سبق بعنوان « الادريسي يثور » وكان ابن سعود على علم بالنشاط المعادى .

وقد كشفت ثورة ابن رفادة في الشمال عن حقائق لا يرقى إليها الشك فى اتخاذ الأراضى اليمنية مركزا لنشاط حزب الأحرار الحجازي الذى يموله الشريف عبدالله بن الحسين حاكم الأردن .

ولم يغب عن ابن سعود أن غلياناً فى الخفاء يقع فى منطقة الادارسة ، وسينفجر عن ثورة جامحة أشد من ثورة الشمال التى مثلها ابن رفادة ، وتأكد لديه أن قوى خفية تعمل من أجل تفجير هذه الثورة التى يتم الإعداد لها وتغذيتها عن طريق اليمن ، وإن أعداءه يختلفون إلى اليمن ويجعلونها معبراً إلى منطقة الادارسة التى قرر أن تنفجر الثورة منها ، ومن الموانىء اليمنية يتم نقل التموين والأسلحة والأموال .

وإذا كان حسن نية ابن سعود يحمله على ألا يشك فى الامام بعد أن أعطى موثقاً على نفسه فان من الثابت لديه اتخاذ الأراضى اليمنية مراكز للنشاط الذى يعاديه ، ورأى أن يكتب رسالة لأخيه الامام جاء فيها :

« ثم إنه لا بد قد بلغ سيادة الأخ ما كان من أمر تلك الفتنة الباغية التي أثارها أعداء الاسلام والعرب في أطراف حدودنا الشمالية مما يوالي العقبة ، والتي لقبوها بحركة ابن رفاده ، ولم يكن لهم مقصد في ذلك غير افساد الامن في بلد الله الحرام ، وفتح السبيل الى غير المسلمين لنوال مآربهم واغراضهم من الاسلام والمسلمين .

« وقد أراد الله وأحاط جند المسلمين بأهل الفتنة الباغية حتى استأصلوهم عن آخرهم ، وطهروا البلاد من افسادهم فلله الحمد والمنة .

ولقد كان من محركي تلك الفتنة والعاملين فيها أفراد مجرمون بلغنا انهم وصلوا الى بلاد الأخ ، فأرجو قطعاً لدابر الافساد في بلاد العرب وانفاذاً للعهد الذي كان بيننا وبين الأخ مؤخراً أن يأمر بالقاء القبض على الموجودين منهم في بلاده » .

وأجابه الامام برسالة نفى فيها أن يكون أحد من محركي الفتنة في اليمن ، وسكت ابن سعود وهو واثق أن منهم باليمن أفرادا ، واحتـاط لنفسه منهم .

وبعد بضعة شهور من ثورة ابن رفادة ثار الادريسي على ابن سعود في شهر رجب ١٣٥١ وانتهى أمره بالهرب إلى اليمن مستجيرا بالامام يحيى فأجاره وحماه كما أجار كل آل الإدريسي ومن فروا معهم .

ولا لوم على الامام في إجارته ، ولكن وجود الأدارسة على مقربة مـن بلادهم التي خضعت سلما وحربا لابن سعود خطر على الأمن ، وقد يستغلهم الإمام في اشعال نار فتن جديدة ، وقد ثبت بالوثائق التي عثر عليها الجيش السعودي في بعض أوراق الثائرين أن اليمن كانت مركزا لنشاطهم وتموينهم ، ورسالة السيد حسين الدباغ التي كتبها من «الحجر» للشريف شاكر بن زيد رئيس

دائرة العشائر بشرق الأردن بتاريخ ١٣ شوال ١٣٥٠ تثبت اشتراك اليمن في ثورة الادريسي [١] .

وقبيل هذه الثورة بأيام بعث ابن سعود رسولا خاصا منه الى الامام يحمل رسالة اليه ، ووصل صنعاء يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١ وفى الرسالة مقترحات اقترحها .

ولم يسرع الامام الى رد الجواب ، لأنه كان على علم بأن ثورة فى الجنوب ستشتعل ، ولعلها تنجح وتحرر كل بلاد عسير من ابن سعود ، وعندئذ لا تكون الحاجة إلى مقترحات ابن سعود ، وانتظر قيام الثورة ، وقامت فعلا ، ولكنها انتهت بالاخفاق الشنيع ، وازداد سلطان ابن سعود ثباتا وانتشارا ، وبعد اخفاقها بأسابيع أجاب الامام ابن سعود على مقترحاته التى أجملها ابن سعود فى هذه المواد :

١ — تثبيت الحدود بين البلدين بشكل واضح لا يحتمل الشك والتأويل .

٢ — الاتفاق على التساند والتعاضد فى سائر المواقف العدوانية التى تكون علينا وعليكم سواء من الداخل أو الخارج ؛ وذلك على شروط وأساسات بينة وفى حالات معينة .

٣ — تحديد موقف وصلات امراء حدودنا وحدودكم وصلاحيتهم فى المخابرات ومساعدة بعضهم بعضاً فى الامور التى هي من صلاحياتهم ويكون الرجوع الينا واليكم فيما فوق ذلك من الاعمال .

٤ — يسرى هذا التعاقد بيننا وبينكم وتتعهد عليه نحن واياكم على أنفسنا وأنفسكم ، وبلادنا وبلادكم ، وورثاتنا وورثاتكم ؛ ويصبح أمرنا واحدا

---

(١) راجع فصل « ثورة ابن رفادة » .

وكلمتنا واحدة وعائلتينا كأنهما عائلة واحدة » .

كان تاريخ هذه المقترحات يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١ ولكن الامام لم يجب عليها إلا فى ٧ رمضان سنة ١٣٥١ وذلك بعد أن قام الإدريسي بثورته التى انتهت بهزيمته وفراره إلى اليمن . وانتصار ابن سعود ذلك الانتصار المبين ، فاضطر الامام الى الجواب ، وجاء فيه :

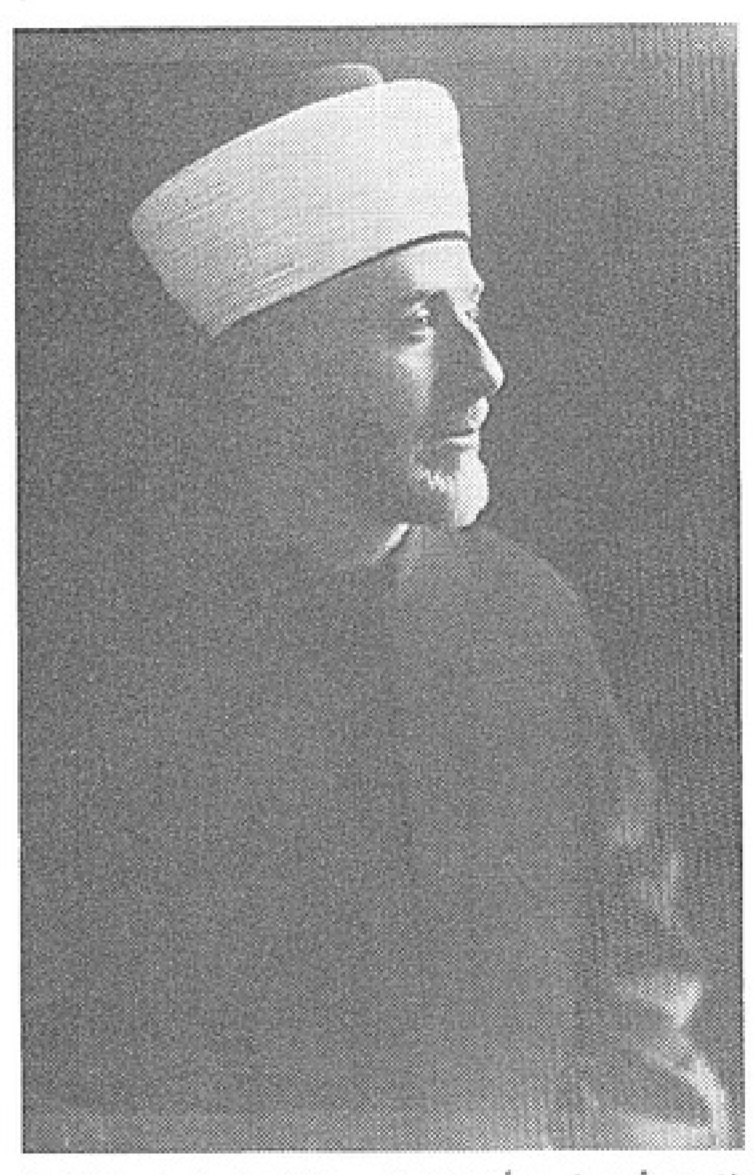
« ونحن نوافق على ما أوضحتموه من المواد الاربع مع الحاق ما يلزم ، انما الذى فى النفس هو مسألة الحدود فهي المفتقرة الى حسن النظر . فالمرجو عطف النظر الى ذلك . والتفضل بارسال من تثقون به » .

والحق ، أن الامام يحيى — غفر الله — كان فى سياسته مع ابن سعود متلونا مخادعا مماطلا ، يعطيه فى الظاهر ما يرضيه من القول دون العمل ، ويضمر له السوء .

فهو يقبل أن يأتيه وفد ابن سعود للمفاوضة ، ولكنه يمكر به ، ويبدد له وقته بما لا ينتهى إلى نتيجة ، وكان ابن سعود يتغابى ، ويرجو مخلصا أن تكون بينهما أخوة صادقة ، ولم يكن ابن سعود طامعاً فى اليمن أو فى جزء منها ، أما الامام فكان شديد الطمع كثير الحسد لابن سعود الذى آثر الحسنى والخير فى تعامله مع الإمام .

ولما تسلم ابن سعود جواب الامام ألف وفدا قوامه : الشيخ حمد السليمان وكيل وزارة المالية ، وتركي بن ماضى ، وخالد أبو الوليد القرقني ، ووصل صنعاء فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٢ .

وألف الامام يحيي وفده وكان مؤلفاً من القاضي عبدالله العمري ، وعبد الكريم المطهر .



الحاج محمد أمين الحسيني أحد زعماء العرب البارزين ، وقد توسط في الصلح
بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز



الإمام يحيى عاهل اليمن

وانعقدت الجلسة الأولى بين الوفدين في صباح يوم ٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ وبدأت بكلمة من حمد السليمان رئيس الوفد السعودي حيا فيها الامام أولا — ثم وفده، ورجا أن يثمر اجتماعهما الخير للملكين وللبلدين والشعبين، ثم عرض للبحث مقترحات ابن سعود التي سبق له إرسالها إلى الامام يحيى الذى وافق في جوابه لابن سعود على بحثها .

ولكن الوفد اليمني تجاهل تلك المقترحات . وقال القاضي العمري الذى كان رئيس وفد اليمن : إن تحديد الحدود أهم شيء يجب أن ننظر فيه وننتهي منه ، وبعد ذلك ننظر في بقية المسائل الأخرى .

وأجابه حمد السليمان إن تحديد الحدود يأتي بعد بحث مسائل يجب أن تسبقه فيكون النتيجة الطبيعية لمباحثاتهم .

وبعد جدل اشترك فيه أعضاء الوفدين دون نتيجة احتج الوفد السعودي بالاتفاقية المعقودة بين الحكومتين في ١٥ شعبان ١٣٥٠ ولكن الوفد اليمني رد على حجة السعوديين بأن تلك الاتفاقية لم تصدق من الجانبين ، فهي اتفاقية لم تصل إلى مرتبة التنفيذ ليكون الاحتجاج بها سليما ، فرد الوفد السعودي أن الاتفاقية مصدقة بوساطة البرقيات المتبادلة بين الامام وابن سعود .

وتبين للسعوديين من بدء الاجتماع أن الوفد اليمني متعنت ، وليس مقصده التقارب والوفاق ، بل يريد ضياع الوقت وشغله بمطالب لا حق لهم فيها ، ولكنهم صبروا وهم يعلمون أنه لا جدوى من المفاوضات والمباحثات .

وفوجيء السعوديون بمطلب غاية في الغرابة من الوفد اليمني ، فقد ألقى مسألة الاراضي التي كانت تشملها الامارة الادريسية لبحثها ، وطلب أن ترد إلى اليمن لأنها منها ، فالادارسة قد أقصوا عنها من قبل الجيش السعودي الذى احتلها بدون حق ، أما وأنه قد احتلها ولم يعد للأدارسة حكم قائم فان أراضيهم

جزء من اليمن ، وما دام الأمر كذلك فمن حق اليمن أن يعود اليه الجزء المقتطع منه ، والخاضع – الآن – للحكومة السعودية .

ورد السعوديون على الوفد اليمني بأن مجيئهم لم يكن لبحث هذه المسألة التي لا يمكن بحثها بأي حال من الأحوال ، فباب البحث فيها مغلق .

ودار نقاش تاريخي وجغرافي ، فلما أحرج الوفد اليمني طلب إنهاء هذا الاجتماع ليرجع الى الامام يحيى ، ويستطلعه رأيه وأمره ، وبعد ذلك سيعلم الوفد السعودي بموعد الاجتماع الجديد .

وبينا السعوديون ينتظرون موعد الاجتماع علموا أن السيد الحسن الادريسي المقيم في « ذهب حجر » القريب من الحدود السعودية يقوم بنشاط يؤدى إلى الإخلال بالأمن ، فكتبوا مذكرة بذلك للوفد اليمني ، ورجوا نقله إلى مكان آخر في وسط اليمن ، ليكون بعيداً عن الحدود السعودية .

وحدد موعد الاجتماع الثاني وحضره الجانبان ، فذكر السعوديون مسألة نجران بالاضافة الى مسألة إقامة السيد الحسن الادريسي ، وقال رئيس الوفد السعودي الشيخ حمد السليمان : إن القاضي عبدالله العمري أخبره قبل بدء المباحثات أن حكومة الإمام تقدمت إلى نجران وضبطت بعض المواقع فيها ، وجعلت بعض العلماء يعلمون الناس أمور دينهم ، ولما كانت نجران داخلة في حدودنا فإننا نطلب أن تعلمونا عن مقاصدكم من هذا التقدم في بلاد داخلة في الحدود السعودية ، ونرجو أن يكون الجواب بالتفصيل .

وفي جلسة أخرى قرأ رئيس الوفد اليمني مذكرة مكتوبة بخط الامام نفسه جاء فيها : إنه مستغرب من دعوى الوفد السعودي بأن نجران داخلة في حدود نجد ، وجاء في المذكرة أن بلاد « يام » لا يصح إهمالها ، ولا يجوز ترك أهلها

في جهلهم ، وما الضرر الذي ينجم من تعليمهم واصلاحهم ؟ أليس دين الاسلام يأمر بإرشاد الناس وتعليمهم ؟ .

وأما عن إقامة السيد الحسن الإدريسي فقد جاء في المذكرة : إن الملك عبد العزيز قد أعطاه الأمان واختيار مكان إقامته ، وما دام الملك قد منحه حرية الإقامة فلا وجه للاعتراض أو طلب تغيير مكان إقامته ، وبخاصة والإدريسي واقع تحت مراقبة حكومة اليمن .

وسألّ الوفد السعودي : أتعتبر حكومة اليمن اتفاق ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ نافذاً أم غير نافذ ؟ فأجاب وفد اليمن : إننا لا نرى هذا الاتفاق معاهدة تلزمنا ، ونعمل بالاتفاق حسب المصلحة ، ونحن أحرار ، لنا أن نرفضه عند ما نشاء ، أو نقبله عندما نريد .

وهذا جواب يقطع الطريق على كل بحث ، لأنه يدل على صلف وتجاهل لحقوق الاتفاقات ، تلك الحقوق التي تفرض الاحترام والالتزام بكل التبعات التي تنص عليها على الجانبين ، أما أن يدعي أحدهما أنه حر في الالتزام أو التحرر منه فذلك موقف يجبر الجانب الآخر على قطع المباحثات ، لأنها صارت غير مجدية ، فاضطر الوفد السعودي إلى إرسال مذكرة للوفد اليمني تذكر أنه لم يبق للوفد السعودي مجال للبحث بعدما وقع من الوفد اليمني ما وقع ، ويرجو السماح له بسرعة العودة إلى بلاده ، لأنه لا فائدة من الاقامة ، ولا سبيل لبحث المسائل التي جاء من أجلها بعد أن تكشفت له الأمور .

وأعلِم الامام بمذكرة الوفد السعودي فاستنكر طلبه المغادرة ، وأجابه بأنه « لا بد من الاتفاق قبل السفر » فرد الوفد السعودي على الامام في رسالة مطولة شكا فيها الأساليب التي اتخذت في المباحثات ، وختم الرسالة بأن الوفد مستعد للبقاء بشرط إجراء المباحثات على الأسس التي تضمنتها مقترحات الملك عبد العزيز ، تلك المقترحات التي وافق عليها الامام نفسه ، وبشرط أن يتم ذلك

خلال أسبوع ، وإلا فلا مناص من السفر .

وانقطعت أخبار الوفد السعودي عن ابن سعود ، وقلق عليه ، فأرسل إليه برقية يسأله فيها عن سبب الانقطاع ، فأجابه بأنه لم يقطع أخباره عنه ، وأنه يوالي ارسال البرقيات إلى جلالته ، وذكر في صراحة : ان القوم يؤخرونها كما يعتقد .

وغضب ابن سعود من معاملة وفده المعاملة الشاذة التي تأباها كل القوانين والأعراف ، وأرسل الى الامام برقية شديدة اللهجة في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ يبدي له فيها استغرابه من انقطاع أخبار وفده ، واستنكاره المعاملة السيئة التي يعامل بها ، وجاهره بسؤال خطير عن حقيقة مقاصده ، ويطلب إليه في إصرار أن يجيبه عنها ، ثم يطلب إليه « استنقاذ الوفد الذي ليس لإهانته موجب ، وليس لانقطاع أخباره موجب أيضاً » .

وفي اليوم الذي تسلم الامام يحيي برقية الملك عبد العزيز تسلم مذكرة من الوفد السعودي تحوي شكواه من التأخير والتسويف ، واحتجاجه على ما يلقى من المعاملة الشاذة ، وختمها بقوله : إن الموقف جد خطير وأعظم مما تتصورونه ، وبأنه مصمم على العودة إلى وطنه ، ولا يرغب في الإقامة .

ولا يعوز الإمام العذر ، فقد عزا تأخر برقيات الوفد السعودي إلى خلل باللاسلكي ، وذكر — أيضا — في جوابه للملك بأنه أجاز للوفد أن يسافر .

وعاد الوفد السعودي وهو يحمل أسوأ المشاعر ، وغضب ابن سعود ؛ ولكنه كبح جماح غضبه ، واستعد لجميع الاحتمالات المنتظرة عسكرياً وحربياً ، وأبرق للإمام بضرورة الإجابة على مقترحاته ، واستؤنفت المفاوضات بين الملكين عن طريق البرق ، ولكن موقف الإمام لم يتغير ؛ فهو يماطل ويناور ، وكلما ناشده ابن سعود السرعة طلب إليه الامام التأني ، وذكر له الحكمة القائلة : في العجلة الندامة ، وفي التأني السلامة .

ولم تخف على ابن سعود مقاصد الامام ومناوراته ، فهو قد احتل جزءا من نجران ، وأخذ يبسط نفوذه الأدبي في الاجزاء التي لم يستطع احتلالها ، مستغلا رضا ابن سعود بأن تكون نجران منطقة حياد بينهما ، وفوق هذا أخذ في تقوية مراكزه ومخافره ، وتزويد الحدود بقوات عسكرية .

وتلقاء ذلك رأى ابن سعود أن يستعد لئلا يؤخذ على غرة ، فتسامحه أغرى به الامام ، فلا بد من الحيطة والحذر والاستعداد لما سيستجد من الاحداث المرتقبة ؛ فأصدر أمره إلى قواته العسكرية بالتوجه إلى الحدود ، والمرابطة فيها ، وعين ابن شقيقه الأمير فيصل بن سعد قائداً عاماً لمنطقة الحدود .

والأمير فيصل بن سعد قائد ميمون النقيبة ، ومحارب شجاع ، وبطل مغوار ، وإلى جانب عبقريته الحربية والعسكرية يمتاز برجاحة العقل وسماحة النفس وحب السلم والأناة وعدم التسرع والحكمة وبعد النظر ، ولهذا اختاره ابن سعود للقيادة العامة لمنطقة معبأة للانفجار في أي وقت ، وهو ضامن — باذن الله — أن فيصل بن سعد سيبذل كل جهوده ليحول دون ذلك الانفجار ، وأنه لن يبدأ بقتال الا بعد أن تنفد كل وسائل السلم ،وبعد أن يتكرر العدوان.

والامام يحيى يعرف من يكون فيصل بن سعد ، فلما علم بتوليه القيادة العامة أدرك ما وراء ذلك من عزم ابن سعود على الدفاع عن رعاياه وعن حقوقهم إلى الحد الذي يقف الإمام عنده حده القوام ، فوضع في وجه الحدود ذلك القائد العظيم ، فأسرع الإمام بالإبراق إلى ابن سعود في يوم ٩ رجب سنة ١٣٥٢ يعلن له مودته ومحافظته على صداقته له ، ويستفهم منه عن سبب هذا الحشد مع حرصه على أخوته .

فرد عليه ابن سعود بحزم ، وذكر له في برقيته أن الغاية من حشد القوات السعودية المحافظة على السكينة ، وطمأنة الرعايا بعد أن حدثت أمور تدعو إلى الريبة .

وطلب إليه في برقيته أن يجيبه بسرعة ووضوح في مطالبه الثلاثة العادلة ، وهـي :

أولا — الاعتراف بالحدود وتثبيتها بمعاهدة .

ثانيا — تسليم الأدارسة .

ثالثا — حل مسألة نجران .

فاذا كان الامام راغبا في السلام فليبد رأيه بسرعة وبصراحة وإلا فان التسويف والمطال منتهيان الى التعقيد والمزيد من الخلاف . فاذا رغب الامام في الاتفاق وتم بينه وبين ابن سعود فيما يتبادلان من برقيات فإن عقد الاجتماع من أجل وضع معاهدة في مكان يعين فيما بعد سيعقب الاتفاق المنشود .

هذا ما جاء في برقية ابن سعود للإمام الذى رأى فيها احمرار عيني ابن سعود فأجابه في ٢٦ رجب ١٣٥٢ بأنه سعيد بتسلم برقيته ، ومستعد لإرسال وفد من قبله للعمل من أجل تحقيق السلام وحسن الجوار والمودة ، ويرجو منه السماح له بإرسال وفده .

وضاق ابن سعود بهذا الاسلوب الذى يتخذه الإمام فرد عليه رداً حازماً بأن تبادل الوفود بينهما فقد جدواه . فمنذ سنوات يتبادلان إرسال الوفود وما ثم أمل . والأمر — الآن — متعلق بهما وحدهما . ولا يمكن الوصول إلى حل الا بما يتفقان عليه . وإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور الذى لا تحمد لـه عاقبة .

ثم طلب إليه أن يجيبه جوابا حاسما في البت في مقترحاته الثلاثة إن سلباً وإن إيجابا ، فلم يعد هناك مجال للتطويل . وأنه ينتظر منه هذا الجواب الحاسم السريع .

وأجاب سريعاً بأنه يدع له الحكم في مسألة نجران ، وطمع من ذلك أن ينزل له عن نجران كما نزل له عن جبل العرو ، ولكنه خيب له أمله هذا ورد عليه بأن تكون نجران بحدودها منطقة محايدة بين اليمن والمملكة السعودية ، لا يملكها أحد من الطرفين .

وبقيت مسألة الادارسة : واستعد ابن سعود أن يعطيهم الامان : وأن يرد إليهم كل أملاكهم الخاصة ، وأن يساعدهم ، فإذا لم يرغبوا في العودةفعلى الامام أن ينقلهم إلى صنعاء ، ووافق الامام على نقلهم إلى صنعاء ، ولكنه ذكر في برقيته لابن سعود أن الأدارسة لا يطيقون برد صنعاء ، ويرجو أن يسمح لهم بالأقامة في « زبيد » فوافق ابن سعود .

وأما تعيين الحدود فقد تغافل عنه الامام ، وإذا كان رضي ابن سعود بأنصاف الحلول في مسألة نجران والأدارسة فسبب ذلك رغبته في الصفاء والسلام ، ولكن الامام كان يخفي في نفسه الوثوب إلى نجران بعد أن احتل منه جزءاً وضع فيه له جنودا ، كما أراد من جعل زبيد مقاما للادارسة أن يستغلهم ضد ابن سعود .

وفي يوم ١٣ رمضان ١٣٥٢ أرسل الامام الى ابن سعود برقية طلب فيها إليه أن يصدر أوامره الى قادة جيوشه بألا يتجازوا أماكنهم التي هم فيها الآن لئلا يحدث ما لا يمكن تلافيه فيخرج الأمر من أيديهما . وذكر له أنه مستعد أن يرسل وفداً يمثله لإزالة أسباب الخلاف .

واشتد سخط ابن سعود على الامام الذي أرهق ابن‌سعود بما اتخذ من أساليب تنطوي على الغش والمكر والخداع والتطويل فأرسل‌اليه برقية شديدة اللهجة ، يبدي له فيها استغرابه من اغفاله الجواب الحاسم على مقترحاته الثلاثة التي هي مثار النزاع وبخاصة مسألة الحدود التي استغرق بحثها سنوات طويلة دون جدوى .

وقال له ابن سعود في برقيته هذه في ختامها :

« إن هنالك أموراً ثلاثة عرضناها عليكم مرارا ، ونكررها الآن ، وهي :

« أ ـ أن تحرروا الحدود بيننا وبينكم نهائياً وبتعهد مكتوب .

« ب ـ نجران ، وقد اقترحنا أن تكون منطقة حياد .

« ج ـ إعادة الأدارسة وفق المعاهدة المعقودة ، وإذا تعذر ذلك تنقلهم إلى صنعاء .

فهذه الأمور الثلاثة هي التي نطلبها ، والسلم والحرب متوقفان على كلمة تقولونها ، فإما نعم ، وإمّا لا » .

وتظاهر الامام بالموافقة ، واتفق مع الملك عبد العزيز على أن يجتمع مندوبوهما في « أبها » لوقوعها في موقع صالح للطرفين . ولأن أدوات المواصلات البرية واللاسلكية متوافرة وسهلة ، ولأن بها الأمير سعود ولي عهد المملكة الذي لديه التفويض الكامل للحل والعقد ، ووافق الامام وبعث مندوبه عبدالله الوزير .

وفي يوم ٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ عقدت الجلسة الأولى بين الوفدين ، وتوالت الجلسات الى يوم ١٨ ذي القعدة ١٣٥٢ بدون أن يتم وصول الى نتيجة ، فقد تشبث الوفد اليمني بأن نجران ملك اليمن ، لأن الملك عبد العزيز نزل عنه لليمن ، في حين أن الوفد السعودي رأى رأي ابن سعود وهو أن تكون منطقة حياد .

وإخفاق هذا الاجتماع نذير بأشد الأخطار ، فإذا كان ولي عهد المملكة السعودية قد أخفق مع تسامحه إلى أبعد ما ينتهي إليه التسامح حتى ليخيل إلى من كان قصير النظر أن ذلك التسامح ضعف . وما كان ولي العهد الأمير سعود ضعيفاً ، وما

كان تسامحه ضعفاً وجبناً ، بل كان القوة كلها ، فهو له الحق كله ، وخصمه الذى ليس كفئا له يحتل أجزاء من مملكته ، ومع هذا يضبط نفسه ، ثم يضبط نفسه أكثر عندما يجد الخصوم يتطاولون بغير حق ، وقد صدق الرسول الكريم الذى قال : « ليس الشديد بالصُّرَعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وقد ملك ولي العهد نفسه ولم يظهر عليه أي أثر للغضب .

وإذا أخفق مؤتمر أبها أو اجتماع أبها فمعناه أن اليمن لا تريد أن تتفق مع الحكومة السعودية ، وأن اليمن تريد الحرب التي تدفع اليها المملكة السعودية دفعاً ، فقد استمر الامام في العدوان ولم يجابه بمثله ، فقد تقدمت قوات يمنية إلى جبال جازان التى كانت من امارة الادريسي واحتلتها كما احتلت أجزاء أخرى وتجاوزتها إلى نجران ، كما دخلت قوات يمنية بنى الى مالك والعبادل من صميم المملكة ، واحتلت أيضاً فيفا وغير وذلك وابن سعود لا يحرك ساكناً ، بل يريد التفاهم .

أما وأن الامام قد انتهى إلى ما انتهى إليه فان صبر ابن سعود قد نفد كله ، ولم يبق إلا الحرب ، وقبل أن يعلنها عليه بقي لديه عرض واحد وليس غير ، ذلك أنه أمهله أسبوعين ليخلي فيفا ونجران وبنى مالك والعبادل وغيرها من قواته ، فاذا انتهت المهلة فان الجيش السعودي سيتولى إخلاءها ، فلم يبال الإمام الانذار ، بل تجاهله ، وعزز قواته استعداداً للحرب .

ووجد ابن سعود نفسه فيما يشبه المأزق أو فيما هو أشد منه ، فقد زُج به غصبا عنه فيما يكرهه كل الكره ، ووقع ما كان يستشهد به فى مثل هذه الظروف ، وهو هذا البيت :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا ... فما حيلة المضطر الا ركوبها

وأصدر أمره فى أوائل شهر ذى الحجة ١٣٥٤ لقواته بالسير الى الحدود

وتحرير كل الأراضي السعودية ، وكان ألمه شديدا وهو يصدر أمرا باعلان الحرب ، وكان أشد ألما وهو يتلقى أخبار انتصار قواته ، وقد أبدى شعور الأسى والألم في خطبته الرائعة التي ألقاها على وفود بيت الله الحرام في الحفل الذي أقامه لهم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٢ وقال :

« لنا عشرة أشهر ونحن ويحيى نتجادل فلم يظهر من المسلمين من ملوكهم أو أمرائهم أو أحزابهم من يتقدم لاصلاح ذات البين أو يطلع على حقيقة ما بيننا » .

ثم قال : « لكن المسلمين والعرب لم يبالوا ذلك ، وانما أعمالهم كانت مقتصرة على الأماني » .

وهذا يدل على مبلغ الأسى الذي كان يساور ابن سعود من الحرب سواء انتصر أم لم ينتصر ، ولكن الامام هو الذي استفز ابن سعود ودفعه دفعاً إلى الحرب بعد أن صبر سنوات والامام يمكر به ويحتل أراضيه ، وبعد أن مضت عشرة الأشهر التي سبقت اعلان الحرب في جدل عقيم ، ووفود تذهب وتجيء دون أي نفع .

أصدر ابن سعود أمره على قواته بالسير إلى الحدود وتحرير كل الاراضي والمواقع والمدن والقرى التي احتلها جيش الامام يحيى .

أمر ابن سعود ابنه الامير سعودا ولي العهد بالتقدم الى الحدود اليمنية لاستعادة البلدان التي احتلها الجيش اليمني ، والوقوف بعد ذلك انتظارا لأمره الأخير ، وأمر نائبه وابنه الثاني الأمير فيصلا بالسير مع الساحل حتى يهبط عسيرا ويتجه منها إلى الحدود ، وأمر ابن أخيه فيصل بن سعد بالتقدم إلى باقم وأطرافها ، وابن أخيه خالد بن محمد بالتقدم الى نجران وصعدة ، ثم أرسل ابنه محمد بن عبد العزيز بقوة كبيرة ليكون سندا للامير سعود .

وكانت هذه الجيوش مزودة بالسلاح الكافي من بطاريات ومدافع جبلية

ومدافع ميدان ورشاشات وسيارات مصفحة .

وكان الامير سعود قائداً عاماً للجيوش السعودية التي سارت من نجد إلى عسير ، والأمير فيصل بن عبد العزيز قائداً عاما للقوات السعودية التي زحفت من الحجاز .

أما الامام يحيى فقد سبق ابن سعود في تقوية مراكزه وحدوده ومخافره ، كما بعث قوة كبيرة إلى حرض مدداً لقلعتها بقيادة أحد أبطال اليمن وهو عبد الرحمن بن عباس — وهو من أقرباء الامام يحيى — فعلم حمد الشويعر أمير منطقة جازان الذي توجه بقواته نحو اليمن بالقوة المتجهة إلى حرض فتلقفها قبل أن تصل إليها ، وقضى عليها ، لأن الشويعر كان متجهاً إلى حرض لاحتلالها ؛ وقد جعل معسكره في « الواصلي » ثم نقله إلى ناحية أبي عريش ، ثم رأى أن ينقله إلى « صامطة » وأقام بها ينتظر تموين جيشه ، فورده من البر والبحر ، وجاءته القبائل من « القحمة » وغيرها .

وكان الشويعر قد علم بأن قوات اليمن تتجمع في مواقع معدودات للهجوم على القوات والأراضي السعودية التي هو مسئول عنها ، فاستعد وبنى بسرعة قلاعا وحصونا في مختلف المدن والقرى ، ورمم ما كان من الحصون والقلاع القديمة ، وبعد أن تجمعت لديه القوات توجه بها إلى حرض المشهورة بقلعتها الحصينة ومواقعها المنيعة ، والتي تتجمع بها قوات ضخمة جبارة لليمن اختيروا من أبطالها الأسود الاشداء .

وصمم الشويعر على احتلال حرض وإبادة قوات الامام بها ، لأن حرض بقواتها الضاربة أحد الأعمدة أو الأركان الأربعة التي تقوم عليها قوات اليمن ، وقد قضى على المدد المرسل إلى حرض بقيادة عبد الرحمن بن عباس ، وعزلها بوساطة السرايا التي بعثها الشويعر ، وفي ليلة الثلاثاء ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ قرر الهجوم .

واستعدت حرض للدفاع ، وهي نفسها تقع في موقع جد حصين ، وبينها وبين من يريدونها واد وعر ، وقد أقام اليمنيون في عدوته الشمالية خط الدفاع الأول ، ووضعوا فيه أضخم قواتهم ، وركزوا مدافعهم بعيدة المرمى على قمم الوادي ، وأقاموا خط الدفاع الثاني من ناحية الشمال الشرقي والجنوب ، ثم أقاموا خطا ثالثا يحمي قلعة حرض التي هي قاعدة الدفاع .

وكان قائد هذه المنطقة وحرض بما فيهما من القوات قائدا محنكا من أعظم قادة العرب وهو البطل « السياني » ، وجعل مركز قيادته الأولى في خط الدفاع الأول كما جعل له مراكز أخر في القلعة وخطوط الدفاع الأخر .

والواقع ، أن قوة الشويعر عظيمة وجبارة ، ولكنها مكشوفة بين يدي حرض إذا أراد الشويعر مهاجمتها ، ومن المقطوع به أن مهاجمتها تكلف ثمناً جد باهظ من الأرواح والمعدات ، والانتصار مشكوك فيه ، وان الهزيمة محققة ، فالسياني قائد صلب ، وثعلب الجبال والبراري ، ويتقن الحرب الخاطفة ، ويرهق أعداءه بمباغتاته وضرباته التي لا يوجهها إلا إلى مقتل .

ومحمد الشويعر كفء ولا شك ، ولكن قواته في أرض مكشوفة ، وقوات عدوه السياني معتصمة أقوى تحصين ، ولن يتراجع وقد صمم الشويعر على هدم هذا الركن اليمني القوي الجبار مهما كلفه ذلك ، ففي فجر يوم الثلاثاء ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٢ كان الشويعر قد أعد نفسه وجنده لمهاجمة حرض وخطوط دفاعها وأجنحتها ، وبعد صلاة الفجر دوّى بصيحته التي رددت صداه الجبال : الله أكبر : إياك نعبد وإياك نستعين ، وكان هذا الهتاف ايذاناً بالهجوم الذي لم يباغت به السياني المستعد لكل الاحتمالات .

وبرزت المدفعية السعودية بهجومها ، وتمهيد السبيل للخيالة والمشاة ، وإذا خط الدفاع اليمني الأول يرد على النار بمثلها ، وتصاب المدفعية السعودية إصابات بالغة لم تفت في عضد الشويعر ، بل مضى وهو على فرسه إلى قائد

المدفعية وأمره أن يضرب قلب الخطر الأول ، فاذا القذائف السعودية تصيب منه مقاتله فيسكت ، ثم ينثني الشويعر إلى طرفي الخط الأول ويصيبهما بمدفعيته الثقيلة في الصميم ، وينهار خط الدفاع الأول بعد معركة دامت ساعتين .

وتولى خط الدفاع اليمني الثاني والثالث الدفاع المستميت ، وبينا المدفعية السعودية مشغولة بضرب خطي الدفاع اليمني وتلقى ضرباتهما العنيفة أمر الشويعر بعض سلاح الفرسان والمشاة ومعه الرشاشات لمهاجمة حرض من خلف خطي الدفاع ، وتمت حركة الالتفاف بنجاح ، وضعفت مقاومة خطي الدفاع الثاني والثالث ، ورأى السياني الانسحاب وقد تم بمهارة ، ولكن بعد أن فقدوا قتلى كثيرين ، وتركوا مدافعهم وأسلحتهم الثقيلة ودخلوا القلعة الحصينة .

واحتل حمد الشويعر كل حرض وضواحيها وخطوط دفاعها ، ولم يخسر السعوديون إلا بعض القتلى والجرحى ، وحوصرت القلعة حصارا شديدا ، وكان السياني قد أعد فيها التموين الذي يكفيه شهورا ، كما كان قد أعد ما يحتاج إليه بناء ما يخرب من سور القلعة وجدارها .

وفي ليلة الاربعاء ٢٦ ذي الحجة ١٣٥٢ استطاع السياني ومن معه من مغادرة القلعة في عماية الليل إلى الجبال ، وفي الصباح علم السعوديون بمغادرة اليمنيين وإخلاء القلعة فدخلوها .

وغادر الشويعر حرض بعد أن ترك بها حامية تضم مختلف أسلحته ، ومضى إلى القرية الكبيرة المسماة « مخازن » وتقع بين حرض وميدى ، حيث تكون مخازن ملتقى جيش حمد الشويعر والجيش الزاحف من الحجاز بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز .

وكان القائد المظفر حمد الشويعر يتلقى تعليمات القائد العام الامير فيصل ابن عبد العزيز الذي أعد له خطة الهجوم مع التصرف بما تقتضيه ظروف الحرب

وعملياتها ، واحتل الشويعر المخازن وأخذ ينتظر بها مقدم الأمير فيصل الذى وصل جازان يوم الخميس ٢٧ ذى الحجة ١٣٥٢ وفي يوم الجمعة غادر جازان إلى قرية « الموسم » ومنها إلى المخازن التي تجمعت فيها القوات السعودية التى يقودها حمد الشويعر .

وما كاد فيصل يصل مع جيشه إلى المخازن حتى استقبلته القوات السعودية استقبالا حماسيا ، وتم استعراض كل القوات التى قامت بمناورة بالذخيرة الحية .

وميدى على مقربة من المخازن ، كما أن على مقربة منها تقع قرى أخرى ، وقد أصم آذان هذه المدن والقرى دوي القنابل والرصاص ووغى الجيش ، وغرقت في رعب شديد ، وظنت أن القوات السعودية تقوم بهجمات عنيفة ، وكل مدينة أو قرية تظن أن ذلك الدوي الراعد إنما هو من أثر الهجوم الذى يقع على غيرها وتنتظر ما سيقع عليها بعدها .

وعلمت تلك المناطق اليمنية أن فيصل بن عبد العزيز وصل بجيشه ، وأنه القائد العام ، واليمن كلها تعرف من يكون فيصل ، انها تعرف أنه البطل الذى لا يقهر ، والقائد الذى لا يغلب ولا يهزم بإذن الله ، وان الحصون والقلاع المنيعة الشديدة الجبارة تتساقط بين يديه كأوراق الخريف ، وان اسمه يبعث الرعب فى أوقات الحروب فى قلوب أشجع الشجعان .

وقرر فيصل احتلال ميدى وكل القرى المنيعة التي تحيط بها أو تجاورها ، وكان أمير ميدى وقائد القوات اليمنية فيها أحد أعاظم أبطال اليمن المعدودين وهو « العرشي » وكان أعظم من السياني دهاء وحنكة ، وكان من القواد النوادر فى فن الحرب وإدارة المعارك .

وميدى بلدة محصنة طبيعيا ، وزاد من تحصينها يد الانسان الماهرة ، وبها

قلعتان كبيرتان ، وبهما أبراج تسيطر على كل الطرق المؤدية اليها ، وتستطيع أن تقطعها عندما تشاء ، ويزيد من مناعة ميدى أن أميرها وقائدها العرشي .

وإذا كانت ميدى والعرشي يستعصيان على من يريدهما فإنهما لن يستعصيا على فيصل الذى لا يقهر بإذن الله ، وفيصل لا تخفى عليه مناعة ميدى ولا بطولة العرشي ودهاؤه ومقدرته ، ووضع خطة محكمة بارعة لاحتلال ميدى وأسر العرشي الذى شعر بالكارثة لمجرد قدوم فيصل .

وكانت خطة فيصل ضرب استحكامات العدو التى تحمى ميدى ، وتلتف بها التفاف السوار بالمعصم ، وخصص كتيبة لذلك ، وقوة من المدفعية لضرب إحدى القلعتين ، وقوة أخرى لضرب القلعة التى تقع فى جنوب جزيرة «الدويمة» وقوة من الفرسان والمشاة تحيط بميدى من جميع جوانبها وأطرافها .

ونفذت الخطة ، وما شعر العرشي إلا والقلعة الواقعة فى جنوب الدويمة تنسف وتباد كل القوة التى بها ، وأشد ما أثر فى معنوية العرشي أن الفرسان والمشاة الذين قاموا بتطويق ميدى قاموا بعملهم نهارا على مرأى ومسمع منه ومن جيشه ومن السكان ، وكانوا يرونهم بوضوح ، فأمر العرشي بإطلاق القنابل عليهم . فلم تصب أحداً .

وقرر العرشي أن يقاوم ، وثبت للسعوديين الذين أصروا على احتلال ميدى ، وقطعوا أسلاك التلفون ، وعزلوا ميدى عزلا تاما عن اليمن فلا تتصل بها هاتفياً ، وضربت ميدى ، وأصيبت فى بعض مقاتلها ، وظن العرشي أن طبقة التجار والمثقفين قد خانوا واتصلوا بالسعوديين ، فزج بهم فى السجن .

واشتد الحصار والضرب ، ولم يعد فى وسعه المقاومة ، وفى الظلام من ليلة غرة المحرم سنة ١٣٥٣ هرب العرشي ومن بقوا فى القلعة من الجند الذين سلموا من القتل إلى « مرسى البغلة » فلم يجدوا به سفنا ، فقد غادرتها إلى الحديدة خوفاً

من السعوديين ، واتخذ العرشي ومن معه الطريق الساحلي ، فخرج السجناء من حبسهم ، وذهب أحدهم منتدبا من زملائه إلى الأمير فيصل ، وأخبره بفرار العرشي ، وبما كان منه نحوه ونحو غيره ، وذكر له أنه يخشى على المدينة والسكان من النهب والسلب والقتل ، فأرسل قوة إلى البلدة لحفظ الأمن ، ولم يقع بفضل الله ثم بفضل فيصل أي حادث .

ودخل السعوديون ميدي ، وغنموا منها أسلحة وذخائر حربية كثيرة ، كما وجدوا صناديق مختومة مليئة بالأسلحة ، وأمر فيصل بإعادة الحياة الطبيعية إلى المدينة ، وأمن السكان والموظفين .

وأرسل فيصل كتيبة من سلاح الفرسان تتبع آثار العرشي ومن معه والقبض عليهم أو قتلهم إذا لم يستسلموا ، وأرسل قبل ذلك فصيلة من الجند بالسيارات المصفحة لتحتل حصون قرية « حبل » التي تبعد عن البحر ثلاثة أميال ، وتصل القوتان في وقت متقارب ، وإذ مضت كتيبة التتبع والمطاردة إلى مهمتهـــا وأدركت العرشي كانت قوة السيارات المصفحة التي وكل إليها احتلال حصون قرية حبل قد وصلت ، واتحدت القوتان السعوديتان واشتبكتا في معركة حامية مع العرشي وجنوده من الصباح إلى الظهر ، ووقع العرشي ومن سلم من جنوده في الأسر ، ولقوا من التكريم والرعاية ما ألهج ألسنتهم بشكر فيصل .

وبعد أيام أرسل العرشي ومن معه من الجنود اليمنيين إلى جازان ليقيموا بها أسرى حرب ، ولكنهم لم يكونوا معتقلين ، بل كانت لهم الحرية في التردد على المسجد للصلاة ، وفي زيارة من يريدون ، وفي النزهة في أطراف جازان ، وأمنت لهم الراحة التامة والتكريم ، ولبثوا في الأسر حتى انتهت الحرب ، وعادوا إلى وطنهم بسلام وهم لا يفترون من الثناء على فيصل ومعاملته لخصومه وأسراه .

وأتت إلى فيصل قبائل وعشائر يمنية تبايعه ، كما فر الوالي اليمني لمدينة

« اللحية » كما فر غيره من الولاة اليمنيين قبل أن تصل إليهم قوات فيصل ، فخاف من الفوضى واختلال الأمن في تلك المناطق فأرسل الشيخ عبد الله بن ختلان بقوة ليتسلم اللحية وما حولها . كما بعث آخرين لمثل مهمة ابن ختلان ، وسقطت اللحية ، ووادي مور ، ومدينة الزهرة ، وبني نشر ، والزيدية ، وبيت الفقيه ، وباجل ، وغيرها .

وأدى سقوط ميدي ووقوع العرشي في الأسر إلى فرار الأمراء اليمنيين ، وترك الأهلين بدون مسئول يرعاهم ويحميهم . وكان أمير الحديـــدة الأمير سيف الاسلام عبدالله ابن الامام يحيى ، وخشي على نفسه من القتل أو الوقوع أسيرا في يد فيصل فترك الحديدة إلى صنعاء ، ودخلها الجيش السعودي يوم السبت ٢١ محرم سنة ١٣٥٣ ودخلها فيصل في اليوم الثاني والعشرين ، واتخذها مركزه ، وأقام فيها إدارات مختلفة لضبط أمور الحديدة وكل المناطق اليمنية التي دخلت في حوزته ، فأقام فيها إدارة المالية ، والدفاع ، والبريد ، والامن العام ، والمعارف ، وأراد من ذلك أن يجعلها سعودية لها حق البلدان والمناطق السعودية .

وبعث الأمير فيصل ببرقية إلى وزير مالية المملكة الشيخ عبد الله السليمان ليحضر إلى الحديدة ويصطحب معه موظفين مدنيين ليتولوا العمل في الإدارات التي أقامها ، ووصل ابن سليمان مع الموظفين على متن سفينة سعودية إلى الحديدة ، وقاموا بالادارة المدنية .

وسر اليمنيون بما لقوا من فيصل وأفراد قواته المسلحة والموظفين السعوديين مدنيين وعسكريين ، ونعموا بما لم يشهدوه في ماضيهم ، ولأول مرة يجدون مدارس حديثة ومستوصفات طبية مزودة بأحسن الأدوية ، ويجدون الأمن والاستقرار في ظل الادارة السعودية .

وتقدمت قوات فيصل في الأراضي اليمنية في مختلف الاتجاهات ، وكان

الرعب الذى انتشر فى اليمن من زحف فيصل السريع قد مهد لقواته أن تتقدم وتحتل .

وبينما فيصل يقوم بهذا الزحف الموفق كان القوات السعودية التى يقودها ولي العهد الأمير سعود قد احتلت نجران ، وطهرتها من القوات اليمنية ، وأخذ ولي العهد في زحفه متجهاً صوب اليمن ، وكان يصطحب معه الموظفين والعسكريين ليتولوا الادارة فى البلدان والمناطق اليمنية التى تسقط فى أيدى القوات السعودية .

ومن توفيق الله لولي العهد أنه استطاع أن يحرز النصر فى كل المعارك التى خاضها ، ولم تقع فى قواته خسارة فى الأرواح الا قليلا .

وتقدم الأمير خالد بن محمد — ابن شقيق الملك عبد العزيز — فى الجزء الجنوبي من نجران ، ثم إلى صعدة ، ثم والى تقدمه السريع .

وكان فى جانب آخر الأمير فيصل بن سعد — ابن شقيق الملك أيضا — يتقدم قواته نحو باقم والقرى المحيطة بها ، وقد أثار تقدمه الإعجاب والعجب ، فقد جاء في بلاغ وزارة الخارجية السعودية الصادر في يوم ٢٦ ذى الحجة ١٣٥٢ (٩ ابريل ١٩٣٤ أن الأمير فيصل بن سعد احتل عقبة « الشيطة » و قرية «تيناو» ومضيق باب الحديد الذى وصفه البلاغ الرسمي بأنه « أمنع مضيق طبيعي فى تلك الأنحاء » .

وإذا كان مضيق باب الحديد أمنع مضيق طبيعي فإن عقبة الشيطة أشد العقبات كؤودا فى تلك المنطقة الوعرة .

ورأى الامام يحيى أنه لا قبل له ولقواته بصد القوات الزاحفة إلى اليمن من جهات متعددة ، وكلها تتقدم تقدما سريعاً لا يقفه شيء ، وكل هذه القوات السعودية السريعة في زحفها وتقدمها تتسابق للوصول إلى صنعاء ، وإنها ستدخلها قريباً ؛

ولن تستطيع أن تنجو من الاحتلال بعد سقوط ميدي وغيرها ، فأبرق الامام يحيى في يوم ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ (١٢ إبريل ١٩٣٤) إلى الملك ابن سعود يقول له : « يكفي ما قـد كان ، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالاسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم ، بلاد يام تحت حكمكم ، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد نجران ، وتفضلوا بطلب السيد عبدالله بن الوزير الى حضرتكم لاستكمال المعاهدة الأخوية عافاكم الله ، وقد كان سحب هذه البرقية بواسطة أسمرة لاختلاط طائر الهواء [1] لدينا ويجرى العمل على إصلاحه ، فتفضلوا بالجواب عن طريق أسمرة » .

وقد سبق للامام يحيى عندما أعلنت هذه الحرب أن أبرق إلى رؤساء الحكومات العربية وإلى علماء المسلمين وزعمائهم وإلى الملك فؤاد ملك مصر هذه البرقية :

« بعد انتهاء المراجعات بيننا وبين الملك عبد العزيز والوفاق على امهات المعاهدة كان منا ارسال المندوبين لعقد المعاهدة مضمرين كل صداقة وأخوة للمشار اليه ، مستبشرين بصلاح الثأني وحقن الدماء ، حريصين على جمع كلمة المسلمين غير مجوزين شقاقاً .

« وفي خلال هذا وحضرة المشار اليه يحشر الجيوش من كل جهة حتى اذا أتم استعداده أفاد الينا انه موجه جيوشه علينا فأجبناه بكل لطافة وصداقة ، وكنا أفدنا الى حضرتكم أنه سيكون اعتماد ارشادكم ثباتنا عند حد الدفاع ، فلم نشعر الا بالتجمع الفعلي بالجنود المجندة والعدوان على أطراف بلادنا ، ومع هذا فلا ندري حتى الآن ما عليه مندوبونا في ابها ، وقد رأينا من واجب الاخوة الدينية اعلامكم بالحقيقة » .

وكان الامام يعتقد أن الملك فؤادا سيجيبه ويقف معه لأنه موتور من ابن

---

(١) يسمى الامام يحيى آلة اللاسلكي طائر الهواء .

سعود ويحقد عليه ، ولكنه اعتذر له ، لأن ملك مصر مقيد ، كما لم يجد من أي من أبرق اليه المساعدة التي يريدها ، ورأى إلى جانب هذا الإخفاق الذي مني به من قبل من كان يرجو منهم النجدة الهزائم المنكرة التي منيت بها قواتــه المسلحة ، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ابن سعود نفسه ، وبعث إليه تلك البرقية التي تدل على ما أصاب الإمام من قلق على مملكته التي تتعرض لخطر الزوال كما زال عرش الملك الحسين بن علي من قبل .

وابن سعود لن تجوز عليه حيل الامام الآن ، فأبرق إليه قائلا : « إنني مستعد للعودة إلى مفاوضة ابن الوزير وقبول السلم بعد التحقق من انسحاب الجند من نجران ، ورد رهائن أهل جبالنا وقطع العلاقة بهم ، وإعادة الادارسة إلينا طبقاً لمعاهدة العرو ، إذ تبين أنه لم يكن الغرض من إيوائهم إلا جعلهم آلة لتحريك الفتنة في عسير تهامة ، فاذا نفذت هذه المطالب تأمل الحكومة بوقف كارثة الحرب » .

ـ وأبرق الامام إلى ابن سعود في ٤ محرم الحرام سنة ١٣٥٣ (١٨ ابريل ١٩٣٤) بموافقته على كل مطالبه ، ويرجوه وقف الزحف حتى يستطيع جنوده من إخلاء المواقع وتسليم الأدارسة .

فلم يوافق ابن سعود إلا بتنفيذ جميع المطالب ، فوافق الامام صراحة بدون التواء أو مواربة ، فأصدر ابن سعود أمره بوقف القتال ، وأن تبقى قواته في المناطق التي تحتلها حتى يرى نتائج المفاوضات التي ستبدأ ، وكان هذا الأمر في ١٣ محرم ١٣٥٣ (٢٧ ابريل ١٩٣٤) .

وبينما كانت البرقيات بين الامام وابن سعود كان وسطاء الصلح الذين أرسلهم المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين قد وصلوا إلى المملكة العربية السعودية

ونزلوا ضيوفاً على ابن سعود .

وهؤلاء الوسطاء هم : الحاج محمد أمين الحسيني ، والأمير شكيب أرسلان ، ومحمد علي علوبة باشا ، وهاشم الأتاسي .

وقدومهم لم يؤثر في الموقف فقد وصلوا بعد فوات الأوان ، كما لم يكن لهم أي أثر في وقف الحرب وإعداد العدة للصلح ، وكل ما كان منهم أنهم سمعوا شكوى ابن سعود وحججه ضد الامام ، وأيقنوا أن الحق مع ابن سعود الذي أخبرهم بأنه تلقى برقية من الامام يحيى ، يعلن فيها قبوله شروطه أو مقترحاته .

وأمر ابن سعود بدعوة عبدالله الوزير — وكان بالطائف — فمثُل بين يدي ابن سعود في يوم ١٤ محرم سنة ١٣٥٣ وأملى عليه الأسس التي تبنى عليهـا معاهدة الصلح .

وبدأت المفاوضات بين الوفد السعودي برئاسة الأمير خالد بن عبد العزيز والوفد اليمني برئاسة السيد عبدالله الوزير ، واشترك معهم وسطاء الصلح لوضع صيغة المعاهدة على الأسس التي أملاها ابن سعود على رئيس وفد اليمن ، وانتهوا إلى وضعها ووقع عليها الطرفان ، وصدقها ابن سعود ، ثم أرسلت الى الامام يحيى ، ووافق عليها ، فاعتمدت من الحكومتين ، وسميت « معاهدة الطائف » وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية من جهة ، وحضرة صاحب الجلالة الامام

يحيى بن محمد بن حميد ملك اليمن من جهة أخرى .

رغبة منهما في انهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ، ورغبة في جمع كلمة الامة العربية الاسلامية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها .

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما وانشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الاسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما .

ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة ، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية فيما بينهما ، وانتدبا لهذا الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما : عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس الوزراء ، وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن حضرة صاحب السيادة السيد عبدالله بن أحمد الوزير .

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق ، وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

المادة الاولى — تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ بين جلالة الملكين وبلاديهما

وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة اسلامية عربية دائمة ، لا يمكن الاخلال بها جميعها أو بعضها .

ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما ، وبأن تسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً ، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما الى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضا الخالق وعز قومهما ودينهما .

المادة الثانية — يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها ، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى وخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن ، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن ، لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربيـــة السعوديـــة استقلالا تاماً مطلقاً بالملكية على المملكة العربية السعودية ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام في بلاد الآخر خارج الحدود المبينة في صلب هذه المعاهدة .

ان جلالة الامام عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من ضمانة حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الادارسة وغيرها . كما أن جلالة الامام يحيى ملك اليمن يتنازل بموجب هذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها من البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية

السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يـــام .

المادة الثالثة — يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على ايهما ، على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل ما يمنحه لفريق ثالث . ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

المادة الرابعة — خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما :

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر الى جبال تهامة في الجهة الشرقية ، ثم يرجع شمالاً الى أن ينتهي الى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ، ثم ينحرف الى جهة الشرق الى أن ينتهي الى ما بين حدود بقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ، ثم ينحرف الى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف الى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق الى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن يزيد وائلي وغيره وبين يام .

فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر الأحمر الى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية ، وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، فما هو في جهة اليمن المذكورة فهو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحارث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح منبه مع عرو آل الشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام بباد

وما يليها ومحل مربصعة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة من عدايام ووادعة ظهران من همدان بن زيد

هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة . وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك ، هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وأدعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى بجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية . وحيث أن الحضن وزور وأدعة ومن هو من وائلة في نجران من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية الا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع اخوانهم أهل وائلة من التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدايام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات .

وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات ، وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة ، وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين .

أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على اكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

المادة الخامسة — نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام

السلم والطمأنينة والسكون وعدم ايجاد أي شيء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم احداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

المادة السادسة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند من كل ضرر .

المادة السابعة — يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته من كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق ، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين ، ويرد كل ما يثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية أو قتل أو جرح بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق ، وتقدير الضرر والخسائر .

المادة الثامنة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن اللجوء للقوة لحل المشكلات بينهما ، وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة او تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية ، وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذي توضع شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ، ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ، ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً لكل فيها.

المادة التاسعة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما

لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه ، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر . كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ — إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله .

٢ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى حكومته الطالبة ، وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب ، وعليها اتخاذ كافة الاجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب ، وفي الاحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى أراضيها مرة أخرى ، وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته .

٣ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

المادة العاشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر من طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين الى حدود بلاده ، فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون

عليه واجب نزع السلاح من الملتجىء وإلقاء القبض عليه وتسليمه الى حكومة بلاده الفار منها ، وفي حالة عدم امكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ اليها الى بلاد الحكومة التي يتبعها .

المادة الحادية عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ، ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توّقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة .

المادة الثانية عشرة — يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة الى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر ، ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له الا بموافقة ذلك الفريق ، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية .

المادة الثالثة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده ، أي في بلاد الفريق الذي صدر منه العفو ، كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا بأي شكل من الاشكال وانضموا الى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوه منذ لجأوا الى الفريق الآخر الى عودتهم كائناً ما كان أو بالغاً ما بلغ ، وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الايذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه ، واذا حصل ريب عند أحد الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وأن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة

والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لا يحصل أي حيف أو نزاع ، وما يقرره المندوبان يكون نافذاً .

المادة الرابعة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم اليهم ، أو الى ورثتهم عند رجوعهم الى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم ، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق أو الاملاك التي تكون رعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها او اي نوع من انواع التصرفات الشرعية فيها .

المادة الخامسة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم جماعة أم هيئة أم حكومة ، أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر بمصلحة بلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها أو مصالحها وكيانها للاخطار .

المادة السادسة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الاسلامية والعنصرية العربية أن امتهما أمة واحدة ، وانهما لا يريدان شراً بأحد ، وانهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتيهما في ظل الطمأنينة والسكون ، وانهما يبذلان وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على أية أمة أخرى .

المادة السابعة عشرة — في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

١ — الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

٢ — المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

٣ — الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان

سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

المادة الثامنة عشرة — في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي :

١ — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من اراضيه .

٢ — منع التجاء اللاجئين الى بلاده وتسليمهم أو طردهم اذا لجأوا اليها كما هو موضح في المادة التاسعة والعاشرة .

٣ — منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

٤ — منع الامدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين .

المادة التاسعة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وزيادة الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وفي اجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين ، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار اليه .

المادة العشرون — يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت ، ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل الفريقين في مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي واحدة . والمفهوم أن

هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له ، كما انه لا يمكن أن تفسر بعجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

المادة الحادية والعشرون — يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ١٥ شعبان سنة ١٣٥٠ ھ على كل حال اعتباراً من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة الثانية والعشرون — تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك ، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل وثائق ابرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الاولى بإنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع ، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر الاولى التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها ، فان لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول الى ما بعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته في التعديل .

المادة الثالثة والعشرون — تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف ، وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة ، بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة ، واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه .

وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف (١٣٥٣) .

(التوقيع)	(التوقيع)
عبدالله بن أحمد الوزير	خالد بن عبد العزيز السعود

وألحق بالمعاهدة « عهد تحكيم » وثلاث رسائل لكل من الجانبين ، ولها جميعاً قوة المعاهدة ، وها هوذا عهد التحكيم مع الرسائل :

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم

بين مملكة اليمن وبين المملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك يحيى ملك اليمن والملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حل فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصور المبينة في المواد الآتية :

المادة الأولى : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل إحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم مع الفريق الآخر إليه .

المادة الثانية : يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ، ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين ، وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين المرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً،وإن لم يكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً ، مع العلم بأن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين ، فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية ؛ وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك .

المادة الثالثة : يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحدمن

انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر ، وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذى يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة ، وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه ، ويُعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ، ويكون الحكم ملزما للفريقين ، ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه ، ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

المادة الرابعة : أجور محكمي كل فريق عليه ، وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما ، وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى .

المادة الخامسة : يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف . ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة ، وقرارا بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف .

التوقيع	التوقيع
عبدالله بن أحمد الوزير	خالد بن عبد العزيز السعود

— ١ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ .

من خالد بن عبد العزيز السعود إلى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبدالله

ابن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الإمام يحيى حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد، فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول إنفاذ مقتضاها إلا في اثبات ما يأتي :

١ — أن يجري تسليم الأدارسة وإخلاء جبالنا في تهامة واطلاق رهائن أهلها حالا .

٢ — أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوماً ولا ينشره أحد الفريقين ولاسيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وأن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحيى ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام :

— ٢ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من عبدالله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقــد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣ وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لإنفــاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الأدارسة وإخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الإمام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد

العزيز وإطلاق رهائن أهلها . وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الأخص مسألة الحدود إلى أن يتم ترتيب الاتفـاق الذى اتفقنـا عليه لانفاذه . وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف بدون حادث من ابتـداء انسحابه إلى آخره ، وأن كل عدوان عليه فى خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحيى لقد أحطت علماً بذلك ويسرنى أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعياً من جهتنا . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
عبدالله الوزير

— ٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً فى ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من عبدالله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله والموقعة من قبل نيابة عن جلالة الملك الإمام يحيى وأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بما هو آت :

١ — يتسلم الأدارسة لجلالة الملك عبد العزيز ، وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي ، وسيسلمون حالا لرجال سمو الأمير فيصل فى تهامة ، أما السيد عبد الوهاب الادريسي فنظراً لأنه لا يزال إلى الآن فى بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من

تلك الأنحاء لتسليمه فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بشأنه بما يأتي :

(أ) أن تمتنع حكومة الإمام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة .

(ب) إذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الإمام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها ، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته في أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية ، وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى أراضي المملكة اليمانية .

٢ ـ أما من كان له تعلق بالأدارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فإذا أرادوا اللحاق بالادريسي فلهم الأمان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والإكرام اللائق بحقهم ، وإذا لم يشاءوا ذلك فإنهم يخرجون من بلاد جلالة الإمام يحي ، ولا يسمح لهم بالبقاء فيها ، وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالا ، وينذرون بأنهم اذا عادوا إلينا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز ، فان عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط ، فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذى اتفقنا عليه في هذا الشأن .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)
عبدالله بن أحمد الوزير

— ٥ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبدالله بن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الإمام يحيى — حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ؛ فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الامام يحيى بشأن الادارسة وأتباعهم ، وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الأمانة والوفاء المأمول في جلالة الامام يحيى ، ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع
خالد بن عبد العزيز السعود

— ٥ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة المكرم السيد عبدالله الوزير حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن اثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا

المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلدين أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلادين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقتان اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الأغراض والمنافع . فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...

التوقيع

خالد بن عبد العزيز السعود

— ٦ —

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من عبدالله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فقد تلقيت كتاب سموكم بتاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلدين، وانني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل وأن ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)

عبدالله بن أحمد الوزير

وبعد أن اطلع الامام يحيى على المعاهدة وعهد التحكيم والكتب المتبادلة كتب بخطه ما يلي :

« فبعد أن أطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب

التي الحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها، كما أننا نصدقها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والاخلاص. وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف. وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

كتب هذا أمير المؤمنين يحي بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى.

وفي يوم ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ تسلم الأمير فيصل بن عبد العزيز من الحكومة اليمنية السيد الحسن الادريسي والسيد عبد العزيز الادريسي ومعهما أسرهما وحاشيتهما البالغ عددهم ثلاثمئة نفس. وكان تسلمه إياهم في الحديدة، واستقبلهم استقبال الإخوة الكرام البررة، ومنحهم الحرية، ووضع في خدمتهم خير رجاله، وكرمهم تكريماً ما جعل السيد الحسن يتأثر تأثراً عظيماً، ويرفع يديه بالدعاء للملك عبد العزيز وابنه فيصل، ثم يكتب هذه البرقية للملك: وهذا نصها:

« جلالة الملك عبد العزيز أيده الله

شملنا إحسان واعتناء نجلكم الموفق في الحل والترحال إلى أن وصلنا الحديدة في يومنا هذا في الساعة العاشرة، فنشكركم على حلمكم وحسن مكارمكم، والسلام عليكم ».

في ١٤ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ

فأجابه الملك عبد العزيز على برقيته ببرقية تفصح عن عظمته ومبلغ ما يتحلى به من مكارم الأخلاق النادرة التي لا تجدها إلا في نوادر عظماء الانسانيين الذين يعيشون في صميم المثل العليا ، وهذا جواب ابن سعود :

« الأخ الحسن الادريسي

« الحمد لله على وصولكم بالسلامة ، تفهم — بارك الله فيك — أن هـــذه الأمور التي جرت هي بتقدير الباري ثم أسباب اعتدائكم ، وإلا فنحن إن شاء الله كما تعلمون معكم عاجلا وآجلا ، والأمور التي فاتت لا شك أنها قضـــاء وقدر ، وأنتم كونوا مطمئني الخاطر على أننا لا تتغير عليكم ،وأنتم إنشاء الله لا ترون الا ما يسركم في جميع الحالات ، حالكم حالنا ، والله يوفقكم »

١٥ ربيع الأول ١٣٥٣

وبعد ايام تسلم الأمير فيصل في الحديدة السيد عبد الوهاب الادريسي الذي كان من أشد الثائرين لددا في الخصومة ، وكان صعب المراس ، وحارب ابن سعود حربا ضاربة ، ولكن عظمة ابن سعود وانسانيته العظمى وخلائقه المثلى جعلته يعفو عن السيد عبد الوهاب الادريسي — كما عفا عن كل أعدائه الأشداء عندما ظفر بهم — ويسعه حلمه وكرمه .

وعندما وصل السيد عبد الوهاب واستقبله الأمير فيصل استقبال أخ كريم لم يتمالك نفسه من الهتاف باسم عبد العزيز والدعاء له من صميم قلبه ، ثم الشكر للأمير فيصل الذي كانت مقابلته الكريمة له بردا وسلاما هبطا عليه ، وبعث السيد عبد الوهاب إلى الملك عبد العزيز البرقية التالية :

« جلالة الملك الوالد عبد العزيز أيده الله

وصلنا الحديدة بالسلامة ، وقد رأينا من سمو نجلكم المعظم فيصل كـــل

إكرام ، وقابلنا أحسن مقابلة . نسأله تعالى أن ينصركم على أعدائكم ، ويديم لنا عطفكم وشفقتكم الأبوية ، ونؤمل من مراحمكم أن تصفحوا عنا ما مضى ، لا زلتم موفقين .

ولدكم
عبد الوهاب الادريسي

وجاءة جواب الملك عبد العزيز في هذه البرقية

« الحمد لله على وصولكم بالسلامة ، من قبل إكرام الابن فيصل لكم ، فهذا شيء واجب وحق لكم ، وتذكرون أننا نعفو عنكم عما فات ، بارك الله فيكم ، ما فعلتم معنا شيئا ، إنما فعلكم في أنفسكم . والحقيقة أننا نأسف على ما حصل ، وأنتم ليثبت لديكم ثلاثة أمور :

أولا — أننا نشفق على كل عربي .

ثانيا — إن الصداقة التي بيننا وبين والدكم محمد بن إدريس لا ننساها ولو لم يبق منكم غير امرأة واحدة .

ثالثا — لو أنكم فاعلون جميع الأفعال وتأتون إلى محلنا ومقامنا فاننا ننسى ما فعلتم ، ولا ترون منا إلا الإكرام عاجلا وآجلا »

عبد العزيز

وقد لقيت السيد عبد الوهاب الادريسي وغيره من الادارسة غير مــرة فوجدتهم مخلصين لابن سعود ، ويكثرون الشكر له والثناء عليه .

وبعودة الادارسة إلى ابن سعود انتهت الحرب اليمنية السعودية بالصفاء والمودة بين اليمن والمملكة العربية السعودية .

ولا شك أن هذه المعاهدة قد أعادت الصفاء بين الشعبين : السعودي واليمني وأوجدت بين العاهلين والمملكتين صلات ودية وروابط أخوية تحت ما كان بفضل الله ثم بفضل الملكين .

واذا كان قد تم هذا — والحمد لله — فإن هناك حوادث وقعت ، يجب ألا يغفلها التاريخ ؛ لأنها حوادث بالغة الخطر لو لم يدفعها الله عز وجل عن الجزيرة العربية لتغير وجه تاريخها ، والفضل لله ثم لحنكة فيصل السياسية وحكمته وعبقريته.

ففي يوم الجمعة ٢٠ محرم سنة ١٣٥٣ ظهرت قطع من الأسطول البحري الإيطالي وقطع من الاسطول البحري البريطاني قرب ميناء الحديدة ، وفي يوم السبت ٢١ محرم دخلته القوات السعودية ؛ وفي يوم الأحد ٢١ محرم دخل الأمير فيصل الحديدة التي استقبله سكانها بحماسة وحفاوة .

وفي هذه الأثناء رست قطع البحرية الايطالية على الميناء ، وأخذ الجنود الايطاليون يتزلون إلى البحر ، فوقفت القوات السعودية في وجوههم : ومنعوهم من النزول ؛ ولم يستعملوا إلا الحسنى في التفاهم ، وأرسل الأمير فيصل إلى القائد الايطالي رسولا يرجوه أن يمنع نزول جنوده إلى البحر ، لأن الحرص على السلام والمودة يحمله على هذا الرجاء الذي يعتقد أن القائد نفسه يرجوه ؛ ثم بعد ذلك مستعد للتفاهم .

وأثرت رسالة فيصل في القائد الايطالي وعاد جنوده إلى السفينة الحربية ريثما يتم التفاهم مع القائد الأعلى للقوات السعودية الذي تعهد بضمانة سلامة كل رعايا الدول الأجنبية وأمنهم وعصمة أرواحهم وأهليهم وممتلكاتهم .

وهذه الحرب لم تكن لترضي الايطاليين الذين رأوا قوات ابن سعود تكتسح القوات اليمنية وتحتل أراضي الامام يحيى بسرعة ، ولم يكن عدم رضاهم بسبب الانسانية وحب السلام ، بل لأن الامام يحيى صديقهم الحميم ، وهم طامعون

في استعمار اليمن . فاذا سبقهم ابن سعود إلى احتلالها فحلمهم لن يتحقق .

والانجليز يخشون دخول الايطاليين جزيرة العرب وخاصة اليمن التي تستطيع قطع طريق الهند على بريطانيا .

وإيطاليا في ذلك العهد برزت في صف الدول الكبرى على يد موسوليني الذي كان يهدد الانجليز ويوجه اليهم سهام نقده العنيف ، وكان طامعا في انشاء امبراطورية تمتلك في افريقية وآسيا مستعمرات كما تملك بريطانيا .

وقد احتاط ابن سعود لتدخل الأجانب ، وقبيل احتلال الحديدة وجهت وزارة الخارجية السعودية إلى ممثلي الدول الأجنبية في جدة مذكرة هذا نصها :

« اتشرف بابلاغكم ان قوات الامام يحيى انسحبت من تهامة وتركت البلاد تحتلها قوات جلالة الملك ، وكانت النتيجة ان جنود الملك احتلت ميدى في ١٢ محرم (٢٦ ابريل) واللحية في ١٧ منه ، وتلقت الاوامر بالتقدم لاستلام الحديدة وفهم ان القوات اليمنية انسحبت منها .

« وبناء على هذا فقد اصبحت حكومة الملك مسؤولة عن ادارة البلاد التي تم احتلالها ، وبالطبع فقد اخذت على عهدتها في الوقت المناسب أمر البلاد التي تم احتلالها حديثاً .

« واحب ان أؤكد لكم ان مهمة حكومة الملك ستكون قائمة على توزيع العدل ، وتأمين الخائف ، وحفظ حق الضعيف . كما انها تحرص كل الحرص على سلامة النزلاء الاجانب الموجودين في البلاد المحتلة ، ولا تفرق بينهم في المعاملة ، وستبذل جهدها لتأمين وتقديم التسهيلات والمساعدات اللازمة لهم .

ان القوات التي يقودها الأمير فيصل تقدمت من اللحية إلى الحديدة للقبض على ناصية الحال واقرار السكينة والامان ، وينتظر ان يكون وصولها وقيامها بالواجب في أقرب فرصة » .

ثم أصدرت وزارة الخارجية السعودية هذا البلاغ :

« دخل الأمير فيصل الحديدة صباح الاحد ٦ مايو وتولى مقاليدها ، اليوم سافرت الباخرة « الحق » تقل البعثة المكلفة بتنظيم الادارة المالية في الحديدة برئاسة وزير المالية ومعه موظفون اداريون وماليون وقوة من الشرطة » .

وجرت اتصالات بين القائد الايطالي والأمير فيصل انتهت بسلام إلى بقاء الجنود الإيطاليين في بارجتيهم الحربيتين ريثما تنجلي الأمور ، ويستطيعون أن يعدوا أنفسهم ضيوف السعوديين ، ولن يجدوا غير التكريم والحفاوة .

واستطاع فيصل بحكمته أن يكبح جماح الايطاليين ، ويمنعهم من النزول دون أن يثيرهم حتى يبتعدوا عن الحديدة .

ثم لما انتهت الحرب وتخلت القوات السعودية عن الأراضي اليمنية التي احتلتها لم تعد الحاجة إلى مراقبة الحالة من قبل الايطاليين والانجليز . وانصرفوا عن العرب ليعملوا فيما بينهم على إيجاد مناطق نفوذ لهم في البحر .

والحرب بين ابن سعود والامام يحيى لم تكن كما ينبئ عنها مظهرها ، فهي لم تكن حربا بين عاهلين وحسب ، بل كانت حربا بين الدعوة الاسلامية التي يمثلها ابن سعود وبين الاستعمار الذي استخدم الامام يحيى ، ولم يفطن السياسيون والزعماء العرب لهذه الحقيقة ، وغفلوا عن مطامع موسوليني في اليمن ، وقد مهد لذلك بمعاهدة صداقة بين اليمن وايطاليا ليفتح باب اليمن أمام الايطاليين ، وتمت المعاهدة في سنة ١٩٢٦ (١٣٤٥) .

واستطاعت ايطاليا أن تجتذب اليمن اليها ، فقد أغرقتها بالأعطيات والهدايا والمساعدات التي كان لها الفضل في إبرام تلك المعاهدة الايطالية اليمنية ، ودخل اليمن عدد من الايطاليين .

وفي الوقت الذي كانت الحرب مشتعلة بين ابن سعود والامام يحيى كانت

مطامع موسوليني ظاهرة للعالم . فهو مصمم على انشاء امبراطورية أو إعـادة امبراطورية روما القديمة ، ويقتضي ذلك منه استعمار بلدان في آسيا وافريقيا ، وها هي ذي اليمن تدخل معه في معاهدة تخول لايطاليا بعض النفوذ الذي يمكن أن ينقلب استعمارا ، ووجود علاقة طيبة وشيجة بين اليمن وايطاليا يسمح له باستعمار الحبشة الذي أعد له خطته ، وينتظر أوانه .

وقد تمت معاهدة الصلح بين ابن سعود واليمن في شهر صفر سنة ١٣٥٣ ونشبت الحرب بين ايطاليا والحبشة في أواخر شهر رجب سنة ١٣٥٤(٣ اكتوبر ١٩٣٥) وانتصر موسوليني واحتل الحبشة كلها ، وخرج عاهلها هيلا سلاسي طريدا .

وزادت مطامع موسوليني في اليمن والبحر الاحمر ، وكانت المملكـة السعودية يقظة لمطامعه ، ولهذا كانت ترقب صلاته باليمن ، لأن الحرب التي كانت بينها وبين ابن سعود التي انتهت بتلك المعاهدة لم ترض الايطاليين ودول الاستعمار الغربي ، فقد كان انتصار ابن سعود نصرا للاسلام ، وهذا أمر يبعث على القلق بالنسبة لخصومه .

والامام ليس من الغباء إلى حد ألا يفطن لما يريد الاستعمار بالإسلام ، بل يعرف ذلك ، ولكنه هو ــ أيضا ــ خصم الوهابية ويتمنى موتها ، ولست بهذا أذهب إلى أن الإمام يحيي كان ضد الإسلام ، بل هو أحد أئمته ، إلا أنه يرى الوهابية خارجة على الاسلام ، فهو لهذا على غير وفاق معها ، وإذا كنت لا أذهب إلى أن الامام ضد الاسلام فانني أقرر ــ هنا ــ أنه كان على خطإ شنيع في اعتقاده أن الوهابية خارجة على الإسلام .

والشيء الذي غفل عنه الإمام وأمثاله من الحكام أن الوهابية في حقيقتها يقظة الإسلام في القرنين الماضيين ، ولم تقم حركة في العالم خلالهما تعتبر حركة الإسلام الكبرى القوية إلا حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب التي كانت نذيرا

للاستعمار والحكام الغافلين المبتدعين من العرب والمسلمين .

ومن الغريب أن تتفق الحكومات المسلمة مع الاستعمار فى محاربة الحركة الوهابية أو لا غرابة ، فهذه اليقظة خطر على الحكومات المسلمة خطرها على الاستعمار ، وهذا سبب محاربتها فى موطنها الأول وفى كل مكان .

فاذا حورب ابن سعود من قبل من حاربوه فانما كانت كل تلك الحروب دينية ، فابن سعود نفسه وهابي ، وهو زعيم الوهابية ، والمسئول الأول عنها ؛ لأنه إمامها الاعظم .

حاربه ابن صباح ، وابن الرشيد ، والحسين ، وأخيرا الإمام يحيى ، حاربوه جميعا وهم يرون أنهم يحاربون الوهابية فى شخصه ، وأما حرب الإمام إياه فقد اشترك فيها الاستعمار .

وقد أشرت إلى ذلك فى بحث لى نشر بجريدة « البلاد » السعودية العدد ٨٣٣ الصادر فى يوم الجمعة ٤ شعبان سنة ١٣٩١ (٢٤ سبتمبر ١٩٧١) وهذه فقرات منه :

« ما كانت مغامرة عبد العزيز بروحه وارواح رجاله من أجل السلطة وحدها ، لأن مغامرة كهذه من قبل عبد العزيز لن تكون كفاءها سلطة وحسب .

« وما كان عبد العزيز ليثور على حكام بلاده لو كانوا حاكمين بالقرآن ، وما غامر اسلافه لولا الايمان بضرورة الجهاد من أجل سيادة القرآن .

« والدولة السعودية منذ نشأتها الاولى قبل قرنين حتى هذا التاريخ الذى تكتب فيه هذه الكلمات وليد الدعوة الاسلامية التى قام بها المصلح العظيم الامام محمد ابن عبد الوهاب ، بل لا يمكن الفصل بين الدولة والدعوة ، فهما كيان موحد .

« ونجحت الدعوة الدينية لانها قامت على اساس الاسلام الصحيح الذى

يقوم على الروح والجسد ، والدين والدنيا والدولة .

«وهذه الحركة التي انبعثت في نجد في وقت غرق فيه العالم الاسلامي والعربي في الخرافات والبدع والوثنيات كانت الحركة الاولى في العصور الاخيرة ، كما كانت الحركة التي غذت الحركات التي عاصرتها أو تلتها .

« واتحافت الحركة الاستعمار كما اتحافت العناصر غير المؤمنة المحيطة بالخلافة ، وتضافرت مخاوفهم ومخاوف العلماء المرتزقين المستفيدين من جهل العامة على محاربة الدعوة في كل الميادين .

« وفي الوقت الذي قام عبد العزيز بحركته كان الاستعمار الغربي يسيطر على العالم الاسلامي والعربي سيطرة مباشرة أو بوساطة نفوذه وقواه ومؤامراته ومكائده . ويضاف إلى ذلك أن العالم العربي والاسلامي قد انتهى إلى حال من الضعف والضعة والتخلف والتأخر والجهل لا توصف .

« والحكام العرب كانوا ضعافا ، فبعضهم واقع تحت نفوذ الاستعمار المباشر ، وبعضهم تحت النفوذ غير المباشر ، وبعضهم كان مواليا تابعا لدولة الخلافة التي اضعفتها مؤامرات الاستعمار والحروب مع روسيا القيصرية .

« وخلا العالم الإسلامي والعربي من زعيم يجدد شباب الاسلام ويقود حركته ، وبينا الأمر كذلك ينهض عبد العزيز ليحيي دولة الاسلام التي اوجدتها دعوة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب .

« وعبقرية عبد العزيز السياسية والادارية وذكاؤه والمعيته جعلته يخفي القوة التي ستكون خطرا على الاستعمار لئلا يقضي عليها في مبدأ أمرها ، فلم يجعل لنفسه لقب الملك ، بل قنع بأن يكون لقبه متواضعا .

«وعندما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤ م) دعا ابن سعود إلى أن

يتحد حكام العرب ، وكتب اليهم ، وممن اتصل بهم من هؤلاء الحكام : الحسين ابن علي ، والامام يحيى ، والصباح ، والرشيد ، وكانت الدعوة إلى اتخاذ خطة موحدة في هذه الحرب والافادة منها ، والعمل من اجل الاسلام الذى يراد اضعافه واضعاف المسلمين .

« ومع أن رسائل ابن سعود في هذه الفترة التي تبدأ من سنة ١٣٣٢ هـ إلى سنة ١٣٣٦ هـ كان يمضيها تحت هذه الالقاب « خادم الدولة والملة والوطن أمير نجد وشيخ عشائرها » فإنه كان مدركا ان الخلافة تتعرض لمحنة قاسية قد تودى بها ، فدول الغرب التي اجتمعت على حرب المانيا وحليفتها دولة الخلافة ستعمل على تقويض الخلافة ليتسنى لها اغتصاب الاقطار التي تتكون منها .

« ولكن رسائله لم تجد جوابا ، وكان كل حاكم يعمل وفق مصلحته الشخصية ، فاضطر ابن سعود إلى العناية بما تحت يده .

« واذا كان كل حاكم يعمل لمصلحته ويهتدى برأيه فان ابن سعود كان يهتدى بالقرآن يأتمر بأمره وينتهي بنهيه ، وكانت امنيته وغايته نجاح حركة الإسلام التي قامت على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب .

« ودعوة الشيخ لم تكن مقصورة على بلد أو قبيلة ، بل هي دعوة عامة ، لأنها دعوة الاسلام التي تنتظم الانسانية وبخاصة اقطار الاسلام أولا .

« فلما اصطدمت الدعوة بخصومها من الدول والجماعات والمذاهب عنف الصراع حتى زالت الدولة السعودية غير مرة .

« ورأى عبد العزيز ما تتعرض الدعوة له في مواطنها الاصلية فنهض لحمايتها ، واضطر إلى انتزاع السلطة من أيدى مغتصبيها الذين آذوا معتنقي الدعوة ليضمن لهم الامن .

« وباسم الدعوة ظهر ابن سعود ، ومن أجل الدفاع عنها وتثبيت قواعدها كانت الحروب التي خاضها ، واستطاع ان يجنب الدعوة خطر الاصطدام المسلح مع خصومها من الدول الاستعمارية الكبيرة .

« ومن اشد الاخطار التي واجهها ابن سعود حركة موسوليني التي أراد منها مزاحمة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في الشرق العربي ، ومشاركة هاتين الدولتين الاستعماريتين في الغنائم . فأراد الدخول في الجزيرة عن طريق اليمن ، ليحارب الدعوة الوهابية التي يحمل رايتها ابن سعود بدعوة الاسلام التي ندب موسوليني نفسه لحمل رايتها ، مع أنه من أكبر ملاحدة الأرض . ولكن الحكم والطمع في اغتصاب الاقطار الاسلامية جعله يدعي حماية الاسلام .

« وفطن ابن سعود لحركة موسوليني فقاومها ، واستعد للحرب ، وساءت العلاقات بين اليمن وابن سعود ، وجاءت قطع بحرية من الاسطول الحربي الايطالي إلى الحديدة وسواحل اليمن .

« وكان الملك فيصل حينئذ نائب الملك في الحجاز ، وكان عليما بنيات موسوليني ومطامعه ، وكان فيصل وزيرا للخارجية الى كونه نائب الملك ، واحاط أباه علما بمطامع الدوتشي .

« ولم يفطن زعماء العرب وحكامهم وقادة الفكر فيهم إلى ما وراء هذه الحرب ، ولم يفطنوا إلى ان الاستعمار نسج خيوط مؤامرته ليضرب الدعوة الاسلامية التي يقود ابن سعود حركتها .

« يقول الكاتب الجزائري الاستاذ مالك بن نبي في كتابه « وجهة العالم الاسلامي » صفحة ١١٢ الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ م .

« ولكن احكامنا بكل اسف لا تكشف في الغالب الا عن تحديد عاطفي لموقفنا . فنحن لا نحكم وانما نأسى ، نحن نكره ونحب . ولا شيء غير هذا .

« ولقد اصيب بهذا الخلل كبار مفكرينا الذين نيطت بهم مهمة الاصلاح ،

فها هو ذا المغفور له الشيخ عبد الحميد بن باديس — وقد شهد النزاع يحتدم بين ابن سعود والإمام يحيى — ينشر مقالا عام ١٩٣٤ يأسى فيه على « إراقة دماء المسلمين » ويعنف فيه الرجلين دون تفرقة ؛ كأنما الشيخ لم يتبين عظم النزاع الذى تقف فيه القوى الروحية والمادية في النهضة الاسلامية متجسدة فى الفكرة الوهابية فى وجه قوى الانحطاط والتدهور ممثلة فى الإمام يحيى ؛ تؤيده — كأنما بمحض الصدفة — قوى الاستعمار .

« ولقد أغفل هذا الحكم الجانب الناطق من الموقف ؛ وهو سرعة المناورة التي قام بها الجيش السعودي الفتي فاحبط الخطة الاستعمارية بالاستيلاء على « الحديدة » خلال اربع وعشرين ساعة ؛ كما اسقط من حسابه موقف موسوليني الذى كان يطمع فى احتلال اليمن « لحماية الاسلام » .

« وقد صدق المفكر الجزائري فيما ذهب اليه ؛ فابن باديس لم يفطن لحقيقة الحرب بين ابن سعود والإمام يحيى ؛فاستنكرها ولام الجانبين على سفك الدماء البريئة ، ومثله موقف غيره من المفكرين الذين لم يفطنوا إلى ما وراء الاحداث ، وفاتهم إدراك الأصابع الخفية التي تحرك تلك الاحداث الخطيرة ؛ ولو ادركوا الحقيقة لايدوا ابن سعود الذى يقود في يقظة ومهارة القوى الروحية والمادية في النهضة الاسلامية متجسدة فى الفكرة الوهابية فى وجه قوى الانحطاط والتدهور المؤيدة من قوى الاستعمار كما ذكر المفكر الجزائري .

وجابه مؤسس هذه الدولة الملك عبد العزيز قوى جبارة تريد حطم الدعوة وحمى الدولة حكومة وشعبا ؛ ولكنه حماها بفضل الله ومكّن لها ان تنتشر فى العالم العربي والاسلامي لتمهد السبيل لقيام تضامن اسلامي ينتهي بالكتلة الإسلامية التي تقف فى وجه الكتلتين : الغربية والشرقية » .

وعلى أي حال انتصر الاسلام الذى حارب من أجله ابن سعود ؛ وقد ايقظت الحرب الامام يحيى ، فقد فطّنته ابن سعود لمطامع موسوليني ، وحذره منه ومن الاستعمار الغربي ، وكلاهما يريدان باليمن شرا وقاه الله منه بالحرب الكبرى الثانية التي انتهت بزوال النفوذ الايطالي ثم بزوال النفوذ البريطاني .

الاعتداء على ابن سعود

في الصباح من هذا اليوم الجمعة العاشر من شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٣ هـ والشمس لم تشرق بعد من مخبئها كانت مكة هادئة صامتة ، فكل من بها قد اندفعوا الى عرفات للحج ، وانتقل التهليل والتكبير والصخب والضجيج الى عرفات ، ثم أفاض كل ذلك مع الناس منها الى « منى » منزل كل حاج من مكة وغير مكة ، فاكتظت بيوتها وجبالها وطرقاتهـــا وأزقتها بالناس من كل جنس ولون ، فلا يجد المرء مغرز ابرة بين هذه الجموع التى لا عد لها وقد تركوا عرفات وأفاضوا منها إلى « المُزْدَلِفة » ثم إلى « منى » لا فرق بين الناس في شيء : كلهم سواسية ، الملك كغيره .

وابن سعود ليس كالملوك الآخرين ، بل هو مسلم مؤمن متواضع لا يحب التعاظم والصلف ، يضاف الى ذلك توكله الصادق على الله ، لا يدرع بحرس ولا يعتصم ببروج ، بل يرى كأي من الناس يروح ويغدو : لبيك ، اللهم لبيك .

وقبيل الساعة الواحدة بدقائق من صباح يوم الجمعة العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٥٣ هـ غادر الملك « منى » وتركها يصخب انسانها وحيوانها وسياراتها

وأغذ السير الى مكة ليؤدي فروض ربه ويصلي صلاة عيد الاضحى المبارك ، ويطوف طواف الافاضة في بساطته المشهورة وتواضعه المعروف .

وبينا هو في طوافه وعلى يساره البيت الحرام — كما يجب — وخلفه ابنه البطل الغالب سعود ، وعن يمينه رجاله وحاشيته ورجال الشرطة يطوفون كابن سعود والحرم مملوء بالناس انتظارا لصلاة العيد ، وتجتمع أصوات الداعين وتكبير المكبرين وتهليل المهللين فيسمع لها دوي تردد صداه جبال مكة ، وكل ماض الى ربه يعبده كما يشاء له عقله وقلبه وذوقه ووجدانه .

وأتم ابن سعود شوطه الرابع واستلم الحجر الاسود ، ثم مشى خطوات أربع فكان عند باب الكعبة آمنا مطمئنا يدعو الله خالصا مخلصا ، فاذا رجل يخرج من الفجوة الشامية لحجر اسماعيل عليه السلام متنضيا خنجرا وهو يصيح صيحات منكرة غير بينة الالفاظ وجهت اليه الانظار ، واندفع كالسهم نحو العاهل المحبوب فرده الشرطي الشجاع « أحمد بن موسى العسيري » الا أن الشقي المجرم الأثيم عاجله بطعنة كان فيها حتفه ، فوقع على صحن المطاف يتضرج دمه على أقدس بقعة في الارض . فتصدى له شرطي آخر اسمه « مجدوع ابن شباب » وأمسك بالمجرم ، ولكنه عاجله بطعنة طرحته عند رفيقه .

وقف ابن سعود عن اتمام الطواف ليشهد ما وقع ويستقبل ما سيقع من قضاء الله وقدره ، واستعد للدفاع بيديه اذ ليس معه سلاح ، فأشهر مماليكه بنادقهم فمنعهم وأمرهم ألا يضربوا أحدا الا اذا رأوا منه شرا ،الا أن المجرم تقدم في حين أن زميلا له تقدم على مقربة منه حيث خرج من الفجوة الاخرى للحجر واتجه الى ولي العهد الامير سعود ، حتى اذا كان على قيد خطوات منه التقط سعود المجرم الاول فألقاه بعيدا لئلا يعتدي على أبيه الملك المفدى ، فعاجل عبدالله البرقاوي حارس الملك الخاص المجرم الاول بطلقة أردته لفوره ، وكفى الله المؤمنين شره ، وفي تلك اللحظة باغت المجرم الثاني الامير سعودا حينما التقط

رفيقه الباقي وألقاه ، ورفع خنجره ليطعنه به ، وفي اللحظة التي هوى بالخنجر على كتفه ولامس الاحرام يضطبع به التقطه الحارس الخاص لسموه واسمه « خير الله » برصاصة طرحته صريعا يتشحط في دمه الخبيث ، ولم يصب الامير الا بخدش يسير في أسفل كتفه الأيسر .

وخرج المجرم الثالث من الحجر مع المجرم الثاني واتجه من ناحية الركن اليماني الى الحجر الاسود ، ولكنه أبصر ما حل برفيقيه اللعينين فأطلق ساقيه للريح يسابقها فرارا فأدركه رصاص جنود الشرطة ورصاص حاشية الملك والامير فسقط على الارض ونفسه يتردد ، فقبضت عليه الشرطة ولم يستطع الكلام ، الا أن المحققين استطاعوا بعد جهد أن ينتزعوا من فمه اسمه وهو « علي » .

وقد قال ابن سعود لمهنئيه : « ان الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم ، وأنا شخص لا يهمني الا اقامة كلمة التوحيد ، والمحافظة على ما بيدي ، والحافظ هو الله عز وجل ، ولما وقع ما وقع وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همي غير المحافظة على الحجاج ومنع تسرب أخبار الحادث الى خارج الحرم ، فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ومنع سفك الدماء فيه ، وأتممت الطواف وخرجنا عائدين الى منى » .

وتولى مدير الامن العام التحقيق لمعرفة شخصيات الجناة الثلاثة والاسباب الدافعة لهم الى ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء في أقدس بقعة وأشرف مكان وأكرم يــوم .

وما كاد الشعب السعودي يعلم أن الجناة من الزيديين اليمنيين حتى جن جنونه وثار كالليث الغضوب مريدا الفتك بكل يمني انتقاما لمليكه الذي يفديه بالروح ، فأمر الملك بألا يعتدى على الحجاج اليمنيين ، بل أنذر كل من يعتدي عليهم بالعقاب الشديد ، فكف الناس عن الاذى والانتقام احتراما لمليكه واطاعة

لأمره ، الا أن السخط بلغ منهم مبلغا لا حد له ، وثار الحجاج المصريون وهتفوا بحياة الملك والامير وتنادوا بالانتقام من اليمن ، لأن الجناة الزيديين ارتكبوا أشنع الجرائم في أقدس المواضع على الاطلاق ، ولم يبالوا حرمة الدين ، ولا الشهر الحرام ، ولا المكان الحرام ، ولا اليوم الحرام ، وأرادوا الاعتداء على « ابن سعود » الملك العربي المسلم الرحيم الذى أعاد الى أذهانهم سيرة السلف الصالح ، وعلى ولي العهد الوديع المحبوب ، وشاركهم شعورهم كل الحجاج ، الا أن الملك شكرهم على شعورهم النبيل وقال لهم :

« انا نشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمائه ، ثم نشكر وفود بيت الله الحرام والشعب الكريم على هذه العواطف النبيلة التي تجلت بمناسبة الحادث .

« ان الله قد جعل هذا البيت آمنا للناس ، والحجاج هم ضيوف الله واخواننا ، فمن واجبنا أن نعنى براحتهم ليتمكنوا من أداء مناسكهم ، وقد من الله علينا بأن ساد الهدوء في جميع أنحاء المملكة ،وقد لعب الشيطان في رءوس بعض الناس فحاولوا تعكير صفو الامن وتعطيل شعائر الله في بيت الله ، ولكن الله عز وجل الحافظ لدينه قد رد كيدهم في نحرهم ، فأبطل دسائسهم ووقى المسلمين فتنتهم ، وسيلقى المجرمون جزاء ما صنعت أيديهم .

الناس يبلوننا والله يعيننا عليهم ، أنا لا يهمني شخصي ، ولا أسرتي ، ولا أولادي ، أنا لا يهمني الا نصرة الدين الحنيف » .

وبينا الحجاج يروحون ويغدون وأفراد الشعب يترددون على الملك وولي عهده مهنئين بسلامتهما والبرقيات تتطاير اليهما من كل بلاد العالم،من الملوك ورؤساء الوزارات والوزراء والزعماء والاقطاب كان مدير الامن العام يعمل في صمت وسكون ، وأخذ يحقق ويتحرى حتى انتهى الى أن ثلاثة من الزيديين كانوا يقيمون عند امرأة بجبل أبي قبيس ، وكانوا بعيدين عن جماعتهم ، فهاجم

دار المرأة ، وسئلت عن نزلائها فقالت : أنهم متغيبون من يوم الوقفة ولم يحضروا بعد ، وفتشت غرفتهم فوجد بها ثلاثة جوازات سفر صادرة من الحكومة اليمنية باسم ثلاثة أفراد ؛ هم :

١ — النقيب علي بن حزام الحاضري ، مستخدم في الجيش اليمني المتوكلي ، ورقم جوازه (٩٨) وتاريخه ١ شوال سنة ١٣٥٣ هـ وهو صادر من مأمور الجوازات بصنعاء ، ومصدق من عامل صنعاء .

٢ — صالح بن علي بن حزام الحاضري (شقيق الاول) ورقم جوازه (٣٤) وتاريخه ١ شوال سنة ١٣٥٣ هـ ومهنته مزارع ، والجواز صادر من مأمور الجوازات بصنعاء ، ومصدق من عاملها .

٣ — مسعد بن علي بن حجير ، من بلدة حجر باليمن ، ورقم جوازه (٦٣) وتاريخه ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هـ وهو صادر من أمير الحج اليمني محمد غمضان ، وصاحبه عسكري في الجيش اليمني المتوكلي .

وعرضت على المرأة جثث القتلى ، فعرفت صالحا بوجهه ، وعرفت ملابس الآخرين لتغير منظر وجهيهما ، وذكرت أن اخت معلوفي الشافعية أسكنتهم عندها ، وأيدت قول تلك المرأة .

وحقق مدير الامن العام مع شيخ اليمنيين بجدة ، فاعترف بأنه أعطى ورقة التصريح بالسفر باسم مبخوت ، وذلك بوساطة أخيه علي بن مبخوت القران بجدة .

وبالتحقيق مع هذا وعرض جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية عليه عرف ثلاثتهم ، وذكر : أن أحدهم أخوه واسمه مبخوت بن مبخوت الحاضري ، وأن الآخرين هما : صالح بن علي الحاضري وعلي بن علي الحاضري ، وهما شقيقان .

وأدلى القران قائلا : إنه اجتمع بأخيه في جدة ، وبات عنده ثم توجه معه الى مكة وباتا مع الجانيين الآخرين في جبل أبى قبيس .

وقال القران أيضا : إنه تركهم وصعد الى عرفات ، ولم يجتمع بهم الا صباح يوم العيد في المطاف ، ولكنه مضى وحده الى مقام ابراهيم في حين أن الجناة دخلوا حجر اسماعيل ، ولم يعلم السبب الذى حدا به الى ترك جوازه مع المجرمين .

* * *

وأقام الشعب حفلة عظمى للملك والامير لنجاتهما من هؤلاء البغاة الادنياء . وتبارى الخطباء والشعراء في القاء الخطب والقصائد ، وكان من أجمل ما قيل وأنشد قصيدة الشاعر الاستاذ خير الدين الزركلي ، ومطلعها :

ليست خناجر في أيدي الاولى اجترموا لكن مفاتيح غمدان لما استلموا

ومنها :

ضل الجناة سبيل النيل من ملك لولاه ، ما صين بيت الله والحرمُ
عبد العزيز الامام الحق تكلؤه عين من الله ، لا جند . ولا حشمُ
البغي والكيد مدا حوله شركا فكان في شرك الجانين حتفهمُ
سلت يد الغدر نصلا دون طعنته جبريل يرعى ، وميكائيل يحتدمُ
وفي سعود فتى الفتيان خير أب فردها طعنة نجلاء تخترمُ
وقال : بابنك ان كان الفداء فدى هذي يدى وزنادي العزم لا الضرمُ
تناول الفاتك الجياش يرفعه كالصخر بالزبد المدار يصطدمُ
لولا الاناة ولولا الحلم لانعقدت سحابة النقع ، وانهلت دما ديمُ

وقال الملك الصالح التقي الورع الزاهد للصحفيين حينما سألوه عما اذا كان جلالة الامام يحيى مدبرا الحادث الاليم :

« انى لا أعتقد أن يقدم (أى الامام يحيى) على مثل هذا العمل ، والرجل ذو دين ، والصلات بيننا وبينه على أحسن ما يرام .

« والله . ان هذا الحادث الذى وقع فى الحرم وقر فى نفسى وأنا فى عرفات ، وكأنى أشعر به ، ولكن قلت فى نفسى : ان الله سيكفينى هذا الشر ، وكنت أحدث نفسى : كيف يمكن القبض على الجانى اذا تغلغــل بين الناس .

وبعد أن نزلت من عرفات كان الله قد أنسانى ذلك الذى وقر فى نفسى ، ونحن مالنا فى شيء من أعمالنا الا الاعتماد على الله » .

وأبرق الامام يحيى مستنكرا هذا الحادث ساخطا على مرتكبيه : مستنزلا اللعنة على الباغين الملحدين بظلم فى الحرم الشريف ، وأقسم الامام بالله أنه من حين بلغ بالحادث من جلالته لم يستقر له قرار ، وتبرأ منه تبرأ الذئب من دم ابن يعقوب – على حد تعبير الامام – وأن قلبه يتقطع أسى وكمدا ، وعينه أذرفت الادمع أسفا . ويرجو أخاه الملك المحروس من الله أن يزيل عنه حزنه بسبب هذا الحادث الفظيع .

وأبرق الامام الى السيد عبدالله بن أحمد الوزير الذى كان بمكة حاجا يأمره بأن يضع نفسه تحت تصرف أخيه الملك ابن سعود ، ويمتثل أوامره ويجد فى البحث حتى يصل الى الحقيقة ، كما أن الشيخ محمد راغب وزير خارجية اليمن بعث ببرقية الى خارجية المملكة السعودية يقسم فيها بالله ثلاثا بالبراءة التامة من الحادث والجهل به ، ويناشد الحكومة السعودية أن تحقق وتخبر حكومة اليمن بنتيجة التحقيق لتطمئن .

وأنا كمؤرخ أبرىء الامام يحيى من أن يكون لديه خبر عن هذا الحادث فضلا عن تدبيره ، وأوقن أن رجلا مثل الامام له خلائقه الفاضلة النبيلة لن ينزل

الى هذه الدركات ؛ وأكرم من أن يغدر ، بل أوقن أن غلف القلوب المطبوعين على الضراوة والشر يبرأون الى الله من ارتكاب مثل هذا العمل ؛ فكيف بالامام وهو من نعلم دينه وأمانته ، بل أبرىء أبناء الامام أيضا ؛ لانني أعتقد أنهم لن يقدموا على عمل مرذول كهذا وهم ذوو دين وايمان ، وقد أقسم لى الامير سيف الاسلام عبدالله أن اباه الامام يحيى وانه هو نفسه واخوته يبرأون الى الله من هـــذا الحادث الذى لا يقدم عليه الا من فقد انسانيته ، وأكـد لى سموه أن والده الامام لم يتمالك نفسه من الحزن والبكاء حينما سمع بهذا الحادث الشنيع .

ولكن هذا أمر الله وقدره لا راد له ، والحمد لله الذى أنجى عبديـــه الصالحين ، وأذاق المجرمين جزاء الدنيا مدخرا لهم فى الآخرة أشد العذاب .

فى الحرب الكبرى الثانية

لم يمتحن العالم فى عمره الطويل كما امتحن فى هذه السنوات ، حيث ابتلي بمحنة مستشرية نهمة تجتاحه اجتياحا ، وألقي فى جحيم ما يطاق حره ، فالشعوب كلها — غنيها وفقيرها قويها وضعيفها عالمها وجاهلها — مرزوءة منكوبة تستعبدها الويلات وتحطمها الآلام ويستبد بها القلق . فما تكاد تفيق من غشية كاربة تطأ بأقدامها الجبارة الانسانية التى تشكو وتألم وتبكى الا الى غشية أخرى أشد وأقسى ! .

أرجع بنظرى الى الماضى البعيد قبل آلاف السنين فاذا بى أشهد هابيل يعدو على أخيه قابيل ويرديه . فينسكب دمه على الارض التى لم تألف من قبل شرب الدماء فتضطرب الآمال ، وتخمد المسرة ، وينتحب المرح ، وتستشرى الخصومة فاذا الدنيا تستقبل عهدا جديدا كابيا مؤلما . تستقبل الشقاء العابس ، وتستدبر السذاجة الموموقة والبراءة الاصيلة والحنان واللطف والسراوة والبشاشة ! .

يا ليتها كانت القاضية ! لو كانت لاستراحت الانسانية مرة واحدة ، ولكنها لم تكن فكانت النكبات الرادفة يصارعها وتصرعها تارة وتنجو منها تارة أخرى ، وأخذ أبناء آدم الاشقياء يحلمون بالمدن الفاضلة ويطيرون مع الخيال

ويتخيلون النعيم ويبنون الفراديس ويشيدون الطوبيات فاذا هي هشيم تذروه الرياح ، حتى كانت الحرب الكبرى الماضية فصدم العالم صدمة عنيفة وفجع في أمانيه وأحلامه ، وما كادت تضع الحرب أوزارها حتى كثرت المذاهب .

غير أن الصلح لم يكن كاملا مستوفى الجوانب فعجز عن ضمانالطمأنينة والراحة والسلام للعالم ، ولم تتهذب في النفوس غرائز الفتك والضراوة فانبعثت الحرب من جديد تتقد نيرانها الحامية وتقرعه قوارعها فيذهل ويدهش ويستيقظ على صرخات الحرب ، ويفكر ساسته وقادته وأدباؤه وأصحاب الرأي في مصيره في حاضره ، وفي مصيره بعد الحرب ، ويعملون على تهدئة النفوس جهد المستطاع ، وينصحون للناس بالصبر على المكاره والخطوب والشغب ، والصبر على الجلاد حتى تهدأ سورة الحرب ويسود العالم السلام المنشود .

ولم تكن مصائب الحرب وويلاتها وكوارثها وقفا على شعب دون شعب ، ولم يتلظ بنارها المتحاربون ، بل حل بغير الجارم العذاب .

تلظى العالم كله وفجع في الاماني والاحلام ، ولكن بعض الشعوب — وتعد على الاصابع — استطاع أن يقف موقف الحيدة عاطفا على الديمقراطية عطفا أدبيا لأنها لا تحارب الحرية ، ويضمن بذلك الموقف لنفسه السلامة ، ويكون بمنجاة عن الخطر المجنون الزاحف .

ولعل البلاد السعودية هي البلاد الوحيدة في العالم القديم استطاعت أنتضمن لنفسها العافية والراحة والطمأنينة والامن في وقت تركض في الدنيا المحن والخطوب والفتن والشرور . وهذا بفضل الله عز وجل ثم بفضل ابن سعود الذي هيأه الله في هذا الوقت الكارب لينقذ البلاد المقدسة مما تستهدف له لولاه ، ولا شك عندي أن ابن سعود موفق مجدود وفقه الله حتى جنب بلاده الحرب وأهوالها ، ووقف بأمته هذا الموقف النبيل ، فأمن لها السبل ، وضمن لهـــا الارزاق ، وحنا عليها حنو الاب الرحيم على الولد البار .

ولا شك عندي أن ابن سعود إمام صالح بطبعه ودينه ونشأته ، فهو عربي مسلم حر ، ولم يثر على الحكام الا دفاعا عن الحرية : حرية العبادة الصالحة التي لا تستعبدها الخرافات ولا تسيطر عليها البدع ؛ حرية الفكر ليجهر كل بما عنده من آراء وأفكار تعين البلاد والامة على التقدم ولا تضر أحدا ؛ حرية العمل الصالح ليسعى كل فرد في سبيل النفع العام ، وهو انساني عن طبع وفهم وعقيدة ؛ ويحب الديمقراطية لأنه يحب الحرية والعدل والمساواة ؛ ويكره الدكتاتورية لأنه يكره العبودية والعنف والشدة والظلم ؛ وروح أعماله وخلائقه وأقواله روح انسانية تعيش من الانسانية في الصميم ؛ وهذا الكتاب كله دليل بين عليها .

وما دام ابن سعود انساني المعتقد والمبدأ والنزعة والعمل والقول فمن الطبيعي أن يميل الى جانب الديمقراطية التي تحارب الشر والعدوان ، الديمقراطية التي تجمعه بها أواصر شتى لا تنفصم عراها ، لأن الصداقة بينه وبين بريطانيا ليست حديثة عهد ، ولكن لها عمرا طويلا .

وما زالت بريطانيا — كما كانت قبل الحرب العظمى الثانية والاولى أيضا — تحرص على صداقة ابن سعود وتحمل له اكبارا وتقديرا واحتراما ، وتصفيه الولاء والمحبة ، لأنها وجدته ذلك الزعيم الجدير بزعامة الامة العربية ؛ وابن سعود من جهته يقدر بريطانيا ويذكر جميلها ويدل في المناسبات على أنه لا يغدر بالعدو فكيف بالصديق .

ولهذا وقف ابن سعود في هذه الحرب على الحياد وعطف على الديمقراطية وعلى بريطانيا عطفا مشهودا ؛ وعندما امتحنت في صميم بلادها أسرع بتعزيتها وتخفيف بلواها وبالنصح لها بالصبر والاهابة بها أن تقف وقفتها المعروفة أمام العدوان والظلم . فلن ينهزم — يوما — من كان يريد للعالم الخير والانسانية والسعادة ، بل النصر حليفه ولو طال المدى .

ولا أدل على وفاء ابن سعود الصادق لبريطانيا من قوله : « انا لنتذكر مع الشكر للحكومة البريطانية ما بذلته من المساعدات ، ولولا الله ثم مساعدة الحكومة البريطانية بالمؤن والارزاق لما أمكن أن يجد المسلمون هذا الرخاء في هذا الوادي غير ذي الزرع ، ولو قارنا حال هذه البلاد في الحرب الحاضرة وحالها في الحرب العالمية الماضية لوجدنا الفرق الكبير ، وهذا كله من فضل الله ثم بفضل المساعدات التي قدمتها لنا الحكومة الصديقة البريطانية ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1] .

بل بينه وبين بريطانيا معاهدات صداقة لا يمكن أن يستدبر بعض ما فيها أو يتنكر لها عند المحن والشدائد ، فهو لهذا ظل وفيا لها في رخائها وشدتها ، ولم يبال الدعاية ولم يحتفل بكلمات الاغراء ، أما علاقته بأمريكا الديمقراطية فهي علاقة صديق بصديق ، فهو اذ رأى أنها خطبت وده واستمنحت لبعض شركاتها امتيازا شريفا في أرضه وحافظت على العهود والمواثيق وتقربت منه طالبا لمودته الغالية استقبلها بترحاب وبسط لها جناحه ، وأخذت الصداقة تنمو كل يوم ؛ لأن كلا الفريقين ينميها بالاخلاص والمزاورة وتبادل النفع والتجارة .

وجاء كثير من أقطاب بريطانيا الى بلاد ابن سعود وزاروه في دياره فأعجبوا به أيما اعجاب وصادقوه ، فقد زاره اللورد أثلون — خال ملك الانكليز — وزوجته اليس في سنة ١٣٥٧ (١٩٣٧) فذهبا يبشران بعظمة ابن الصحراء وعبقريته وكرمه ونبله وأصالة طبعه ومتانة أخلاقه وصدق زعامته ومواهبه ، والكتب المؤلفة عنه باللغة الانكليزية كثيرة تدل على حفاوة البريطانيين بهذا الملك العظيم الذى يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم ، والعربي وغير العربي ، والشرقي وغير الشرقي ، لأن له صفات انسانية عامة يشترك في تقديرها والاشادة بها « الانسان » أيا كان جنسه أو دينه ؛ لأنها صفات انسانية كريمة .

---

(١) من خطبة القاها الملك عبد العزيز على وفود بيت الله الحرام في المأدبة التي أقامها لهم بعد مغرب يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ١٣٦١ (١٤ ديسمبر ١٩٤٥) وقد حضرها المئات من كبار الحجاج .

ثم جاء كثير من الامريكيين والاوربيين وغيرهم الى المملكة السعودية وقابلوا ابن سعود في الرياض وغير الرياض فأعجبوا بشخصيته اعجابا لا حد له ، أعجبهم منه هذا القوام الفارع والبناء الوثيق والسموق والحيوية ، كما اعجبهم منه نبوغه وعبقريته وعظمته وخلائقه التي لا يوهبها الا الزعماء الذين يخلقون لتغيير مجرى الحياة وصنع التاريخ ونقل الامم من حال الى حال .

وقد حرص الحلفاء على أن يبرهنوا لابن سعود على اخلاصهم له وحبهم اياه وتقديرهم له فبعثوا اليه رجالهم يحملون رسالات الصداقة والود والهدايا ، فبعث ابنيه العظيمين فيصلا وخالدا في شوال سنة ١٣٦٢ هـ (أكتوبر ١٩٤٣ م) الى أمريكا وبريطانيا لزيارة رئيسيهما الكبيرين : روزفلت وتشرشل ، وأهداهما سيفين من أجمل السيوف العربية المرصعة بالأحجار الكريمة رمزا على البطولة في الدفاع عن قضية الحرية والعدالة والمساواة .

واستقبل الاميران الجليلان من الرئيسين الديمقراطيين استقبالا عظيما فخما ، وتسابق شعباهما الى اظهار ما يكنان لابيهما الديمقراطي العتيد من المودة والاجلال والتقدير .

واني أفهم جيدا أن اصلاح العالم لن يكون على يد القوة الغاشمة ، بل أعرف حق المعرفة أن مصير الانسانية اذا تسلطت عليها الدكتاتورية العاتية الخراب والدمار ، أما اذا سادت الحرية الصحيحة فمصيرها العمران والفلاح والعدل والخير .

فلهذا نقف نحن العرب في صف الديمقراطية مع مليكنا العادل وتتمنى لها النصر ، لأن الامم الديمقراطية وعلى رأسها بريطانيا وامريكا صديقات العرب ،

وترجو ألا تنسى بعد ساعة المحنة وزوال الشدة من والوها وقدروها وأباحوا لها من أنفسهم مكانا ممهدا .

وجملة القول أن ابن سعود في هذه الحرب الضروس ليس مناوئـــا للديمقراطية ، بل هو عاطف عليها ، قادر لها جهودها ،متمن لها النجاح ، لأن رابطتها بأممها رابطة صداقة ومودة .

أما علاقته بجيرانه العرب فعلاقة حب تزيد وثوقا على مر الايام ، والسلام يخيم على جميع البلدان العربية ، وليس الحال في هذه الحرب كالحال في الحرب الماضية ، فملوك العرب وأمراؤهم متضامنون متصادقون ، وقد قربت حوادث الحرب بينهم فقاموا ينادون بالوحدة العربية التي ندعو الله بإخلاص أن يوفق الزعماء الى هذا العمل الذي يعتبر حدثا جديدا له أثره الطيب عند العرب والمسلمين .

* * *

كتب هذا الفصل سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ووقف العرب والمسلمون في كل مكان مع الحلفاء ، ونصروهم بأوطانهم وكل مقدراتهم وأرواحهم ، وخرج الحلفاء منتصرين من الحرب ، وغدروا بالعرب والمسلمين ، كما غدروا بهم في الحرب الكبرى الأولى .

خرج العرب والمسلمون من الحرب وقد أعدت لهم مخططات الغدر ، ووضعوا لكل التحركات العربية والاسلامية ما يقضي عليها ، فأعطوا الفرصة لليهودية العالمية والصهيونية ، بل هم أوجدوا لهما القوة التي ضربوا بها العرب ، واقتطعوا جزءا جد خطير من وطنهم الغالي ومكنوا اليهودية منه ، وأعانوهم

بالمال الذى لا يعد ، وبالسلاح الذى لا يوصف تدميره ، وبالرجال ، وبالنفوذ ، حتى أصبحت لليهود دولة تستطيع أن تهدد كل دول العرب مجتمعة .

ومنذ قيام دولة اليهود فى فلسطين والتأخر فى كل شيء تصيب العرب ، فبسبب وجودها تفتتت المجتمعات العربية ، وفسدت أخلاقها وعقولها وضمائرها ، واشتغل الحكام والشعوب عن التقدم والإصلاح بحاضرهم الفاسد المضطرب ، وتفرقت كلمتهم وصفوفهم ، وانهارت لديهم القيم الأخلاقية والإنسانية .

وكذلك الأمر بالنسبة للمسلمين من غير العرب ، فأقطارهم مستقلة ، ولكن الانجليز والامريكيين — وأقصد الدولة — ومن يأتمرون بأمرهم من الدول الخاضعة لنفوذهم وللنفوذ الصهيوني أخضعوا حكومات المسلمين لنفوذهم ، وجعلوهم تحت أمرهم ، ووضعوا للمسلمين وحكوماتهم مخططات تنسف كل حركة يراد منها إعادة شباب الاسلام إليه ، وتهدم كل بناء إذا رأوا أنه يطاول ما يبنون ، وتمتص كل ثرواتهم الطبيعية .

وكل من هم غير مسلمين وغير عرب لا يرضون عنهم ، وليس هذا العداء محصورا في السياسة ، بل تجده في الانسانية أيضا ، وعلى سبيل المثال : لم يقدر لعربي أو مسلم أن ينال جائزة نوبل في أي موضوع من موضوعاتها .

ومع كل ذلك ما يزال العرب والمسلمون يجرون وراء أعدائهم من الشرق الغرب ، يطلبون إليهم المودة فاذا هم أسرى أولئك الاعداء وأتباعهم المسخرون لخدمتهم .

ومن مخططات الاستعمار نسف قوى العروبة والاسلام ، ومن براعتها أن العرب والمسلمين لا يقاتلون عدوا من غيرهم ، بل يقاتل بعضهم بعضا ، وما

أعظم شجاعتهم وقوتهم وبطولتهم فى ضرب بعضهم بعضا .

وحل مشاكلهم سهل ويسير وبديهى . ألا وهو اجتماع الكلمة بعد الايمان بالله حق الايمان ، وعندما يؤمنون بالله يستطيعون أن يكونوا قوة ثالثة تكبح جماح القوتين : الشرقية والغربية .

والشيء الذى يؤلم الصالحين المصاحين أن الحروب تمر والعرب والمسلمون هم الخاسرون ، ثم تمر السنوات وخسارتهم تزداد .

اجتماع رضوى التاريخي

بين مصر والحجاز صلات وشيجة منذ فجر التاريخ الاسلامي وقبله ؛ وما زالت تتوشج على مرور الاجيال حتى وحدت بينهما الحوادث في هذه الايام من جديد ، فاجتمع عاهل مصر الملك فاروق بعاهل المملكة السعودية في سفح رضوى اجتماعا لا ينساه التاريخ الاسلامي والعربي .

وتقدير ابن سعود لمصر وعاهلها يرجع الى عشرين سنة مضت حينما بعث الملك فؤاد وفدا مؤلفا من فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي وسعادة عبد الوهاب بك طلعت للوساطة في النزاع الذي كان قائما بين الملك علي وابن سعود في سنة ١٣٤٣ ه .

ثم مرت الايام والصلات تزداد بين الشعبين : المصري والسعودي ، وكل منهما يقويها وينميها بجهد المستطاع ، ولم يدخر أحدهما وسعا في إظهار ما يكن للآخر من ود صادق ؛ حتى أن ابن سعود قال في مجلسه الحافل بوفود بيت الله الحرام في أوائل هذه الحرب للاستاذ الكبير محمد لطفي جمعة مـــا معناه : حينما زحف المحور بقواته المدرعة الميكانيكية وانتهى الى العلمين وضرب مصر بالطائرات كان كأنما ضرب بلاده .

وقد أراد الله للعرب والمسلمين خيرا فقدر أن يجتمع الملك فاروق بالملك عبد العزيز في الاراضي الحجازية المقدسة للتعارف ، ولوضع الاساس للوحدة العربية المنشودة .

سرى خبر مغادرة الفاروق مصر الى الحجاز فانتظر الناس بلهفة وشوق قدوم جلالته ، وكان الملك عبد العزيز أكثر شوقا الى الاجتماع ، فرحل الى سفح رضوى — الجبل المشهور — يعد العدة لاستقبال ضيفه العظيم ، فنصبت السرادقات الرحيبة الضخمة والخيام الكبيرة المزخرفة على صفين متقابلين : أحد الصفين معد للضيف ، والآخر للملك عبد العزيز .

وفي الساعة الخامسة من يوم الاربعاء ١٠ صفر سنة ١٣٦٤ هـ (٢٤ يناير ١٩٤٥ م) ظهر « فخر البحار » اليخت المقل للفاروق متجها الى ميناء ينبع ومعه الطوافة (فوزية) فاستقبله الملك عبد العزيز وفي معيته اخوته الامراء : عبدالله ومساعد وسعد أبناء عبد الرحمن وأصحاب السمو الامراء أبناؤه : فيصل (نائب جلالته) ومحمد (أمير المدينة) ومنصور (وزير الدفاع) وسعد وفهد وبندر وغيرهم ، وسمو الامير عبدالله الفيصل (وكيل نائب جلالة الملك ومعاونه) والشيخ يوسف ياسين والشيخ حافظ وهبه استقبالا وديا منقطع النظير ، وتعانق الملكان عناقا أخويا ، في حين أن « فخر البحار » أطلق إحدى وعشرين طلقة كتحية أجيب عليها بمائة طلقة وطلقة من الميناء السعودي .

وملأ المستقبلون سيف البحر والسهل احتفاء بجلالة الضيف الذى امتطى مع أخيه الملك عبد العزيز سيارته المتهادية بين صفوف الجند المتراصة لاداء التحية حتى وصل الى السرادق الضخم المعد لجلالة ملك مصر ، وبعد أن تبادل العاهلان عبارات الترحيب والحب والولاء ووجهاهما ينضحان بالبشر والسرور والبشاشة ، وتناولا القهوة العربية وكئووس المرطبات غادر الملك عبد العزيز سرادق أخيه الملك فاروق بعد أن دعاه الى تناول الغداء معه .

وقد رافق جلالة الفاروق في رحلته من بلاده العزيزة : مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية ، والفريق محمد حيدر باشا ياور جلالته ووكيل وزارة الشؤون الاجتماعية لمصلحة السجون المصرية ، والاستاذ عبد الرحمن بك عزام وزير الشؤون العربية بوزارة الخارجية المصرية ، وعبد العزيز بدر بك الامين الثاني ، وأحمد يوسف بك ، والقائمقام محمد حلمي بك ، وكريم بك ثابت الصحفي المعروف .

وفي الساعة السابعة كان الضيف الكريم المحبوب في سرادق الملك عبد العزيز ، وأخذ صدره ، وبين أيديهم أصحاب السمو الامراء الكرام ورجال الحاشيتين ، ثم تناولوا العشاء على مائدة صقر الجزيرة واستمتعوا بسمر عطره الملكان الكريمان .

وفي يوم الخميس الحادي عشر من صفر تناول جلالة الملك عبد العزيز الغداء على مائدة جلالة الملك فاروق ، ثم تناولا القهوة في سرادق الاستقبال ولبثا فيه ساعة ثم ودع الملكان بعضهما بعضا ، وغادر الفاروق المعظم المخيم الملكي الى المدينة المنورة للزيارة ، ورافقه أصحاب السمو الامراء : فيصل (نائب الملك) ومحمد (أمير المدينة) وسعد وفهد وعبدالله أبناء جلالة الملك ، والشيخ يوسف ياسين .

وبات جلالة الفاروق ومن معه من الامراء في « الحيف » بين ينبع والمدينة ، وفي الصباح غادر الموكب اليها فوصلها ضحى ، واستقبل الملك فاروق استقبالا حماسيا رائعا ، واحتفى به أهل بلد الرسول صلى الله عليه وسلم ورجال الحكومة احتفاء جد عظيم ، وأدى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة ، وسلم عليه وعلى صاحبيه ، ثم زار المآثر التاريخية وقضى بها ليلة السبت .

وفي الصباح غادر المدينة مودعا وداعا حارا الى المخيم الملكي حيث وصله عصرا ، ثم تبادلا الملكان الزيارة وتناول جلالة الملك عبد العزيز العشاء على مائدة

أخيه الضيف المعظم ومعه أصحاب السمو الامراء من آل سعود ورجـــال الحاشيتين . ثم تناول جلالة الفاروق القهوة بسرادق أخيه الملك عبد العزيز ، ولبثا معا الى منتصف الليل ، وكانت هذه الليالى كما يصفها البلاغ الرسمى السعودي : « من أروع الليالى وأجملها فى تاريخ الامة العربية » .

وفى صباح يوم الاحد ١٤ صفر تلاقى العاهلان بسرادق جلالة الفاروق ، وكان يوما مشهودا ، اذ خرج الناس والجنود الى الميدان العام يتطلعون اليهما ، فقدّم عاهل المملكة السعودية الى جلالة الضيف سيفا عربيا وخنجرا مرصعين بالجواهر والاحجار الكريمة تخليدا لذكرى هذا الاجتماع الفريد ، فى حين أن الفاروق ـ أيده الله ـ قدم الى أخيه ابن سعود قلادة محمد علي الكبير رمزا على الصداقة المتينة التي ربطت بين الاسرتين المالكتين برباط الود الوثيق .

ثم تبودل العلمان المصري والسعودي باحتفال عسكري رائع اشترك فيه جيش البحرية المصرية والجيش السعودي فكان ـ كما يقول البلاغ السعودي ـ رمزا الصداقة والمودة بين المملكتين الفتيتين ، ثم أقيمت مناورة هجومية من قبل الجيش العربي السعودي اشترك فيها الامراء السعوديون وهزجوا بنشيد حماسي حيوا به عاهل مصر العظيم ، وكان للمناورة أحسن الاثر والواقع فى نفوس الملكين والحضور .

وانتهى هذا الاحتفال الرائع الجميل فى الساعة السادسة والنصف ، ثم شرف جلالة الملك فاروق السرادق حيث كان فيه حضرات أصحاب السمو الامراء ، فتحدث اليهم معجبا بالعرض العربي والتقطت لهم الصور تخليدا لهذا الاجتماع .

وفى الساعة الرابعة والنصف تناول جلالة الملك فاروق الغداء على مائدة الملك عبد العزيز ، وقد شاركهما الامراء ورجال الحاشيتين ، ثم نهض جلالة الضيف الكريم ومعه أخوه جلالة عاهل المملكة السعودية وكل من معهما الى

سرادق الاستقبال فالى الميناء حيث توادع الملكان وتعانقا وابتهلا الى الله أن يقدر لهما اجتماعات كثيرة . وأكد كل منهما للآخر حرصه على الوفاء وعلى الصداقة والمحبة والولاء بينهما وبين بلديهما الشقيقين .

ورافق جلالة الملك فاروق من الميناء الى اليخت الملكي أصحاب السمو : الامير عبدالله بن عبد الرحمن ، والامير فيصل ، والامير محمد ، والامير منصور ، والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ حافظ وهبه ، وودعوه على ظهر اليخت الذى غادر الميناء فى الساعة العاشرة والنصف من يوم الاحد ١٣ صفر سنة ١٣٦٤ (٢٧ يناير ١٩٤٥) راجعا الى مصر محروسا بعناية الله .

وان الامة العربية والامم الاسلامية لتعلق على هذا الاجتماع التاريخي العظيم خير الآمال ، وتتمنى أن يكون فاتحة عهد جديد فى تاريخ الشرق ، فلعل الله يحقق لها الآمال . ؟

الجامعة العربية

قال الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وهذه شهادة لم تظفر بها أمة من أمم الرسل الماضين ، وإنما ظفرت بها أمة النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي شهادة حق ، فقد أثبتت هذه الامة الكريمة صلاحها للحكم والسيادة منذ أجيال مضت ، ونجد مصداق ذلك في تواريخ الخلفاء الراشدين والصحابة عليهم رضوان الله ، بل ليملكنا الدهش والاعجاب من هؤلاء الابطال الذين كانوا أقل منا مالا وأردأ طعاما وأخشن ملبسا يملكون الدنيا تملك راشد صالح ، ويزول دهشنا متى علمنا أنهم كانوا أقوى منا ايمانا بربهم وأعظم ثقة بأنفسهم وبقدرتهم حتى أطاع لهم كل صعب ، وزفوا للامم كلها بشائر الطمأنينة والسعادة والهدوء ، ونعم العالم فترة بالراحة والمنامة على أيديهم ، وأقاموا صروح المدنية الاسلامية : مدنية القرآن ، فانتعشت الآمال ، وشعر الناس ببشر وأمن وسلامة تتدفق من شريعة النبي الامي المحبوب ! .

بدو أشبه ما يكونون بالحضر — وهم أبعد ما يكونون عن قيود الحاضرة وتكاليفها وسخفها — يخرجون من بطاح مكة مغلوبين على أمرهم ثم يسودون الورى سيادة عادلة لا قهر فيها ولا ظلم ولا استبداد ، وبصافحهم أصحاب

الديانات المختلفة والمذاهب الكثيرة فرحين مستبشرين لأنهم وجدوا فى عهدهم العدل والمساواة والحرية ، وفى جوارهم الامن والغنى والوفرة والرخاء والسلام.

أولئك العرب — أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام — نمط خاص فى صانعي التاريخ وبناة الحضارات وقادة الشعوب لا مثيل لهم لا من قبل ولا من بعد ، بل يخيل الي أن لهم قوالب خاصة صُبَّتْ فيها آدميتهم النبيلة وعظمتهم الحق ونفوسهم السمحة وعقولهم الراجحة وخلائقهم المثلى ثم انعدمت تلك القوالب فلم يعد يخلق مثلهم .

بل ذلك صحيح ، فما رأينا فى التاريخ القديم والحديث مثل أبى بكر ولا مثل عمر ولا مثل عثمان ولا مثل علي ولا مثل خالد بن الوليد ؛ وما سمعنا بمن يشبه عبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة والمغيرة ومعاذا وسعد بن ابى وقاص وغيرهم من هذا الحشد العظيم الذى فاجأ العالم بمدنية لم ير مثلها من يوم أن خلق الكون ؛ وبخلائق انسانية بلغت أعلى مراتب الفضيلة والنبل .

ولا نقصد بالمدنية الا مدنية القرآن ، مدنية الروح والقلب والوجدان والفكر ، لا حضارة المادة والآلات التى أضحت أوثانا يعبدها بناتها من دون الله ، ويكفى للتدليل على أن حضارة العرب التى أقامها القرآن أسمى كثيرا من الحضارة الجديدة ما نشهد فى الدنيا من مصائب وكروب وويلات تفجع فى كل حين الانسانية فى أحلى الامانى وأجمل الاحلام .

مهد القرآن للحضارة الانسانية أقامها فى سنوات فعاش الناس فى خير وبشر وبشاشة ، ولكن الحضارة الحديثة باعدت بين الانسان وربه ، كما باعدت بينه وبين الفضيلة والسماحة والمسرات ، وقضت على البشاشة والمتع ، بل باعدت بين القلوب الانسانية بعضها عن بعض .

غير أن هذه الامة التى شهد لها الله بأنها خير الامم ، والتى أقامت حضارة

القرآن على أساس متين لم يحرص الخلف على ما كان عليه السلف الصالح ، ونسي واجبه واستدبر حقائق الدين ومبادىء محمد — صلى الله عليه وسلم — وتنكر للمثل العليا وغير ما بنفسه فغير الله ما به ، وذهب ريحه لولا هذا القرآن الذى يجمع الشتات ويُهتدَى به في الظلمات .

وفقدت الامة الاسلامية سيادتها لأن من كان يتولى أمرها من الخلفاء والامراء لم يتق الله ولم يعتصم بحبله فضعفت بعد قوة ، وتفرقت بعد اجتماع . وملك الله أمرها من لا يخافه ولا يرحمها حتى اسودت الدنيا أمامها ، وحكمها من كان بالأمس مستعبدا لها .

أما العروبة فقد قضى عليها الترك الاتحاديون وغيرهم في حماها ، ولولا القرآن الكريم الذى يحفظ لغتها والتراث الصالح العظيم لامست أثرا بعد عين ، الا أن الحرب العظمى أيقظت فكرة الوحدة العربية ، واستيقظ العرب على صوتها الصارخ وانتبهوا الى مصالحهم ، وكان ابن سعود أسبق حكام العرب — بعد تلك القرون التى قضى فيها على العروبة ولغتها — الى تلك الفكرة النبيلة .

نعم كان ابن سعود أسبق من الحسين في فكرة الجامعة العربية ، فقد كتب اليه في سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) والى غيره من الحكام والامراء كالامام يحيى وابن الصباح وابن الرشيد يرجوهم أن يتحدوا في هذا الوقت الكارب ، ولكنهم أعرضوا عنه وعن فكرته .

هو أسبق — على هذا — من الحسين بفكرة الوحدة أو الجامعة العربية ، غير أن الحسين كان أظهر من ابن سعود وأبعد صوتا وأبرز شخصية فحالفه الانكليز وانضم اليهم وقام بنهضته الكبرى بعد عرض ابن سعود ، وكان ما يعرفه الناس .

ولم يكن ابن سعود ممن يريد نفعا خاصا لنفسه أو لقومه بل كان همّه

النفع العام للعرب والمسلمين ، فلهذا اكتأب حينما أبصر الامراء لا يستجيبون لدعوته ، وأخذ يعمل وحده في هدوء وصمت لتحقيق حلمه ، وأنقذ نجدا من المهالك والجمود ، ثم حرر الاحساء ، ثم فتح عسيرا وبث فيها الحضارة والامن ، ثم دخل الحجاز ونهض به هذه النهضة المباركة ، وأخذ يثب بمملكته الكبيرة وثبات مأمونة الاخطار انتزعت الاعجاب من كل بلاد العالم .

وعمله هذا تحقيق لفكرته الاولى : فكرة الوحدة العربية ، فبعد أن كان في عسير وتهامة آل عائض والادريسي ، وكان في الاحساء الترك والعجمان ، وفي الحجاز الحسين ثم ابنه علي ، وفي شمال نجد آل الرشيد ، وفي نجران القبائل ، وفي الربع الخالي بنو مرة وغيرهم ، وفي هذه الأقطار قبائل مستقلة ، كل قبيلة تحكم نفسها أصبح اليوم من يتكلم عن كل هذه البلدان رجل واحد هو ابن سعود ، وبعد أن كانت هذه الاقطار متفرقات لها حكومات خاصة ونظم خاصة صارت « وحدة » أو جامعة لا تنفصم عراها ولا يتزلزل بنيانها لأنه قائم على أساس متين وضعه أعظم عربي وأكبر مسلم معاصر ألا وهو ابن سعود .

فان كان لأحد فضل في جامعة الدول العربية — الآن — بعد الله فذلك الفضل لابن سعود . وان كان يقاسمه اخوته ملوك العرب وأمراؤهم وحكامهم وأدباؤهم وشعراؤهم ومفكروهم هذا الفضل ، ولكن الفكرة في الاساس فكرة ابن سعود التي مر عليها أكثر من ثلاثين عاما ، والعمل الجدي عمله ، وبغير ابن سعود لا يمكن أن يقام بناء جامعة الامم العربية بحال ، وبغير الحجاز ونجد ومكة والمدينة والحرمين لا تكون عروبة ولا إسلام .

وليس في هذا نسيان فضل سواه : فلمصر فضل في جمع الامم العربية في أرضها الزاهرة وحرصها على أن يتم المشروع في أسرع وقت ممكن استغلالا للظروف الحاضرة لمصلحة العرب .

وانا لنشكر الله الذى أتاح للامم العربية ملوكا وأمراء ورؤساء شعروا بالنقص فبادروا الى الكمال ، وعملوا للصالح العام غير ناظرين الى ما يقام من عراقيل فى سبيل مطلبهم النبيل ومشروعهم العظيم ، ونشكره على نعمه التى لا تحصى اذ منّ الله على العرب بتوحيد الكلمة واقامة البنيان والاعتصام بحبل الله رغبة فى الله ثم رغبة فى النهوض بالعرب ، ولعل الله الذى لا يضيع عمل عامل أن يعيد للعرب مجدهم المضيع وللمسلمين عزتهم السليبة على أيدى رؤساء الجامعة العربية حتى تكون الآن — كما كان أسلافنا الماضون — خير أمة أخرجت للناس .

وقد اشتركت فى الجامعة العربية الدول المستقلة وهي : مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق ، والجمهورية السورية ، وشرق الاردن ، ولبنان ، واليمن .

وقد ذكر فى ميثاقها أن القصد من الجامعة ليس الا « تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين الدول وسيادتها ، وتوجيها لجهودها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح أحوالها ، وتأمين مستقبلها ، وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأي العربي العام فى جميع الأقطار العربية » واتفقت دول الجامعة بالاجماع على ذلك وعلى اباحة الدخول لكل دولة عربية مستقلة .

وهناك مقاصد أخرى من الجامعة هى : توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها ، وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها ، وأهم هذه الشؤون هـــي :

أ — الشؤون الاقتصادية والمادية ، ويدخل فى ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

ب ــ شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

ج ــ شؤون الثقافة .

د ــ الشؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين .

هـ ــ الشؤون الاجتماعية .

و ــ الشؤون الصحية .

ويتألف هذا الميثاق العظيم من عشرين مادة : ذكرنا اثنتين منها فيما سبق ؛ وأهم هذه المواد : عدم الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين وأكثر من دول الجامعة ، فاذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة وسيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذا وملزما .

أما اذا اعتدت دولة على أخرى من أعضاء الجامعة أو خيف وقوع ذلك فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا ، ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع الاعتداء ، ويصدر القرار بالاجماع ، فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة فلا يدخل في حساب الاجماع رأي الدولة المعتدية ، وما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة ، وما يقرره بالاكثرية يكون ملزما لمن يقبله .

ومن المواد التي لها قيمتها ولها شأنها احترام كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الاخرى ، وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمي إلى تغيير ذلك النظام فيها .

ولمجلس الجامعة اعتبار الدولة التي لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة ، ويجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق .

وقد حرر الميثاق باللغة العربية في الثامن من ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ هـ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م) .

كما أن الجامعة لم تنس مسألة فلسطين فأثبتت ملحقا خاصا بالميثاق تضمن مـــــا يأتي :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدول العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأي دولة أخرى : وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لاصحاب الشأن فيها ، واذا لم تكن قد مكنت من تولي أمورها فان ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩ م لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودهـــا واستقلالها الدوليان من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى ، واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ أن يكون ذلك دون اشتراكها في أعمال مجلس العصبة .

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلى من يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله » .

ولم تهمل الجامعة التعاون مع البلاد العربية التي لم تشترك بمجلسها فقررت في ملحق خاص ما يأتي :

« نظرا لأن الدول المشتركة بالجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤونا يعود خيرها وأثرها على العالم العربي كله ، ولأن أماني البلاد العربية غير المشتركة

في المجلس ينبغي له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشتراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق بأن يذهب في التعاون معها الى أبعد مدى مستطاع . وفيما عدا ذلك لا يدخر جهدا لتعرُّف حاجاتها وتفهُّم أمانيها وآمالها . وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل من أسباب » .

وقد احتفل يوم الخميس ـ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ بقصر الزعفران بالقاهرة احتفالا رائعا بتوقيع ميثاق الجامعة حضره رجال من أبرز عظماء الامة العربية وكبار ساستها ومفكريها يتقدمهم مندوبو دول الجامعة ، وألقى كل مندوب كلمة تناسب المقام .

وأقيمت لأعضاء وفود البلاد العربية مأدبة عشاء فخمة بقصر عابدين ، وكما أقيمت بعد ذلك حفلة سمر جليلة في القصر حضرها وفود دول الميثاق البارزون من رجال مصر ومن البلدان الشقيقة .

وان الميثاق يعتبر الخطوة الاولى للعمل من الامم العربية المستقلة ؛ فهو من هذه الناحية شيء حسن له قيمته ، وهو وان كان في دور النشوء الأن الامل في بلوغه الدرجة العليا كبير في المستقبل .

وقد برزت فكرة الجامعة بروزا ظاهرا منظورا بصورتها الجميلة ، وستأخذ في الاشراق والوضوح أكثر كلما تقدمت بها الايام .

غير أن دعم استقلال الدول العربية وترقيتها أدبيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا وبناء صرح الامن والسلام والتعاون بعضها مع بعض ومع شعوب العالم كان أعظم ما يرمي اليه الميثاق ؛ وهو ما كان يتمناه العرب لأنفسهم منذ سنوات وأجيال ، وتحقق في هذه الايام بفضل من الله .

كما أن الميثاق يجعل الباب مفتوحا للدول العربية الاخرى كدول شمال افريقيا العربية اذا ما كتب لها الاستقلال ، وهذا مما يدل على أن الجامعة ستأخذ في النمو والتضخم حتى تكون جامعة عربية كاملة .

ولم يهمل الميثاق مسألة فلسطين من ناحية الاستقلال فقد اعترف باستقلال فلسطين من الناحية الشرعية ككل البلدان العربية التي انسلخت من الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العظمى الماضية ، وترك قضيتها العادلة بدون أن يشير اليها لئلا يزحم أعمال اليوم ما كان من أعمال الغد المأمول .

وان الجامعة العربية ستبلغ ما تريد وستتضخم حينما ينضم اليها كل دولة عربية وتصبح عضوا بها ، ولا يمكن أن تكون عضوا بها حتى تتمتع بالاستقلال ، وهذا ولا شك حفز للامم العربية غير المستقلة حتى تسعى لأخذ الاستقلال ، واغراء لها بالعمل من أجله حتى تستطيع أن تكون فى مصاف دول الميثاق .

والميثاق فى جملته رباط وثيق لأمم العروبة ، وبشرى صادقة تزف الى أبناء العربية ، وبراعة استهلال للقضية العربية التي كسبها ذووها فهو جدير بالتقدير والاكبار والاعجاب والتأييد .

* * *

مع روزفلت

ركب ابن سعود البحر لاول مرة في ٢١ رمضان ١٣٤٨ هـ لمقابلة الملك فيصل ملك العراق رحمه الله ؛ وما أكثر ما طلب اليه أن يقوم برحلات فاعتذر ، لان فيها مشقة وتكليفا لا يطيقهما من تعود البساطة والفطرة ، غير أنه احتمل بعض المشاق في هذه السنة وركب البحر للمرة الثانية للاجتماع بقطبي الديمقراطية وبغيرهما من الملوك والرؤساء ؛ ولو لم تكن هناك مباحثات خطيرة ، ولو لم يكن لكل هؤلاء منزلة سامية في نفس ابن سعود لما قام بهذه الرحلة من الرياض — وهي تبعد عن مكة ألف كيلومتر — إلى الفيوم التي تبعد أكثر من ألفي ميل من مكة ؛ ولما حرص على الاجتماع بركوب البحر وقطع مئات الاميال بـرا وبحرا .

انه حرص على الاجتماع بقطبي الديمقراطية ليعرفهما حقيقة العرب والمسلمين ؛ اذ ليس هناك من هو أحق بتمثيل العرب من ابن سعود .

وقد وضع الرئيس روزفلت مدمرة أمريكية لنقل الملك عبد العزيز ، فأمر بأن تزود بكل ما يحتاج اليه ملك في رحلة خطيرة كهذه الرحلة ؛ واصطحب معه طاهيه وساقيه وخدمه كما اصطحب معه حرسه الخاص .

وبعد أن زودت المدمرة بكل ما تحتاج اليه أقلت جلالته وما يعلم أحد بمقصده غير ابنيه سعود وفيصل ، حتى أن حاشيته ما كانت لتعلم شيئا عن الرحلة ولا عن الاتجاه ولا عن القصد حتى اختفت اليابسة عن الانظار ، هنالك علم رجال الحاشية فدهشوا كثيرا ، وكان عدد من معه ثمانية وأربعين منهم شقيقه الأمير عبدالله وابناه الامير محمد (أمير المدينة) والامير منصور (وزير الدفاع) والشيخ عبدالله السليمان (وزير المالية) والشيخ يوسف ياسين (نائب وزير الخارجية) والاستاذ عبدالله بلخير (مترجم جلالته) والشيخ حافظ وهبه (وزير المملكة المفوض في لندن) وبعض أركان حربه ، كما كان معه بعض الفنيين من رجال المواصلات اللاسلكية مهمتهم الاتصال بمكة المكرمة كل نصف ساعة خلال الرحلة كلها .

وكان يرافق جلالته الكولونيل وليم ادى وزير الولايات المتحدة المفوض بالمملكة السعودية ، وقد تولى الترجمة الرسمية في الاجتماع الذى عقد بين الملك والرئيس روزفلت .

وأقلت الملك المدمرة ، وأعد له فيها جناح خاص كبير مزود بكل وسائل الراحة ، غير أنه آثر أن يقيم على ظهر المدمرة استمتاعا بمنظر البحر الجميل وهوائه النقي ، فنصبت له عند برج المدفعية الامامي خيمة كبيرة مزينة بالنقوش والزخارف .

ودعا الملك الكريم في مساء اليوم الاول جميع ضباط المدمرة وبحارتها لتناول العشاء معه ، وقد صفت الموائد على الطراز العربي ومدت عليها صحاف الاطعمة العربية اللذيذة ، ولعل هؤلاء الامريكيين يجلسون لتناول الطعام هذه الجلسة العربية لاول مرة ، ولكنهم ارتاحوا اليها وسروا بالمائدة العربية .

وفي اليوم الثاني شاهد جلالته قوة المدمرة الهجومية عندما أطلقت مدافعها المضادة للطائرات ، وقذفت قنابل الاعماق الخاصة بمقاومة الغواصات ، وكان

منظرا عجيبا حيث تذوب كل آلات الفتك والتدمير فى هذا الخضم كالفقاعة السابحة يبتلعها فى لمح البصر .

وأعجب العرب السعوديون بالبحارة الامريكيين وهم فى ملابسهم الزرق البحرية كما أعجب أبناء الدنيا الجديدة بالعرب وهم يرفلون فى ثيابهم الفضفاضة وعباءاتهم المذهبة يروحون ويغدون فى خفة ونشاط ويتهادون مبتهجين ، ودارت الاحاديث بينهم وقضوا فى البحر ما قضوا من ساعات مسرورين من هــذه الفرصة التى أتاحت لهم هذا الاجتماع .

وفى صباح الخميس ٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ ﻫ (١٥ فبراير ١٩٤٥ م) كانت المدمرة فى البحيرات المرة حيث ينتظر الرئيس روزفلت فى الطــرادة الامريكية « كونيرى » استقبالا لضيفه العظيم ، وكان الرئيس على سطح الطرادة يرقب المدمرة حينما تهادت بالملك العظيم ، فتبادل بحارة السفينتين التحيات والنداءات البحرية بالبوق ، وأخذت المدمرة مرساها تجاه كونيرى ومد بينهما جسر عبره الملك فاستقبله البحارة وكبار الضباط ورؤساء أركان الحرب المرافقين للرئيس استقبالا حماسيا رائعا ، ثم سعى إلى جلالته الرئيس وصافحه وحياه واحتفى به احتفاء جد عظيم ، وتبادلا عبارات التحية والمودة .

وأعجب روزفلت بابن سعود اعجاباً لا حد له ، فلقد ملأته شخصية الزعيم العربي الاكبر ، وقد طابق ما سمع عنه ما رأى الآن ، بل ما رآه كان أعظــم بكثير مما سمع ، وقال له : كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا .

ثم تناول الملك والرئيس الغداء ، وبعد الفراغ منه بدأ حديثهما الخطير فى جو يسوده الود والتقدير والاعجاب ، واستعرضا فيه ما بين المملكة السعوديــة والولايات المتحدة من روابط كثيرة يحرص عليها الطرفان ويبذلان الجهد فى سبيل المصالح المشتركة بينهما وتنمية الصلات الودية ، وقال روزفلت : يجب أن يتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكي يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم

لمشاكل الآخر وبحث المشاكل المشتركة بين دولهم .

ثم تناول الملك والرئيس شؤونا أخرى اقليمية وعالمية . وكان جلالة الملك أيده الله كثير الاهتمام بقضية فلسطين ، وأبان للرئيس وجهة نظره . كما دلل على عدالتها وصحتها ما أقنعه فوعد بأن ينظر في ذلك .

ثم تناولا بالبحث شؤونا عربية هامة . وكان الملك المعظم صريحا كعادته في مخاطبة الرئيس ، ومن الكلمات الخالدة التي قالها : « لا أريد كتابات ! بل أريد أن تُعطَى الكلمة من عبد العزيز لروزفلت ، ومن روزفلت لعبد العزيز » وهذا حق ، فكلمة من عبد العزيز فوق الكتابات والمعاهدات لانه رجل شريف .

ثم أبدى الرئيس روزفلت لجلالة الملك عبد العزيز رغبة في تقديم طائرة أمريكية هدية تذكارية لهذا الاجتماع التاريخي ، وقبل جلالته الهدية [1] .

---

(١) في يوم السبت ٢ جمادي الاول ١٣٦٤ هـ (١٤ ابريل ١٩٤٥ م) وصلت مطار جدة الطائرة الامريكية التي أهداها الرئيس الى جلالته ، واشترك في تقديمها الى وكيل نائب جلالة الملك في الحجاز (الامير منصور) كل من : الكولونيل ماكين والكولونيل هويت والكولونيل اولدريش واللفتنانت كولونيل كد ، وفي الساعة التاسعة والنصف من يوم السبت تقدم الكولونيل وليم ادي وزير أمريكا المفوض بجدة وقدم الطائرة وهي من طراز دوجلاس مجهــزة بمقاعد وثــيرة وبأحدث الوسائل الفنية وقال : « ان قوات الطيران في جيش الولايات المتحدة قد أعدت هذه الطائرة الامريكية للخدمة في بلادكم العظيمة التي أتشرف بتقديمها لسموكم بوصفكم نائبا لجلالة الملك » .

فأجابه الامير منصور بخطاب موجزه : « أتقبل باسم جلالة والدي الملك عبد العزيز هذه الهدية الثمينة التاريخية المهداة من الراحل العظيم الرئيس فرنكلين روزفلت ، تلك الهدية التي ترمز في نظرنــا لامرين عظيمين ، الاول : ذكرى الاجتماع التاريخي ، والثاني : رمز الصداقة بــين المملكــة السعودية والولايات المتحدة ، وقد أصبح لهذه الطائرة مكانة خاصة سيحتفظ بها كذكرى خالدة في هذه البلاد للزعيم الذي كان زعيما انسانيا عالميا كما كان زعيما بحــق للولايات المتحدة » .

وكان تسليم الطائرة بعد موت روزفلت .

على ضفاف النيل

سلك جلالة ملك المملكة العربية السعودية الطريق برا إلى الفيوم حيث نزل بفندقها الشهير « أوبرج دولاك » القائم على بحيرة قارون ، المعد لنزوله وأحيط بقوة بريطانية تحرسه ليل نهار ، وأبعد عنه كل أحد ، ومنع رجاله من الاقامة فيه الا المدير فقد أبقي للاستعانة به عند الضرورة ، وقالت الصحف : ان الناس كانوا يروحون ويغدون من بعد دهشين لا يعلمون ما سيجرى من مباحثات خطيرة في سبيل العروبة وفي سبيل الاسلام على مقربة منهم في هذا المكان .

وقد زود الفندق بكل ما يلزم للملك العظيم ولمرافقيه من رجال الحاشية ، كما أعد نظام واسع للاتصال البرقي حتى يتسنى لجلالته أن يتصل بمملكته المترامية الاطراف ، فكان يستقبل كل يوم عديدا من المرات « التقارير » ويصدر الأوامر إلى رجال دولته كما لو كان في مكة أو الرياض ، لانه حريص أعظم الحرص على أن يدير مملكته بنفسه ويحيط بكل ما يجرى فيها من دقيق الأمور وجليلها .

وما كاد جلالته يشرف الاوبرج حتى أسرع اليه الملك فاروق ومعه الرئيس شكري القوتلي ، وذلك بعد عصر يوم الجمعة ٣ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ م (١٦ فبراير سنة ١٩٥٤ م) .

ووصل الملك والرئيس فاستقبلهما ابن سعود استقبالا أخويا رائعا ، وقضوا بضع ساعات تناولوا فيها بحث الشؤون العربية الهامة .

وقد طاب الحديث بين هؤلاء الاقطاب الثلاثة حتى أن فخامة الرئيس شكرى كان قد أقام مأدبة عشاء فخمة وحفلة ساهرة لجلالة الفاروق بدار المفوضية السورية مساء الجمعة ، ولكن تأخر شكرى والمحتفل به عن الموعد يدل على خطورة « الموضوعات » التى تناولوها ، وما شغلهما عنه الا انهماكهما فى الحديث الذى سيغير مجرى الحياة العربية .

ثم غادر الملك والرئيس الاوبرج مودعين من الصقر الغلاب خير وداع ، وهم مستبشرون من هذا الاجتماع ، ومن هذا التضامن ، كما أن العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تفاءلوا باجتماع أقطاب العروبة والإسلام وعلقوا عليه آمالا كبارا ، لان من اجتمعوا رؤساء حكومات لها شأنها فى السياسة العربية ، فهم مصيبون فى تعليق تلك الآمال العظيمة بهؤلاء الاقطاب العظماء .



في صباح يوم السبت ٤ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ هـ (١٧ فبراير ١٩٤٥ م) ركب السيارة المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية (وكان مرتديا بدلة الكولونيل الاول بفرقة الهوسار الرابعة) يصحبه المستر أنطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية واللورد موران طبيب رئيس الوزارة البريطانية الخاص ، وهيئة مكتبه التي رافقته في مؤتمر يالطا ، ووجهتهم « الفيوم » .

حتى إذا وصلوا الاوبرج استقبلهم جلالة الملك عبد العزيز بن سعود وشقيقه الامير عبدالله وابناه الاميران : محمد (أمير المدينة) ومنصور (وزير الدفاع) والشيخ عبدالله السليمان (وزير المالية) والشيخ يوسف ياسين (السكرتير الخاص لجلالة الملك ونائب وزير الخارجية) والشيخ حافظ وهبة (الوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن) استقبالا رائعا . وتبادلوا عبارات التحية والولاء وقد كان الملك عبد العزيز مرتديا في هذه المقابلة ثيابه العربية عليها دثاره الرسمي الاحمر الموشح بالذهب ، ويشع على رأسه عقال مقصب جميل .

تبادل الفريقان التحية ، وأعجب تشرشل ومن معه بالملك العربي المسلم الكبير اعجابا عظيما .

وداو بينهم حديث ودي ، ثم اختلى الملك ورئيس وزراء بريطانيا وتولى الاستاذ بلخير الترجمة بينهما ، ومكثا أكثر من ساعة يتباحثان في مسائل شتى أهمها ما يتعلق بالعرب ومستقبلهم ، ثم غادرا الاجتماع وكل منهما مسرور من هذه المقابلة والمحادثة اللتين انتهتا بنجاح .

وبينا كانا في المحادثة مدت أخونة الغداء في ردهة الفندق المستطيلة المكسوة باللونين : الازرق والاحمر ، المشرفة على بحيرة قارون الهادئة الصافية ، ولما خرجا تصدرا المائدة وكان معهما فيها من الجانب البريطاني : ايدن وموران والمستر جوردن الوزير البريطاني المفوض السابق في جدة والجنرال السير برنار باجيت القائد العام لقوات الشرق الاوسط والسير ادوارد جريج الوزير البريطاني المقيم في الشرق الاوسط واللورد كليرن السفير البريطاني بالقاهرة ، والسير والترسمارت المستشار الشرقي بالسفارة البريطانية بالقاهرة والسير الكسندر كادوجان وكيل وزارة الخارجية ومارشال الطيران مدهيرست قائد القوات الجوية في الشرق الاوسط والمستر جرافتي سمث الوزير الانكليزي المفوض في جدة والمستر لسلي روان السكرتير الخاص لرئيس الوزراء والسير وليم كروفت سكرتير مكتب وزير الدولة والبريجادير كلايتون والماجور راندولف تشرشل ابن رئيس الوزراء .

أما من الجانب العربي فأصحاب السمو الامراء السعوديون وحاشية جلالته .

وقد طبعت « قوائم الطعام » باللغتين العربية والفرنسية على بطاقات مفضضة كتبت عليها أسماء الاطعمة المقدمة لهم .

وبعد تناول الغداء خرج جلالته ووزراؤه إلى الشرفة حيث التقطت لهم صور للذكرى .

ثم اجتمع الملك وتشرشل والوزراء والحاشية من الجانبين في البناء الرئيسي

للاوبرج وتبادلوا الهدايا التذكارية تخليدا لهذا اليوم التاريخي العظيم .

وأهدى جلالة الملك المستر تشرشل سيفا عربيا وخنجرا فاخرين مطعمين بالذهب مرصعين بالاحجار الكريمة منقوشين بنقوش فنية جميلة ، كما أهدى جلالته المستر ايدن سيفا كالسيف المهدى إلى تشرشل ، كما قدم إلى تشرشل ملابس عربية ممتازة وعباءة جد ثمينة في حقيبة من الجلد ، وقدم إلى صحبه مجموعات كبيرة من الملابس العربية الفخمة .

وأعجب تشرشل وزملاؤه بهذه الهدايا الغالية الثمينة حتى قال تشرشل للعاهل العربي الكبير : « اني سأعتز بها دائما لا لقيمتها الفنية البديعة فحسب بل لأنها تذكار سعيد لهذا الاجتماع » فرد عليه ردا لطيفا .

ثم نهض تشرشل ليحضر هديته ومر في طريقه باللورد تشارلز موران وقال له : « يا لها من حيوية عجيبة — يا تشارلز — في رجل شارف السبعين » يقصد بكلامه الملك عبد العزيز ، فأجابه موران : ما أراك دون ذلك ! .

وأقبل تشرشل ومعه صندوق من العطر الشذي اللذ المستحضر من أحسن الخلاصات العطرية المركزة من العنبر والياسمين والمسك ، وبكل صندوق ست زجاجات ملأى بهذه العطور ، وقدم الصندوقين هدية إلى الملك ابن سعود بكلمة رقيقة فتقبلها منه شاكرا .

وختمت الجلسة التاريخية بين قطب العرب وحامي الاسلام وبين قطب الديمقراطية بالود والصفاء والبشاشة التي بدأت بها ، وودع تشرشل وصحبه وداعا حارا .

في ضيافة الفاروق

لايستطيع القلم مهما كان بليغا أن يصف زينة مصر وابتهاجها واستعدادها لاستقبال ضيفها العظيم صقر الجزيرة ، بل لقد كتب أبلغ الكتاب ووصفوا هذه الزينة التي تبرجت بها مصر فلم يستطيعوا أن يبلغوا في وصفهم شيئا من عظمتها التي لم تشهد مصر مثلها في تاريخها بالرغم من استقبالها ملوكا كثيرين .

أينما تلق بصرك تجد جمالا وسحرا وفتنة وبهجة ومراحا تتفجر بلا انقطاع ، لا فرق بين صغير ولا كبير ، ولم تقف البهجة عند حد ، فكل شيء في مصر — قبيل دخول ابن سعود — متوثب متهيء للقاء أكرم ضيف ، فهنا أقواس النصر تنصب ، وهنا آلاف الاعلام السعودية تخفق وهنا « الزينات » تسعى إلى الشوارع والبيوت والمحال التجارية سعيا استعدادا لاستقبال حامي العروبة ومنقذ الدين ، وبدت القاهرة كأنها في عرس لا يشهد التاريخ مثله ، وقد أضفى عليه الفاروق من روحه الكريمة وشبابه المتضرم فكانت في خير زينة وأبهى منظر .

* * *

وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم الخميس ٦ صفر ١٣٦٥ هـ (١٠ يناير ١٩٤٦) رسا اليخت الملكي « المحروسة » مقلا عاهل العرب

الاكبر عبد العزيز بن سعود . فصعد اليه الملك فاروق العظيم ومعه أصحاب المقام الرفيع والدولة والسعادة رئيس الديوان الملكي ورئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا والوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بالقاهرة وكبار موظفي المفوضية السعودية وحيوا صقر الجزيرة تحية حارة . وتعانق الملكان ثم قصدا سرادق الاحتفال يحف بهما الوزراء والعظماء ورجال الحاشيتين .

وفي الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق أطلقت قلعة السويس احدى وعشرين طلقة ايذانا بتحرك القطار الملكي الذى أخذ يتهادى في سيره بين صفوف من الجماعات لا عداد لها تحيي الملكين وهما يردان التحية ، والهتافات تدوى في كل مكان . وكانت الجماهير على الطريق بين السويس والقاهرة تحيي ضيف مصر العظيم ، والفرسان يسابقون القطار حتى وصل بعد الظهر محطة القاهرة حيث كانت مصر كلها تحتفي بالضيف العظيم . فشرفات البيوت ملأى بالرجال والنساء والاطفال ، والشوارع مزدحمة بالناس ، والهتاف الصارخ الجهير يتصاعد إلى السماء . ومشى الموكب الملكي من المحطة إلى قصر عابدين العامر ومصر كلها أهلوها وضيوفها تهتف حتى بحت الاصوات وتصفق حتى دميت الاكف .

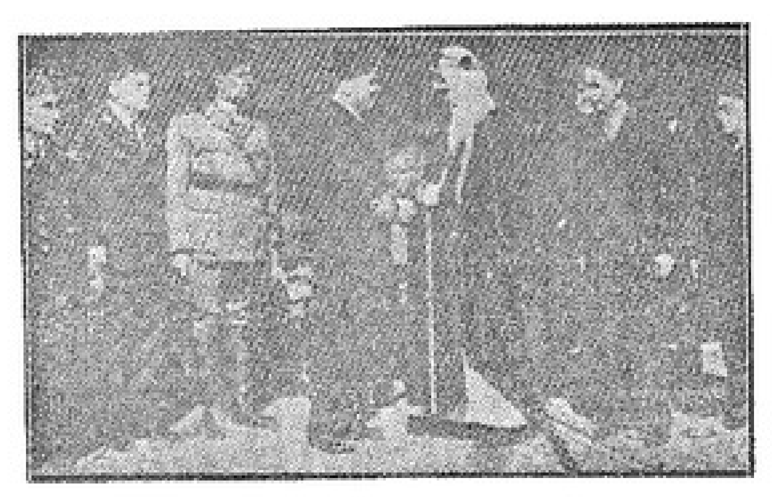
والحق أننا لا نستطيع أن نصف هذا الاستقبال العظيم ، وخير ما يقرب إلى الذهن هذا الاحتفال الرائع قول ابن سعود نفسه حينما شرفنا به في قصره بمكة عقب رجوعه إلى عاصمة ملكه : « لا يستطيع أحد أن يصعد إلى السماء ، ولكن المصريين لم يتركوا شيئا في الارض الا عملوه » وهذا صحيح : فما كان في الارض من زينة وبهجة وحفاوة فقد صنعه المصريون .

ولبث الملك أكثر من أسبوع في ضيافة مصر مسرورا سعيدا بهذه الاخوة التي يباركها الله ويوثقها الدين وتعززها العروبة ويقويها الشعبان . وقد سمعت الملك عبد العزيز وهو يشيد بمصر وبالحفاوة البالغة التي لقيها منها شعبا وحكومة .

وقد زار صقر الجزيرة المؤسسات العلمية والصناعية والمستشفيات ، فزار جامعة فؤاد الاول والبرلمان والجامع الازهر والجامعة العربية وسلاح المدفعية الملكي وحديقة الحيوان والقناطر الخيرية والمحلة الكبرى واصلاحية الاحداث ، وزار الاسكندرية ، كما أن جلالته استعرض الجيش المصري الباسل وأبـدى اعجابه بكل ما رأى وسمع .

واجتماع مصر والبلاد المقدسة قوة ضخمة لبني العروبة والاسلام ، وله أثره القويّ في نهضتهم وتوحيد كلمتهم والسير بهم إلى الامام تحت قيادة ملوكهم وزعمائهم ، وهو في الوقت نفسه تقوية للجامعة العربية .

وقد غادر جلالة الملك ابن سعود القاهرة في يوم الثلاثاء ١٩ صفر ١٣٦٥ ﻫ (٢٢ يناير ١٩٤٦ م) قاصدا بلاده المتعطشة اليه ، بلاده التي أخذت تستعـد لاستقبال هذا الملك المحبوب شاكرة مصر المضياف ، متمنية لها الخير .



ابن سعود يودع ضيفه الفاروق برضوى



ابن سعود يتسلم قلادة محمد علي من ضيفه الفاروق برضوى



ابن سعود مع روزفلت



ابن سعود وتشرشل في الأوبرج بالفيوم



ابن سعود وعن يمينه تشرشل وعلى يساره إيدن ومعهم الأمراء السعوديون وفي طليعتهم الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (شقيق ابن سعود)

ابن سعود وقضية فلسطين

أستطيع أن أقول في ثقة واطمئنان : أن اهتمام ابن سعود بقضية فلسطين هو نوع يغاير اهتمام كل المسئولين العرب الأُلى في مستواه ، فليس اهتمامه من قبل أداء الواجب ، وليس غير . وليس من قبل الدعاية التي يقصد منها كسب الانصار ، وليس رغبة في « الاستهلاك المحلي » أو التضليل والخداع .

وليس من خلائق ابن سعود الغش ، وما عرف عنه قط التلون والتدليس ، فهو واضح العقيدة ، وواضح الطريق ، وصريح في أدب ، وقوي كل القوة مع الرَّكانة والأناة والحكمة والرأي الصواب .

وكل حكام العرب المسئولون في طبقة ابن سعود لم يكونوا في صلاحه وتدينه وصراحته وقوته وخلائقه العربية والاسلامية والانسانية ، وكان فيهم « ممثلون » على المسرح السياسي والوطني ، وكان فيهم تجار وطنية ، ولهذا كانت قضية فلسطين « دراما » أو تجارة .

أما ابن سعود فكانت لديه قضية فلسطين قضية نفسية وعقائدية وعربية وانسانية ، فهي منه بمثابة التنفس ، والانسان يتنفس ولا يقول للناس بلسان حاله : تعالوا ، وانظروا : فأنا أتنفس ، وكذلك كانت القضية بالنسبة له .

وابن سعود يجامل الانكليز كثيرا . ولكنه لا يذل لهم ولا لمخلوق على وجه الأرض ، والمجاملة من كمال الانسان ومن الصفات الجايلة ، لأنها إبداء جانب الجمال ، وهو غير الكذب والنفاق . يجامل الانجليز لأنهم هم أنفسهم يحترمونه ويجلونه ، وعندما تصل الامور إلى الكرامة فكل قوى الأرض لا تستطيع إذلالها أو التعرض لها ، والبراهين على ذلك ساطعة . والأمثلة كثيرة ، ومنها — على سبيل المثال — قضية لجوء رشيد عالي الكيلاني اليه سنة ١٣٦٤ ﻫ (١٩٤٥ م) واصرار الانجليز الذين خرجوا من الحرب منتصرين على ألمانيا على تسليمه اليهم بدون قيد ولا شرط . فوقف ذلك الموقف الصلب الذي تحطم عليه عنادهم وإصرارهم .

إنه قال للانجليز : « والله ، ثم والله ، ثم والله ، إن رشيد عالي سيظل عندي آمنا مطمئنا ما بقيت وما بقي أحد من آل سعود حيا ، ووالله ، ثم والله . لو جاء الانجليز بأساطيلهم وصفوا بوارجهم من لندن إلى جدة فلن يأخذوه ما دمت حيا » .

وهذا موقف لن يقفه أحد إلا نادرا جد نادر : فما ابن سعود وقوته بجانب بريطانيا العظمى؟ واذا كانت كل أموالها وأموال العالم لا تكون ثمناً لعقيدته فإن كل قوات بريطانيا لا تستطيع إذلال كرامة ابن سعود ما دام حيا ، واذا مات دون كرامته فما بعد الموت لجرح بميت إيلام .

وقضية فلسطين أكبر من الافراد وأعظم من الشعوب لأنها قضية تقوم على العقيدة والوطنية والعربية والانسانية ، فاذا كانت قضية فرد يتصدى لها ابن سعود ذلك التصدي فإن قضية فلسطين عنده فوق كل قضاياه المصيرية ، فوق قضايا بلاده وأمته ، ولهذا كان موقفه فيها موقفا فاذاً لم يقفه أحد في تاريخ قضية فلسطين الحديثة ، ولكن . لا رأي لمن يطاع .

ففلسطين ليست تحت حكمه ، وشعبها ليس تحت أمره : فحكمه غير

مقبول ، وأمره غير نافذ ، ومن هنا أصاب القضية الفلسطينية ما أصابها .

وأول رأي رآه فيها أن تكون وقفا على الفلسطينيين وحدهم ، وعلى العرب جميعا حكومات وشعوبا أن تمدهم بالمال والسلاح والرجال والرأي ، وأن يكون الرجال متطوعين ، لئلا تقع الحكومات تحت سطوة المسئولية عندما يتحدون ويشتركون رسميا في القتال .

وأول رأي رآه أن يكون الدفاع صادرا من الايمان الحق ، وأن يكون الدفاع عن القضية والصراع من أجلها جهادا وليس قتالا ، لأن ابن سعود يفرق بين القتال والجهاد ، فالقتال يكون اعتداء على حق طمعا في استلابه واغتصابه ، ويكون دفاعا عن الحق ، أما الجهاد فحق كله ، والقتال سجال ، يوم لك ، ويوم عليك ، أما الجهاد فلا هزيمة فيه ، لان كلمة الفصل له .

وقال ابن سعود لزعماء فلسطين : آمنوا بالله ورسله وباليوم الآخر ثم جاهدوا ، فان النصر ثمرة الجهاد الصادق .

ولكن السيل تشعبت بقادة فلسطين منذ كانت لها قضية ، ولم يكن حكام العرب مستقلين بأقطارهم فلم يكن لهم جيش حر يسير بأمر الحاكم المقيد ، ولم يكن هناك الايمان الذي يفهمه ابن سعود ، مما أدى إلى الكوارث التي أخذ بعضها برقاب بعض حتى كانت الكارثة التي انتهت بقيام الكيان الاسرائيلي في أرض فلسطين العربية المحض .

ففي مارس سنة ١٩٤٨ علم ابن سعود بما يدور في أروقة الأمم المتحدة ، وكان معروفا للعرب وحكامهم أن الادارة البريطانية ستترك فلسطين للعرب واليهود ، وما تركتها إلا بعد أن أضعفت القوة العربية إضعافا شديدا ، وقوت اليهود وساعدتهم في ايجاد قوة مسلحة .

وبمجرد مغادرة الانجليز أعلن اليهود دولة اسرائيل ، وطلبوا إلى دول العالم

أن تعترف بها ، فاعترفت بها الولايات المتحدة الاميركية يوم إعلانها عن نفسها ، واعترف الاتحاد السوفياتي وأعلنت اعترافها بعد امريكا بسويعات ، والفارق بين الاعترافين أن اعتراف الولايات المتحدة الامريكية لم يكن الا اعترافا بالامر الواقع ، وهو اعتراف لا يقضي بتبادل التمثيل الدبلوماسي ، أما اعتراف السوفييت فتام يقضي بتبادل التمثيل السياسي .

وقبيل خروج الانجليز بزمن رأى ابن سعود أن يجمع الفلسطينيون أمرهم ، ويقيموا الكيان الفلسطيني ، وبمجرد خروج الانجليز يعلنون دولتهم ، ويطلبون إلى العالم الاعتراف بها ، وبذلك يكون لهم حق الدولة القائمة ، وقدم رأيه لزعماء فلسطين الذين كانوا مشغولين بآراء وأفكار وامور غير التي كان يهتم بها ابن سعود .

وقد ذكرت في كتابي « صقر الجزيرة » في مقدمة طبعته الثانية الصادرة سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ما نصه :

« وقضية فلسطين لم يكن هو محاميها الوحيد ، ولم يكن مسيطرا عليها ومسئولا عنها مثل سيطرته على بلاده فلم تنجح ، لأن العرب لم يأخذوا برأيه فيها ، ولو أخذوا لما كان هناك كيان اسرائيلي قائم .

« رأى عبد العزيز الذى عرف عنه وسمعناه منه غير مرة : أن ينفرد أهل فلسطين بالدفاع عنها ، وألا يشترك العرب رسميا في الحرب ، بل تقوم الدول العربية بمساعدة أهل فلسطين بالسلاح والمال والرجال متطوعين .

« بل كان له رأي عظيم في الكيان الفلسطيني سمعته منه وحدثت به الحاج أمين الحسيني في لقاء لي معه فأيده وأعجب به ، ولكن بعد فوات الفرصة والاوان .

« رأي عبد العزيز أن تقوم حكومة فلسطينية بمجرد ترك الانجليز للسلطة في الوقت الذى حددوه ، وكان يعلم حق العلم ان اسرائيل أعدت العدة لتسلم

السلطة من الانجليز ، وانهم سيعلنون حكومتهم للحظة التي يترك فيها الانجليز فيها السلطة ، ويطلبون إلى الدول الاعتراف بها ، ورأى عبد العزيز أن يعلن الفلسطينيون حكومة فلسطين ويطلبوا إلى الدول الاعتراف بها ، وتنهض هي تجاه اسرائيل ، ويكون الصراع بينهما ، وسينتهي بكسب العرب .

« ولكن لم يؤخذ برأيه في المسألة الاولى وفي الثانية : لم يترك أهل فلسطين يدافعون عن بلادهم ، ولم يعلن قيام حكومة فلسطين ، بل أخرج أهلها ليحل مكانهم غيرهم في الدفاع ، وفرق بين الانسان يدافع عن نفسه وبين آخر يأتيه من بعيد للدفاع عن غيره .

« بل انتهى الامر إلى أن العرب أنفسهم قضوا على كيان فلسطين ، فبعد اعلان الهدنة بين اسرائيل والعرب كانت الحكومة السعودية معترفة بفلسطين . حتى أن ادارة الجوازات كانت تكتب اسم « فلسطين » في حقل الاقطار بالجواز السعودي ، وعندي جواز مجدد برقم ٦٩٢ في ٢٠ / ٧ / ١٩٤٩ م [١] من السفارة السعودية بالقاهرة كتب اسم « فلسطين » في حقل الاقطار .

وأردت زيارة القدس فغادرت دمشق اليه ، ولكن السلطات الاردنية في « الرمثا » منعت دخولي ، لأنه لا وجود لفلسطين ، ولم يكن بحقل الاقطار اسم الاردن ، فعدت إلى دمشق وأضفته وسمح لي بالدخول .

« ولا وجود لكيان فلسطين ، وكان عبد العزيز وحده هو الذي يعترف به ، فكانت ادارة الجوازات تكتب اسم فلسطين في حقل الاقطار .

« واليوم يعودون إلى بعض رأي عبد العزيز الذي أثبتت الحوادث أنه كان الرأي الصواب ، وكان أبعد من كل الحكام نظرا وأصفى فكرا وأعرف بما يجب أن يكون ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

---

(١) يوافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ .

« ولو أخذ برأيه لما احتاج الامر إلى ما يحتاج اليه اليوم من البذل ومن التضحيات والتبعات والخسائر الفادحة .

« وضاعت فلسطين من أيدي أهلها ، لأن الرأي الذي رآه عبد العزيز لم يصادف هوى عند من كان بيدهم أمر قيادة فلسطين من حكام العرب وزعماء فلسطين .

والمتتبع لتاريخ العرب منذ سنة ١٣١٩ هـ حتى اليوم يدرك ان ما صنعه عبد العزيز وحده للعرب هو مفخرتهم وزينة تاريخهم » .

ولعل أول موقف رسمي يقفه ابن سعود من القضية الفلسطينية كان سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦) وذلك بعد أن أصبح ملك الحجاز وصار أكبر حاكم في جزيرة العرب على الاطلاق ، ولكنه كان مرتبطا بمعاهدة مع الانجليز سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥ م) تجعله واقعا تحت نفوذهم ، والآن ، وقد تغير أمره فمن الفرض عليه أن يحرر نفسه وبلاده من ربقتها ، وطلب إلى الانجليز إبرام معاهدة جديدة تلغي تلك المعاهدة الجائرة .

واستجاب الانجليز لطلب ابن سعود ، وكانوا ينتظرون هذه الفرصة ليملوا ما يريدون ، فوعد بلفور قد عرف ، واتخذت السياسة البريطانية أحابيلها وأساليبها المختلفة لانجاز ذلك الوعد الذي عملت له ما في وسعها ليتم الإنجاز .

ورأت الحكومة البريطانية أن ابن سعود يحكم أكبر رقعة من جزيرة العرب ، وصار أعظم حاكم وأقوى ملك عربي فيها ، فإذا ضمنته وربطته بمعاهدة يعترف فيها بالوجود الخاص لها في فلسطين فقد ضمنت الهدوء والاستقرار فيها ، واعتراف ابن سعود بالوجود الخاص يعطيها قوة يسعها بها أن تضعف قوى المعارضة العربية .

وجاء المفاوضون البريطانيون إلى مملكة ابن سعود لعقد المعاهدة الجديدة ،

واتخذوا أسلوبا لبقا ظنوه جائزا على ابن سعود ، وصاغوا « مادة » من مواد المعاهدة يعترف فيها ابن سعود بوجود بريطانيا الخاص أو المركز الخاص لبريطانيا في فلسطين .

وأدرك ابن سعود مقصد المفاوضين البريطانيين ، فأبى أن يُساوَم على الحقوق ، وإذا كان البريطانيون قد انتزعوا منه حقا من حقوق بلاده في معاهدة سنة١٩١٥ لسبب من الأسباب فان من الحق إعادة ما انتزع من الحق إلى صاحبه ، وأما فلسطين فالشيء الذى يقبله فيها أن يكون الحق لصاحبه أيا كان ، فاذا كان مطلب بريطانيا من الوجود أو المركز الخاص لها بفلسطين حقا فهو يعترف به ، أما وذلك ليس حقا فمن المحال أن يعترف به . ثم أن فلسطين خاصة بأهلها الشرعيين ، واذا طلب إليه أمر يتصل بها فالشيء الوحيد الذى يعمله هو تأكيد الحق لهم لا العمل على نزعه منهم .

ودار نقاش بين المفاوض البريطاني وابن سعود أكثر من هذا ، وظهر أن علم ابن سعود بالحق التاريخي والحق الواقعي أصح من علم المفاوض البريطاني : فالفلسطينيون لم يتركوا قط فلسطين خلال عشرات القرون ، وبرغم ما مر بهم من غزو الغزاة والحروب فانهم لم يفارقوا أرضهم حتى اليوم ، أما اليهود فقد كانوا غرباء ، ثم تشتتوا في أقطار الأرض ، ورحل الآلاف منهم بطوعهم واختيارهم وحريتهم دون أن يطردهم أحد ، فلو كانت فلسطين وطنهم حقا لثبتوا به مثلما ثبت الفلسطينيون ، وهذا الثبات هو الحق الواقعي ، أما الحق التاريخي فإن الاسم المطلق على تلك الرقعة من الأرض يثبت أنها للفلسطينيين وحدهم ، أليس اسمها فلسطين ؟ بلى ، فهي للفلسطينيين .

وأسقط في يد المفاوض البريطاني ، وتمت المعاهدة بين بريطانيا وابن سعود دون أن تكون فيها مادة أو فقرة عن ذلك الشيء الذى أرادته ، وسميت المعاهدة معاهدة جدة ، ولكن ، لم يتم ذلك إلا بعد جهد جهيد ، فقد قطعت المفاوضات ثم استؤنفت ، وانتصر ابن سعود .

وبعد المعاهدة كان ابن سعود يتتبع أحداث فلسطين ، وبلغه أن اليهود ألقوا قنابل على المصلين بالمسجد الأقصى وهم يؤدون فريضة الجمعة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ (اكتوبر ١٩٢٩) وقتل عدد من المصلين .

وغضب ابن سعود لهذا العدوان الآثم على بيت من بيوت الله وعلى أبرياء كانوا يؤدون الفريضة ، وارسل إلى ملك بريطانيا كتابا يستنكر فيه هذا الحادث الأليم ، ويعرب له عن الأثر السيء الذى تركه فى نفسه ونفس شعبه ، ويناشده المحافظة على الدين ، وحماية المصلين ، ومعاقبة الآثمين ، والحيلولة دون تكرار هذا الحادث ، وأجابه ملك بريطانيا فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٩ (السبت ٨ رجب ١٣٤٨ ه) جوابا يؤكد له فيه اهتمام حكومته للأمر ، وينفى له وقوع الاعتداء على المسجد الأقصى والمصلين فيه .

وأرسل ابن سعود للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة وللمجلس الإسلامي الاعلى فى فلسطين برقية هذا نصها .

« بلغنا الآن ما كان من اعتداء نفر من اليهود فى المسجد الأقصى على المسلمين فى يوم جمعتهم ، وقتل عدد منهم ، وقد كانت هذه الفاجعة مدعاة للألم العظيم والكدر الشديد فى قلوبنا ، وأنا وسائر من فى الجزيرة من العرب والمسلمين لنشارك سكان المسجد الأقصى ومن حوله فيما أصابهم من هذا العمل المنكر الذى وقع عليهم فى صلاتهم بالمسجد الأقصى ، وإننا لواثقون بأن الحكومة البريطانية بما نعهده من تقاليدها ستعامل بأقصى أنواع الشدة أولئك الآثمة ، لاسيما أولئك الذين اقترفوا ذلك الإثم المبين ، وإنا فى هذا الموقف الذى امتلأت فيه النفوس ألما وكدرا نقدم للعرب والمسلمين عامة تعزيتنا بمن فقد فى ذلك المسجد الحرام من المصلين » .

وعلى مر الأيام والشهور والسنوات كان ابن سعود مع حوادث فلسطين ،

يتابعها باهتمام ويبذل جهوده الخاصة وجهود حكومته وشعبه في سبيل تأييد قضيتها ، ويقف معها بكل ما يملك .

وخير ما يعبر عن عمله الدائب من أجل قضية فلسطين أن تنشر بعض مكاتبات ابن سعود ومفاوضاته ورسائله الرسمية منذ تطور القضية حتى انتقل إلى رحمة الله ، والشيء الذي يجب أن يذكر في تاريخ ابن سعود أنه نقل قضية فلسطين من نطاقها المحلي والعربي إلى النطاق الاسلامي ثم إلى النطاق العالمي .

وخطب ابن سعود التي كان يلقيها في كل موسم حج على وفود بيت الله الحرام وفيهم مئات المفكرين والكتاب والزعماء والرؤساء زاخرة بذكـــر فلسطين ، ولم يقتصر في توجيه كلامه على هؤلاء الخاصة ، بل كان يشرك العامة في تبصيرهم بهذه القضية حتى يكونوا على علم بها .

وكان تحيز بريطانيا لليهود واضحا ضد العرب ، وكانت تضرب العرب في الصميم وتمكن اليهود ، وتسهل لهم الهجرة حتى يتملكوا ، وتنقلت إليهم ملكية الأراضي الحكومية والعامة ، وكانت الصهيونية تسوق تلال الاموال لتمهد قيام دولة اسرائيل .

ولا شك أن الحكومة البريطانية نفسها كانت واقعة تحت النفوذ الصهيوني ، وتشرشل — حينما كان رئيسا للحكومة — كان يصف نفسه بأنه صهيوني ، وإذا كان بين الوزراء الانجليز من يتصف بالانصاف مثل اللورد لويد أو يتصف بالشجاعة مثل اللورد موين فقد ناوأهما تشرشل ، وكف أيديهما عن قضية فلسطين .

وإذا كان هناك أفراد من المسئولين البريطانيين معروفين بالانسانية وساءهم ظلم العرب فإن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة في الانصاف ، بل كان كل عزمها أن تعمل على تحقيق وعد بلفور مع التمكين لليهودية والصهيونية أن تمهد اليوم الموعود لاقامة دولة اسرائيل .

ولم تسلم الحكومة البريطانية إدارة فلسطين ، وتساعد على استعمار سوريا من قبل فرنسا ، وتبسط نفوذها على الاردن حتى يكون مكتوف اليد إلا لتضرب العرب وتمكن اليهود ، وبفضل جهودها قامت دولة اسرائيل .

وعندما اندلعت نيران الثورة الفلسطينية سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) اتخذت بريطانيا أعنف ما يتخذ لقمع الثورات ، واشترك معها اليهود لتكون الضربة الموجهة الى الثورة وإلى الفلسطينيين عامة بالغة الضراوة والعنف .

ولما كانت الحكومة البريطانية مصممة على التمكين لليهود بكل وسائلها ، وضرب الثورة والفلسطينيين بكل قوتها فقد نقلت في سنة ١٩٣٦ قوات كبيرة وضخمة من مصر ومالطة ، وأعطى أفرادها وأفراد الحامية البريطانية سلطات واسعة للضرب والتنكيل ، وأخذت الإدارة البريطانية تعتقل السكان دون تفريق ، وتعرضت للأسر والطلاب ؛ وأقامت محاكم عسكرية لمحاكمة العرب الابرياء ، وأعفت اليهود من دخولها ، لأنهم محميون منها ، وأخذت هذه المحاكم تصدر الأحكام جزافا ضد العرب ، وقاسية وجائرة وشديدة البطش .

ومع كل ما اتخذت بريطانيا من الظلم والإرهاب والجبروت لم تستطع أن تقتل في نفس الشعب الفلسطيني روح الحمية والوطنية والاستعداد للتضحية ، بل ازدادت الثورة ضراما ، وسخت في البذل والتضحية .

ورأى ابن سعود أن يمد يده إليها ، فأصدر أمره في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ (٥ يونيو ١٩٣٦) برقيا على وزارتي خارجيته وماليته بإرسال مساعدة عاجلة إلى منكوبي فلسطين ، وأن تكون المساعدات من الأرزاق والمؤن والنقد ، وأمر في ٢٥ ربيع الأول ١٩٥٥ (١٥ يونيو ١٩٣٦) بتحويل العون المادي إلى المنكوبين أيضاً ، وكانت مساعداته تصل اليهم دراكا ، ولم تنقطع حتى اليوم .

واستنجد زعماء فلسطين بابن سعود ، وطلبوا إليه مساعدته وبذل جهوده في نصرتهم ، ورفع الظلم عنهم ، وذكر الحاج محمد أمين الحسيني في رسالة

منه إليه أن الإنجليز يحمون اليهود وينصرونهم ويساعدونهم ، وان هؤلاء اليهود سيكونون أكبر خطر على العرب والمسلمين اذا لم يُقْضَ على حركتهم ، وإذا لم يقف العرب وحكامهم من الآن فان اليهودية ستحقق حلمها في تأسيس الدولة اليهودية ، وعندئذ لن يستطيع العرب مقاومتهم ، لأن العالم سينصر باطلهم على حق العرب .

وتدخل ابن سعود رسميا ، فأبرق إلى المفوضية العربية السعودية بلندن في صفر ١٣٥٥ ﻫ (أواخر ابريل ١٩٣٦) لتتصل بالحكومة البريطانية ، وينقل إليها تأثره البالغ مما يقع بفلسطين من الاحداث الخطيرة ضد الحق العربي الواضح ، وطلب منها الاسراع بتدارك الموقف مما يضمن للعرب حقوقهم .

فأجابته الحكومة البريطانية في ٣ يوليو ١٩٣٦ (١٤ ربيع الآخر ١٣٥٥) بأنها توافق على توسط ملوك العرب ، وأن يقوم جلالته بالاتصال بالعراق واليمن والأردن لنصح الفلسطينيين حتى يخلدوا إلى الهدوء .

فرأى ابن سعود أن يطلب الى الانجليز بعض المطالب ، فأبرق إلى المفوضية السعودية في يوم ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٥ ﻫ (٨ يوليو ١٩٣٦) لتبلغ الحكومة البريطانية أنه يرى اطلاق سراح المعتقلين والمحكوم عليهم ، ووقف الهجرة تمهيداً للوساطة .

وأبرق الى ملك العراق وإمام اليمن وأمير شرقي الأردن مقترحاً توحيد الجهود والكلمة في الاتصال بالحكومة البريطانية بشأن ما يحدث بفلسطين ضد العرب ، ووقف الصدام المسلح بينهما ، والعمل — وهم متحدون — على إيجاد حل لذلك الصدام .

واتفق الملوك الأربعة على أن وساطتهم بين الحكومة البريطانية وأهل فلسطين يجب أن يسبقها ما يثبت لهم أن هذه الوساطة مثمرة ، وما يبعث فيهم الأمل

الطمأنينة والثقة قرأوا – ما سبق لابن سعود أن رآه وطلبه – أن يصدر عفو عام وعن المعتقلين والمحكوم عليهـــم ، ووقف الهجرة ؛ وبعد ذلك يتصلون بالفلسطينيين .

ووافق الانجليز على مطالب الملوك الأربعة ؛ وأما الهجرة فلم توافق الحكومة البريطانية على وقفها ، بل وافقوا – بعد إلحاح الملوك والأخذ والرد – على تخفيض الهجرة الرسمية ، فقد وافقت على تخفيضها من ٤٥٠٠ إلى ١٨٥٠ مهاجر يهودي ، وإن كان باب الهجرة غير الرسمية مفتوحاً يدخل منه آلاف اليهود القادمين الى فلسطين .

وفي شهر إبريل ١٩٣٦ كان عدد من دخلوا فلسطين بقانون الهجرة الرسمية ٤٥٠٠ فلما توسط الملوك الأربعة هبط عددهم الى ١٨٥٠ .

ولم تكن ثورة فلسطين العربية على اليهود ، بل كانت على الحكم البريطاني ، وأعلنت كل فلسطين العصيان السلمي المدني والاضراب العام الشامل ، ولم يشهد العالم العربي قط مثل هذه الثورة السلمية إلى يومنا هذا ؛ ولم ينثن عزم الفلسطينيين ، وما كان الانجليز يظنون أن الفلسطينيين يستطيعون الصبر على الاضراب مدة طويلة ، ولكنهم صبروا واستمروا ؛ ومضى الأسبوع يتبعه آخر حتى بلغ خمسة وعشرين أسبوعاً تعطلت فيه الأعمال والمصالح والادارة البريطانية .

وأرسل ابن سعود برقية إلى أهل فلسطين بوساطة اللجنة العربية العليا في يوم ٢٢ رجب ١٣٥٥ (٨ اكتوبر ١٩٣٦) هذا نصها :

« لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ؛ ونحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبدالله ندعوكم للاخلاد إلى السكينة وحقن الدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المخلصة بتحقيق العدالة ،

وثقوا بأننا سنواصل السعي فى سبيل مساعدتكم » .

واستجاب أهل فلسطين لرغبة ابن سعود واخوته ملوك العرب الثلاثة ، فأنهوا إضرابهم العام وعصيانهم السلمي ، وعادوا إلى أعمالهم ، وأجابوا الملوك بأنهم امتثلوا لما رغبوا فيه ، فبعث ابن سعود برقية بتاريخ ٢٨ رجب ١٣٥٥ (١٤ اكتوبر ١٩٣٦) إلى اللجنة العربية ، وهذا نصها :

« سرنا إخلاد إخواننا عرب فلسطين، للسكينة وإقبالهم على مزاولة أعمالهم حقنا للدماء وحبا للإصلاح ، فنشكر لهم هذه العاطفة والشعور نحونا ، ولما أبدوا من حب السلام واظهار نواياهم الحسنة ، وفى الطريقة التى نتمنى أن تكون موصلة إلى الغاية المنشودة ، أما من جهتنا فكونوا واثقين من أننا لم ولن نقصر فى السعي لمعاونة إخواننا فى هذا السبيل ، وندعو الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح »

وتلقاء إخلاد الفلسطينيين إلى السلم وانهاء الاضراب قررت الحكومة البريطانية إيفاد لجنة ملكية بريطانية — وقد عرفت فيما بعد بلجنة اللورد بيل الذى رأسها — لدرس المشكلة من جميع جوانبها ، ووضع المقترحات التى تكفل حقوق العرب كما زعموا .

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ (غرة رمضان ١٣٥٥) وصلت اللجنة وقامت باتصالات واسعة بالموظفين البريطانيين وباليهود ، ولم تستطع الاتصال بالعرب ، لأنهم قاطعوا اللجنة ووقفوا منها موقفا سلبيا ، ثم استجابوا لنصح ملوك العرب واتصلوا باللجنة الملكية ، وفى يوم ٨ يوليو ١٩٣٧ (٢٨ ربيع الآخر ١٣٥٦) نشر تقرير اللجنة الذى ذهب إلى تقسيم فلسطين على النحو التالى :

القسم الأول — يضم الاماكن المقدسة ، ويبقى تحت الانتداب البريطاني .

والقسم الثاني — وهو يخص اليهود ، ويباح له انشـــاء دولة يهودية تحت الانتداب البريطاني .

والقسم الثالث — ويبقى لعرب فلسطين .

وعملت خرائط للتقسيم توضح منطقة كل قسم وحدوده .

وما كاد التقرير ينشر حتى ضج العالم العربي بالسخط والاستنكار ، وتبعه العالم الإسلامي ، وأما أهل فلسطين فقد رأوا في التقسيم كارثة لن يرضوا بأن تنزل عليهم ، وسيدفعونها بكل ما وهب لهم الله من قدرة وقوة .

ولما كان ملوك العرب وعلى رأسهم الملك عبد العزيز بن سعود هم الذين قاموا بالوساطة ، وطلبوا إلى الفلسطينيين إنهاء الاضراب فهم مسئولون أدبيا عن الغدر البريطاني ، فأبرقوا إلى الملوك الوسطاء ، فرد ابن سعود على اللجنـــة العربية العليا بفلسطين ببرقية ختمها بقوله :

« وإن قضية عرب فلسطين كانت ولا تزال موضع اهتمامنا الشديد ، وتعلمون اننا ما ادخرنا ولا ندخر وسعا في سبيل حلها بطريقة تحقق العدل والانصاف إن شاء الله » .

وطبيعي ألا يرضى ابن سعود بمشروع التقسيم ، وطبيعي أن يؤيد أهـــل فلسطين في رفضه ، واليهود أنفسهم رفضوه أيضا ، لأنه لم يحقق كل آمالهم ، ووجهت اعتراضات كثيرة إلى تقرير لجنة اللورد بيل ، فرأت الحكومةالبريطانية تأليف لجنة أخرى تكون أكثر ارضاء لها ولليهود وان لم تذكر ذلك في سبب التأليف .

وتألفت اللجنة ووضعت قرارا جديدا أوصى برفض التقسيم الذى قررته لجنة اللورد بيل ، وحوى مشروعات جديدة لم ترض عنها الحكومة البريطانية ،

ونشر قرار هذه اللجنة بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩٣٨ (١٣ شعبان ١٣٥٧) .

ورأت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر في لندن تحت اشرافها ومشاركتها يضم العرب واليهود ، واشتركت فيه مصر والمملكة العربية السعودية والعراق واليمن والاردن وزعماء فلسطين .

ويظهر من كل هذه اللجان والمؤتمرات أن الحكومة البريطانية تريد من ذلك أن «تميع» القضية الفلسطينية ، وكان في حسابها أن تحكم على العرب وتدينهم ؛ وألا تنصفهم ، وأن تخذلهم ، ولم يفت زعماء فلسطين هذا الميل المكشوف من بريطانيا إلى اليهود ، كما لم يفتهم أنها لن تنصفهم ولو نزلوا عن كل فلسطين ، لأن المطامع الصهيونية أكبر من أن تقتنع بفلسطين كلها .

ولم يكن عبد العزيز بن سعود يرضى بالاعتراف بقيام دولة يهودية في أرض عربية ، ولما كنا نكتب هذا الفصل في تبيان موقفه من القضية الفلسطينية فاننا نشير إلى أن وفدا قوامه : الاساتذة كامل القصاب ، وعوني عبد الهادى ، وعزة دروزة ، ومعين الماضى مبعوثا من اللجنة العربية العليا بفلسطين إلى ابن سعود ، ووصل إلى الرياض في ١٥ شوال ١٣٥٥ (٢٩ ديسمبر ١٩٣٧) وقابل ابن سعود وعرض عليه ما جدّ بالقضية وما يطلبه اليه أهل فلسطين ، وبعد أن بحث معهم اسلمهم كتابا منه إلى اللجنة العربية ، وهذا نصه :

« وبعد : فقد وصل إلينا وفد اللجنة العربية العليا ، وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والأسباب التى حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية .

« وبعد استماعنا لكل ما أبداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم ؛ وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والإدلاء إليها بمطالبكم العادلة ؛ لأن ذلك أضمن لحقوقكم وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم ، وقد أبدينا للوفد الكريم ما لدينا من الآراء في ذلك .

ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألوا جهداً في سبيل مساعدتكم لإصلاح الحال بقدر إمكاناتنا ، وإنا لنرجو من الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير للإسلام والعرب . » ١٨ شوال سنة ١٣٥٥ (١ كانون الثاني ١٩٣٧)

وتسلمت اللجنة العربية العليا كتابا من الملك غازي ملك العرب يتفق مضمونه مع كتاب ابن سعود ، فأصدرت بيانا في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ (٢٣ شوال ١٣٥٥ هـ) جاء فيه :

« إن اللجنة استمعت إلى بيانات الوفد الذي عاد من رحلته ، واطلعت على كتابي صاحبي الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وملك العراق فلم يسعها إلا أن تستجيب للطلب السامي فقررت الاتصال باللجنة الملكية ، وبسط القضية العربية لها » .

وبلغ من اهتمام ابن سعود بالقضية الفلسطينية أن ما بقي من سنة ١٣٥٥ وكل شهور سنة ١٣٥٦ أنفقهما في نشاط واسع على الصعيد الشعبي والدولي ، فقد أمر الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك بالحجاز بتأليف لجنة في كل مدينة وقرية ومقاطعة سعودية تسمى لجنة فلسطين ، مهمتها العمل على إسماع العالم العربي والاسلامي والعالم أجمع صوت الشعب السعودي ، وإمداد الحركة الوطنية الفلسطينية بكل المعونة التي يقدمها الشعب السعودي ليشترك مع حكومته في مساندة الحركة .

وفي خلال سنتي ١٣٥٥ و ١٣٥٦ أرسل ابن سعود مذكرات ورسائل إلى بريطانيا ، كما تعددت اجتماعاته بالمسئولين البريطانيين رجاء أن يصل مع الحكومة البريطانية إلى حل لمشكلة فلسطين ، ومن هذه الاتصالات مذكرتان تكشفان عن بعض نشاطه الدءوب ، ففي ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ (٣١ يناير ١٩٣٧) بعث مذكرة عن طريق وزارة الخارجية السعودية إلى الحكومة البريطانية بوساطة مفوضيتها في جدة ، وهذا نصها :

« لسنا في حاجة إلى أن نؤكد للحكومة البريطانية صداقتنا وسعينا في تقوية هذه الصداقة ، وان السياسة التقليدية التي سرنا عليها هي التي حملتنا على تبادل الرأي مع بريطانيا الصديقة في كل ما له صلة بالصالح العربي .

« إن كل ما نسعى إليه من قديم هو أن يسود السلام ، وتزداد الطمأنينة ، ويقوى التعاون بين العرب جميعاً وبين الحكومة البريطانية التي أثبتت الحوادث صداقتها للشعب العربي وسعيها للأخذ بناصره ، والشعب العربي لم يشذ عن هذه القاعدة إلا في فلسطين ، لا لأن بريطانيا لها رأي آخر في الشعب العربي ، بل لشذوذ في وضع فلسطين بسبب تكاثر العناصر الغريبة من اليهود وطغيانها على سكان البلاد العرب الأصليين .

« إن هناك قلقاً من تكاثر اليهود في فلسطين ، لا في فلسطين وحدها بل في سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولقد عانينا الشيء الكثير في الضغط على رعايانا كيلا يظهر منهم أي أمر يزيد تعقيد المشكلة ، وكثير مما عملناه لم نخبر الحكومة البريطانية به ، لعلمنا أن ذلك شيء تقضي به الصداقة .

« ولقد وردت إلينا كتب كثيرة تزيد في مخاوف المسلمين ، وهي أن اليهود ينوون احتلال المدينة وخيبر وهدم قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن وإن كنا نشكّ في صحة هذه النيات إلا أن ذلك يدل على مبلغ الدعايات التي يقوم بها أعداء بريطانيا ، ونشاطهم في كل مكان .

« وقد منعنا عقد المؤتمر الإسلامي في مكة خشية من أن تثار هذه القضية الخطيرة التي سيكون لها أسوأ الأثر في نفوس المسلمين والعرب على الأخص .

« إن قلق العرب والمسلمين أساسه هو تصريحات اليهود المتكررة من أن غرضهم هو إنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، وسيل الهجرة في السنوات الأخيرة جعل العرب والمسلمين يقلقون على مستقبل فلسطين كبلد عربي له قداسته

الدينية . فقد كان اليهود أقلية ضئيلة ، ثم صاروا اليوم الثلث تقريباً . وإذا ظل باب الهجرة مفتوحاً فإنه ستصبح الأكثرية في فلسطين لليهود ، وتتحقق المخاوف التي تساور العرب في طردهم من بلادهم .

« إن بريطانيا العظمى تعلم أن بعض البلاد الأوربية التي تفوق فلسطين في سعة الأرض والتقدم الاجتماعي والاقتصادي قد ضاقت ذرعاً باليهود ، فهل يلام أهل فلسطين ومجاوروهم من العرب إذا رأوا سيل اليهود يطغى على سكان البلاد ويهدد مستقبلهم ؟ .

« لا نرى من العدل أن نلوم بريطانيا على تصريحات صدرت من زعماء اليهود ، وبريطانيا قد برهنت في موقفها من العراق على ما هو معهود فيها من حب العدل والإنصاف وما تنويه من الصداقة نحو الشعب العربي ، ولكن القلاقل والفتن المتكررة في فلسطين وما ساور الشعب من المخاوف هو الذي جعلنا كأحد أصدقاء بريطانيا القدماء نلفت نظرها إلى هذا الأمر .

« وقبل بسط توصياتنا نريد أن نحيط الحكومة البريطانية علماً بأنه ما دفعنا إلى التدخل في قضية فلسطين إلا صداقتنا لها ، وحرصنا على إيجاد جو من السلام والتعاون بين العرب جميعاً وبين الحكومة البريطانية .

« إن حوادث الزمان ليس في مقدور أحد أن يمنعها . وأعداء بريطانيا ناشطون في كل الأقطار العربية ، وإننا لا نريد إذا ما حدث حادث في أوربا إلا أن تعتمد بريطانيا على العرب جميعاً ، وتأمن جانب أهل فلسطين على الأخص ، وإلا فإن اليهود أنفسهم في خطر من جراء الدعايات التي يبثونها هم وأعداء بريطانيا . ونخشى أن تتجدد القلاقل والفتن مرة أخرى ، فالأعداء الذين لا يخفى أمرهم على بريطانيا ينفثون سمومهم في فلسطين وغيرها من الأقطار الإسلامية والعربية .

« وإننا نُجمل فيما يلي الاقتراحات والتوصيات التي وعدنا بتقديمها ،والتي وعدت الحكومة البريطانية بالنظر إليها بعين الاعتبار :

« أولا — نقترح على الحكومة البريطانية إعلان عفو عام عن سائر الجرائم التي ارتكبت أثناء الإضراب والاضطرابات ، وإطلاق سراح المسجونين .وهذا ليس بكثير على حلم الحكومة البريطانية وسعة صدرها ، لأن ذلك يساعد على إيجاد جوّ جديد من الثقة والطمأنينة يساعد على حل جميع المشاكل .

« ثانيا — مسألة الهجرة اليهودية ، إن هذه المسألة هي في الدرجة الأولى لدى أهل فلسطين ، بل لدى سائر العالم العربي والعالم الإسلامي ، وهي في الدرجة الأولى لدى كل من ينظر للقضايا القومية بعين العدل والإنصاف ، فإن مكاثرة شعب آمن في وطنه وبلاده بشعب غريب أجنبي له مطامع قومية في وطنه مما لا يستطيع شعب في العالم ولا حكومة من حكومات الأرض قبوله راضية به ، ولم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب والأمم .

« واليهود كما ذكرنا قد ملأوا الدنيا بدعاياتهم وغاياتهم، وأن مقصدهم تشكيل حكومة يهودية في فلسطين ، ويضمرون مطامع وراء هذه تشغل بال العالم العربي والإسلامي في كل بلد وقطر .

« وحيث أن العدد الذي في فلسطين من اليهود قد أصبح عدداً وافراً ، ولا بد قد تُحقق اللجنة الملكية هذا الأمر ، فإذا رأت الحكومة البريطانية أن تعلن إيقاف هجرة اليهود فإن كل سماح بهجرة جديدة سيجدد المخاوف ويقضي على الطمأنينة التي سعينا لتثبيتها في قلوب من يثق بنا وبنصائحنا من عدل الحكومة البريطانية .

« وقد تحققنا هذه المخاوف بصورة أكيدة مما وصلنا من الرسائل ومن المعلومات التي وصلت إلينا من الذين درسوا القضية في فلسطين بكل إنصاف

واعتدال ، وإن رأت الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة مدة عشر سنوات على الأقل إلى أن ترى الموقف فى المستقبل فلعل هذا يكون أقرب إلى حل المشكلة من الجهات الأخرى .

«ثالثا — إن مسألة بيع الأراضى نقترح فيها أن تسن الحكومة نظاماً لحماية الملكية الصغيرة كما فعل فى مصر حتى تصون أملاك الضعفاء الجهلاء من الضياع .

«رابعا — أما المسألة الرابعة والتى هى فى نظر أهل فلسطين مهمة ، وهى شكل الحكومة فنرى أن تحلّ الحكومة البريطانية هذه القضية بينها وبين أهل فلسطين ، ونحن من جهتنا سنوصى أهل فلسطين بقدر إمكاناتنا واقتدارنا بالتزام السكون التام والتفاهم مع الحكومة البريطانية على هذا الأساس الذى نعتقد أنه وإن كان يهمهم فهو فى الدرجة الثانية من الأهمية بنسبة الهجرة اليهودية .

هذا ولنا الأمل العظيم فى صديقتنا بريطانيا صديقة العرب جميعاً أن تكون عند حسن ظن العرب بها فتحقق ما يتطلبه العدل لأهل فلسطين ، وتزيل ما ساور نفوسهم من الخوف على مستقبل بلادهم ومستقبلهم » .

وأما المذكرة الثانية فتاريخها شهر رجب ١٣٥٦ (سبتمبر ١٩٣٧) وقد أرسلها ابن سعود عن طريق وزارة خارجيته إلى الحكومة البريطانية عن طريق مفوضيتها بجدة ، وهذا نصها :

« ١ — لسنا فى حاجة لأن نؤكد للحكومة البريطانية الصديقة رغبتنا الشديدة فى أن نسير فى السياسة العامة التى لها علاقة بمصالحنا المشتركة على خطة موحدة متفق عليها فيما بيننا ، وقد كانت هذه خطتنا التى سرنا وما نزال نسير عليها ، بالرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تقف فى أكثر الأحيان موقفاً سلبياً من حيث عدم رغبتها فى التقيد بسياسة معينة ثابتة يسار عليها فى المستقبل ، غير أن

الظروف الحاضرة الناشئة عن القلق الدولي والمخاوف من المستقبل المجهول تضطرنا إلى مفاتحة صديقتنا بكل صراحة في موضوع من المواضيع الخطيرة سبق لنا معالجته معا بروح الاعتدال والمودة والصداقة .

٢ ــ إن الموضوع الخطير المشار إليه هو موضوع فلسطين ، وما يمكن أن يجر إليه من التطورات ذات الخطر الأكيد في مستقبل الشرق الأدنى والبلاد العربية ، وقد تحققت الحكومة البريطانية من دون شك رغبتنا الأكيدة في المساعدة على معالجة* هذه القضية بروح النصفة والاعتدال حين اشتداد الاضطرابات بفلسطين في العام الماضي ، وحين تحقيقات اللجنة الملكية ، وبعد ذلك إلى الآن وبنفس تلك الروح قد أبلغنا السر « ريدر بولارد » دهشتنا من تقرير اللجنة الملكية ، واعتبارنا له ضربة مؤلمة تصيبنا نحن خاصة ، فضلاً عن إصابتها لأماني العرب والمسلمين في الصميم ، وقد أبلغناه ذلك قبل أن يُنشر التقرير ويعلم الأثر البليغ الذي أحدثه بين العرب في فلسطين وسائر البلاد العربية ، فلما رأينا صدى الرأي العام في فلسطين والبلاد العربية وبالأخص في بلادنا لم نجد بداً من لفت نظر الحكومة البريطانية الصديقة إلى الأخطار التي تنجم عن الخطأ في معالجتها ، وإلى الظروف المحيطة بها أو التي يمكن أن تؤثر فيها ، وبالتالي في علاقاتنا ، بل علاقات العرب إجمالاً ببريطانيا .

٣ ــ لا يخفى أن هناك أسباباً جوهرية جداً تحملنا على الاهتمام بقضية فلسطين واستعمال كل ما في وسعنا من قوة لكي نوضح للحكومة البريطانية ما عندنا ، ونلحّ عليها لإيجاد حل عادل دائم لها . وتلك الأسباب هي :

أولاً ــ إن وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال أعطيت في الأساس باسم الحجاز الذي هو الآن قسم مهم من مملكتنا .

ثانياً ــ إن عدم حل قضية فلسطين على وجه مقبول قد يؤدي إلى إيجاد هوة سحيقة وبرزخ لا يمكن اجتيازه بين العرب وبريطانيا ، ولسنا في حاجة إلى

التوسع في ذكر الأخطار التي تنجم عن ذلك مما نسعى جهدنا لعدم حصوله ولتجنب وقوعه .

ثالثاً – إن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية ، ولا يمكن لأيّ بلاد عربية أو إسلامية أو لأيّ حاكم عربي مسلم أن يغفلها أو يهملها من دون أن يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة .

رابعاً – وأخيراً ، المسؤولية الأدبية العظمى التي أخذناها على عاتقنا بموافقة صديقتنا بريطانيا حينما أصدرنا بالاشتراك مع ملوك العرب وأمرائهم البيانين اللذين كان لهما الأثر الفعال والمباشر في وقف الاضطرابات وتعاون العرب مع اللجنة الملكية .

٤ – إننا بالرغم مما مرّ ، وبالرغم من التشاور الواقع بين الحكومات العربية لتوحيد خطة العمل في معالجة قضية فلسطين لم نشأ أن نزيد في الصعوبات الكثيرة التي تواجهها الحكومة البريطانية بالاحتجاج على تقرير التقسيم أو بإعلان استهجاننا له وعدم موافقتنا عليه ، وإنما اكتفينا بإبداء ملاحظاتنا وبيان رأينا لها رأساً وفيما بيننا لوثوقنا أنها تتلقى ما نوضحه لها بكل صراحة وإخلاص ، وتعتبره دليلاً قوياً على وجود رغبة صادقة من جانبنا في اتباع خطة مشتركة من شأنها مواجهة الصعوبات وحلها على الوجه الموافق ، غير أن مضيّ الحكومة البريطانية في خطتها وبرغم ما ظهر لها من هياج الرأي العام وظهور بوادر الخطر في هذه القضية يجعلنا نتقدم ببياننا هذا ، راجين منها أن تحمله على محمل الإخلاص للمصلحة المشتركة ، والرغبة في زيادة توثيق التعاون بيننا ، وتوحيد خطتنا نحو هدف واحد هو تأمين السلم وإقراره بشكل دائم في هذا القسم من العالم .

٥ – إننا نرى بوادر الخطر ظاهرة في التحفز والاستعداد في فلسطين وشرقيّ الأردنّ نفسها وفي البلاد العربية المجاورة ، وقد تحقق لدينا أن العرب

يعتبرون هذه القضية قضية موت أو حياة، ونخشى أن ينقلب هذا النزاع —وليس من المستبعد أن ينقلب — إلى نزاع عنصري بين العرب وبريطانيا ، وهذا أمر يجب أن نبذل جهدنا للحيلولة دونه ، ولكن قوة الرأي العام ودافع الشعور يجعل الوقوف في سبيله —فضلاً عن عدم مساعدته— أمراً في حكم المستحيل، وهذه إحدى المشكلات التي علينا أن نواجهها إذا جدّ الجد .

٦ — فإذا أمعنت الحكومة البريطانية في كل ما ذكرناه نعتقد أنها ستعمل جهدها على تغيير قرارها بإجراء التقسيم ، لأننا نعتقد أن الحكومة البريطانية قد برّت بوعدها بالنسبة لليهود ، بينما أن في التقسيم إجحافاً كبيراً بحقوق العرب لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ ما أطلق عليه « تبادل السكان » من المنطقة اليهودية إلى المنطقة العربية إنما هو في الحقيقة إجلاء للعرب لم يجر له مثيل من قبل ، لأن المنطقة العربية ليس بها من اليهود عدد يذكر ، ووعد بلفور في أساسه لم ينصّ على إجلاء العرب من بلادهم ، بل بالعكس أوصى بعدم الإجحاف بحقوقهم . وسيكون من دواعي سرورنا أن نقترح عليها حلاً عادلاً يرضى به جميع من يهمهم الأمر ، ويحل القضية حلا نهائيا دائما ، على الأسس الآتية :

أولاً — تأسيس حكومة دستورية في فلسطين يشترك بها سكان فلسطين الحاليون بنسبة عددهم في الوقت الحاضر على أسس يتفق عليها ، وتوضع ضمانات كافية لحماية الأماكن المقدسة ، والوصول إليها للجميع ، وكفالة حقوق الأقليات ، وتوزيع العدالة ، وضمان مصالح بريطانيا العظمى .

ثانياً — تحديد الهجرة اليهودية بنسبة ثابتة هي النسبة الحالية بين سكان فلسطين بحيث لا تجوز زيادتها عن ذلك مهما تقلّبت الأحوال .

ثالثاً — وضع تدابير معينة لانتقال الأراضي بشكل يضمن عدم تجريد العرب من أراضيهم .

٧ — إننا نأمل أن تلاقي ملاحظاتنا هذه قبولاً عند الحكومة البريطانية الصديقة ، ونرجو أن توافينا بآرائها في ذلك قبل استفحال الخطر ، وستجد منا دواماً ذلك الصديق الذي يهمه إدامة حسن التفاهم وتثبيت الصداقة بين العرب وبريطانيا ، مستعداً لبذل ما في وسعه لإيجاد أحسن الفرص والظروف لتفاهم دائمي وصداقة وطيدة » .

* * *

وكان ابن سعود ينتهز كل فرصة تسنح له للدفاع عن فلسطين ، والعمل على نصر قضيتها ، ففي مساء يوم السبت ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٦ (١٦ يناير ١٩٣٨) اجتمع اللورد بلهـــافين وستنتون بالملك عبد العزيز في « الشميسي[1] » وكان يصحبه الوزير المفوض البريطاني بجدة السير ريدر بولارد ، وقد دعاهما للعشاء ، وبعد تناوله اختلى ابن سعود بريدر بولارد ، وتحدث له عن قضية فلسطين في صراحة ووضوح ، وذكر له صداقته لبريطانيا ، وأن هذه الصداقة قد تفسر من العرب — وبخاصة أهل فلسطين ، تفسيرا لا يتناسب مع كرامته ، وأن من مصلحة الطرفين ومصلحة الجميع أن تتفهم بريطانيا الوضع الصحيح لمنطقة العربية وقضية فلسطين ، ثم تناول الملك خطة الحكومة البريطانية في تقسيم فلسطين ، وإقطاع اليهود جزءا منها ، ثم قال :

« لا شك ، أن بريطانيا قوية وقادرة على أن ترغم الناس بالعنف والقوة على الاذعان لرغبتها ، ولكن هل يأمن عاقل للحوادث المقبلة وما يمكن أن يسنح من فرص ؟ كلا . لا شك أن قوة بريطانيا إذا استعملت تمكن أياً كان من القيام بأعباء الحكم ولو كان امرأة ! ولكن ، هل من المصلحة أن تنصب

---

(١) الشميسي : محط بين مكة المكرمة حرسها الله وبين جدة ، وتبعد عن مكة تسعة عشر كيلومترا .

بريطانيا أشخاصاً على عروش وتنشىء حكومات لا تستطيع أن تقف بنفسها أو أن تؤمّن حياتها إلا بمعونة الانكليز؟ وما فائدة الانكليز من هؤلاء الأشخاص وتلك الأشكال؟.

« إن مشروع تقسيم فلسطين يحسب بحق نكبة عظيمة على العرب والمسلمين، ولكنه نكبة مهددة لبريطانيا أيضاً . فلا تغترّ الحكومة الانكليزية ولا تسر على ضلال فإنه لا يوجد مسلم أو عربي يستطيع أن يُقنع عرب فلسطين — فضلاً عن العرب في سائر الأقطار — بالقبول بهذا ، ولو ادعى أيّ زعيم أو ملك أن في استطاعته ذلك فإن ادعاءه كاذب .

« وأضرب لكم المثل بنفسي ، فأنا مهما كان لي نفوذ قوي ، ومهما بلغت صداقتي للإنجليز فإنني — إذا جدّ الجد — لا أستطيع مقاومة تيار عواطف المسلمين والعرب القوية . ولا أقدر أن أقف مع الانجليز في ذلك .

« أما اليهود — فلو تركوا هم العرب — فإن أمرهم يسهل ، ولكن المشكل هو أن العرب يشتبكون مع الإنكليز من أجل اليهود ، وهؤلاء بقوتهم ومالهم لا يؤمن لهم ، فإذا أسسوا دولة كانوا بأنفسهم خطراً على الانكليز ، وبما لهم من قوة ومداخلة يمكنهم أن ينفقوا في أية ساعة متى تقوّوا مع أعداء بريطانيا ، وقد يأتي وقت يجازف فيه العرب ويخاطرون ، فإما أن يقتلوا اليهود في غفلة من الانكليز ، وإما أن يُضطر الانكليز القضاء عليهم . وفي هذا من الضرر ما فيه على موقف بريطانيا في المستقبل .

« إني مؤمن بوجوب صداقة العرب للبريطانيين ، ولكن من يستطيع أن يضمن استمرار هذه الصداقة مع بقاء هذا الجرح الدامي في جسم العرب ما دام الإنكليز يجلبون أعداء العرب والمسلمين ليحلّوهم في بلادهم ؟ .

« قد يقال : إن العداوة بين المسلمين والنصارى كانت موجودة وما تزال ،

ولكن حكم القرآن في النصارى هو خلاف حكمه في اليهود ، فعداوة النصارى سياسية ، وعداوة اليهود ضرورة دينية يجب على كل مسلم أن يؤمن بها ويعمل بمقتضاها .

ولذلك فإن مشروع التقسيم يجب أن يصرف النظر عنه بتاتاً ؛ وأن يسار على خطة أخرى على أساس حفظ حقوق اليهود الموجودين بفلسطين ، وضمان مصالح بريطانيا ، والاعتراف بحقوق العرب » .

وبدا على وجه بولارد التأثر الحسن من أقوال ابن سعود ، وتفهمها واقتنع بوجهة نظره ، ووعده بنقل كل ما سمع منه واستوعبه الى الحكومة البريطانية ، وعندما يتلقى جوابها يحمله إليه وهو سعيد مسرور .

* * *

وكانت قضية فلسطين شغل ابن سعود الشاغل : فلما كان بالقرعاء وصلته أنباء مقلقة عن فلسطين . فأرسل في ٣ صفر سنة ١٣٥٧ هـ (٥ ابريل ١٩٣٨) إلى ابنه فيصل بمكة المكرمة برقية مصحوبة بمذكرة مرسلة إلى الحكومة البريطانية ؛ ويأمره أن يبعثها الى الوزير المفوض البريطاني بجدة ليرسلها إلى حكومته ، كما أمره أن يكتب منه كتابا إلى الوزير يخبره فيه بأنه مأمور من الملك بأن يرسل المذكرة إلى الحكومة البريطانية ، وها هي ذي المذكرة — وهي بتاريخ ٣ صفر سنة ١٣٥٧ — :

« سبق لجلالة الملك أن أوضح للحكومة البريطانية في عدة مناسبات باسم الصداقة التي بينه وبين الحكومة البريطانية ما يرى ويشعر به بشأن قضية فلسطين ، ورغم كل ما أوضحه لا يزال يرى أن الحالة في فلسطين تتحرج من سيء إلى أسوأ ، ومن جهة ثانية ما زال يرى إصرار الحكومة البريطانية على خطتها في إنشاء دولة لليهود في فلسطين . وبإيجاد حالة قد تجعل اليهود أكثرية فيها ، إن

جلالة الملك – رغم كل ما يراه من هذه المؤثرات – لا يزال يشعر بأن الشعب البريطاني والحكومة البريطانية نظراً لما هو معروف فيهما من حب الإنصاف والعدل لم ييأس اليأس كله من أن تعود الحكومة البريطانية للتفكير في موقفها بتغيير السياسة التي انتهجتها في هذا البلد العربي الإسلامي المقدس الذي لم يَجْنِ أي جناية ضد بريطانيا .

« لقد كان جلالة الملك – ولا يزال – هدفاً للتأثرات النفسية ، وهدفاً لانتقاد العرب والمسلمين من أجل صمته في قضية فلسطين ، وهو يشعر بأن روح الصداقة الموجودة بينه وبين الحكومة البريطانية تجعله يصبر على تحمل تلك الانتقادات نظراً لما يراه من اقتضاء الصداقة ومن اقتضاء المصلحة في سيره على خطة الكتمان وعدم الإعلان عما بينه وبين بريطانيا بشأن قضية فلسطين ، ولكن لا تزال هناك حركات قد تكون بنية حسنة وقد تكون غير ذلك بإحراج مركز جلالته أمام العالم الإسلامي والعالم العربي في هذه القضية .

« إن جلالة الملك يحب بهذه المناسبة : أن يناشد الحكومة البريطانية باسم الصداقة التي تربطها بالعرب ، وأن يناشدها باسم العدل والإنصاف الذي عرف به الشعب البريطاني أن تعطف النظر على قضية فلسطين بعين العدل والإنصاف ، وأن تضع نفسها موضع هؤلاء الضعفاء الذين يُراد تمزيق شملهم ، وتقسيم بلادهم ، وإحلال شعب أجنبي عنهم بالرغم منهم ، ليدلهم بأنفسهم ويهدد البلاد المجاورة لهم ، كما يهدد السلام في هذا الشرق العربي .

« وإن جلالته يبدي مرة أخرى أن الحل الذي يراد به تقسيم فلسطين وتقطيع أوصال أهلها لن يحل مشكلة اليهود العالمية ، لأن فلسطين لن تستوعب اليهود المشتتين في العالم ، وان فلسطين ستكون بؤرة للقلاقل والفتن بما يتولد عن ذلك من خصومات بين العرب وبريطانيا لا تنتهي إلى الأبد [1] .

---

(١) هذا الذي حذر منه ابن سعود منذ أربع وثلاثين سنة قد وقع ، وليس بغريب ، فقد كان – رحمه الله – ملهما ثاقب النظر .

« إن حل قضية فلسطين العادل لا يكون إلا بمثل ما حلت به قضية العراق وسورية وعلى شكل يضمن أموراً ثلاثة :

(الأول) المحافظة على المصالح البريطانية .

(الثاني) المحافظة على صيانة الأماكن المقدسة .

(الثالث) المحافظة على حقوق اليهود الموجودين في الوقت الحاضر ومعاملتهم كأقلية في البلاد .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن حالة العنف والشدة التي يعامل بها أهالي فلسطين في الوقت الحاضر وهم ضعفاء يستنكرها الشعور والحس ؛ فإن جلالة الملك يلفت نظر بريطانيا لاستعمال الحلم والحكمة فيما هو واقع ، ويأمل أن يكون لندائه هذا الأثر الحسن لدى الحكومة التي يثق جلالته بأنها تتقبل نصيحته بكل إخلاص وصداقة ومودة » .

وتسلمت وزارة الخارجية السعودية في جدة مذكرة سرية من المفوضيـة البريطانية بجدة في يوم الخميس ١ يونيو ١٩٣٨ (١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ هذا نصها :

« كان قد تشرف وزير صاحب الجلالة البريطانية بأن عرّف الحكومـة السعودية في مخابرة بتاريخ ٢٨ ابريل [1] عن بلاغات مؤداها : أن أسلحة وذخيرة كانت على وشك التهريب من الجوف إلى فلسطين ؛ ويرجو الآن أن يبدي أن بلاغات أخرى قد وصلت إلى علم حكومة فلسطين من مصادر شتى بسورية والعراق تقول : إن الثوار بفلسطين كانوا منذ عهد قريب يركنون بوثوق إلى وصول مساعدة عملية من جلالة الملك عبد العزيز بكيفيات عديدة بما في ذلك

(١) سنة ١٩٣٨ .

المساعدة المالية ، ومشترى الأسلحة والذخيرة من أوروبا برسم الإرسال إلى الحكومة العربية السعودية اسماً ، ولكنها لاستعمال الثوار الفلسطينيين حقيقة .

ولا يسع حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن تتجاهل هذه البلاغات المتكررة ، وهي على أية حال مضطرة بالنسبة لصداقتها أن تحيط علم جلالة الملك بها فى حالة ما إذا كان هؤلاء الأشخاص الذين لهم مآرب خفية ممن سبق أن أشار إليهم جلالته يسعون وراء الحط من كرامته أو توريطه فى المسألة على غير علم منه » .

وكان لهذه المذكرة وقع غير حسن فى نفس الملك عبد العزيز ، وأجاب عليها ببيان مسهب ، وكان جلالته بالرياض ، وبعث به فى يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ (٢٠ يونيو ١٩٣٨) إلى وكيل الخارجية (الشيخ إبراهيم بن معمر) وأمره أن يسلمه يده إلى يد الوزير المفوض البريطاني بجدة السير ريدر بولارد ، ويطلب اليه إرساله إلى حكومته ، وهذا هو البيان :

« اطلعنا على المذكرة التى سلمها السر ريدر بولارد لوكيل خارجيتنا بالنيابة بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣٥٧ الموافق ٢٨ ابريل [١] عن الأخبار التى ذكرت الحكومة البريطانية أنها وصلتها من سورية والعراق عن مساعدات قيل : إنها وعد بها الثوار فى فلسطين ، كما اطلعنا على اتهامات أخرى وجهت لبعض رجالنا ، بعد أنباء أعلمتنا الحكومة البريطانية أنها وصلتها عن نقل أسلحة للثوار من حقل والخرف .

« إننا نشكر للحكومة البريطانية إخبارها لنا بكل ما يصلها عنا وعلى الأخص فى مثل هذه الظروف والأحوال المقلقة فى فلسطين التى تقضى بطبيعتها لكثير من القيل والقال مما يصدق منه ويكذب مما يشيعه أرباب الأهواء والأغراض

---

(١) سنة ١٩٣٨

وأهل المصالح ، ونعتبر هذه المصارحة من الحكومة البريطانية وسيلة لفتح الباب لتدلي لها بكل ما لدينا في هذه القضية من الأمور التي لم يكن هناك داع لإبدائها لولا هذه المناسبة .

« ونحن على يقين أن الصراحة في جميع ما أخبرتنا به الحكومة البريطانية سواء في المراسلات أو المحادثات التي جرت وتجرى بيننا وبينها نعتقد أنها أعظم وأحسن وسيلة لتأييد الصداقة بيننا وبينها ، وهي التي درجنا عليها منذ نشأتنا السياسية إلى اليوم .

« وتذكر الحكومة البريطانية أنه في الأعمال السابقة التي وقعت في بلادنا ؛ ولم تكن موجهة لطرف من أطرافنا ؛ بل كانت موجهة لشخصنا مباشرة ولأساس ملكنا كنا نخبر الحكومة البريطانية بما يصلنا عنها من أخبار وأقوال ، سواء أيام حركات الدويش واجتماعاته ببعض الموظفين البريطانيين ؛ سواء يوم خروج ابن رفادة من العقبة في رابعة النهار بين سمع الموظفين هناك وبصرهم ؛ وقد كان أفضل شيء لمداواة مثل تلك الوقائع هو المصارحة والإخبار بما يصل لتجري معالجته .

« وإننا حينما اطلعنا على مثل تلك الاتهامات التي نسبت إلينا لم يكن لها في نفسنا تأثير ذو أهمية ؛ لأن الذي يعلم البراءة من نفسه لا يتشوش ذهنه حينما يسمع اتهامات تلقى حوله .

« أما الحقيقة الواقعة فإن أهل فلسطين — بعد أن رأوا من الحكومة البريطانية إصرارها على تقسيم بلادهم ، ثم ما آلت إليه الحالة من جراء الإجراءات الأخيرة — اعتقدوا أن الحكومة البريطانية تريد إفناءهم عن آخرهم ؛ لتُحِلَّ اليهود محلهم في بلادهم ، وهم بعد هذا الاعتقاد لم يتركوا باباً للمقاومة إلا طرقوه ، ولا سبيلاً لنيل المساعدات إلا سلكوه ، وفي جملة الذين توخوا أن يلقوا منهم

مساعدات بالمال والسلاح والقوة نحن بصورة شخصية ، كما توخوا ذلك من من أهل بلادنا .

« لقد سبق أن أخبرنا الحكومة البريطانية بالتأثير الحاصل في نفوس أهل بلادنا ، وأن أثر ذلك في نفوس النساء والأطفال إن لم يكن بأكثر مما هو في نفوس الرجال المدركين للخطر الحاضر والمستقبل على العرب كافة من اليهود ، فهو مثله على الأقل .

« وإذا قلت لكم : إنه يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود فإني غير صادق ، ولو أن المقصود اليهود وحدهم فإني أفضّل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين .

« ولكن القائم في القضية هو الحكومة البريطانية وليس اليهود وحدهم ، وبيننا وبينها عهود صداقة مكتوبة ، وعهود مصالح متبادلة .

« وفي اعتقادنا اليقيني أن أفضل ما للعرب لمصالحهم الحاضرة والمستقبلة أن يكونوا مع بريطانيا أصدقاء على الدوام ، ولو أطاعوني أهل فلسطين لاتّخذوا المطالبة بالطرق السلمية الوسيلة الوحيدة لمطالبهم مع بريطانيا .

« ونحب أن تتأكد الحكومة البريطانية أن محاولات وجهوداً كثيرة بُذلت لدينا لنوال مساعدات من أجل الثورة في فلسطين ، ولكن لا يمكن إن شاء الله أن نعمل عملاً يخل بالتعهدات التي بيننا وبين بريطانيا ، ولو عرضنا مثل هذه المساعدات على العقل لأدرك أنه من المستحيل على مثلنا — بعد الذي خبرناه من أمور الدهر — أن يُقدم على مثل ما يقال ، فإن فلسطين ليست أمام اليهود ، وإنما هي أمام بريطانيا ، وفلسطين بالنسبة لبريطانيا ليست إلا جزءاً قليلاً لا قِبَل لها بشيء من قوات بريطانيا ، ولو فرضنا أن قوات العرب الذين حولهم اجتمعت معهم على قتال بريطانيا ، فهل يمكن لهذا المجموع كله أن يغلب

بريطانيا ؟ فإذا كان هذا هو الواقع ، فهل يمكن أن يخطر لنا على بال أن نمدّ أهل فلسطين بشيء من السلاح لا يغني عنهم فتيلاً ، ونوقعهم فى مشكلات مع بريطانيا تكون سبباً لذهابهم ؟ .

« وأما أقوال الناس فنحن ما يمكن أن نؤخذ بما يتقوله المتقولون ، وهم إما عدوّ يحب الإيقاع بيننا وبين بريطانيا ، وإما صاحب هوى أو غرض ، وإما من أهل فلسطين الذين يريدون تقوية معنويات الثوار بقولهم : إن ابن سعود سيساعدنا أو يعطينا ، إلى غير ذلك من الأقوال . فمطلوب أن يعرض ما يقال على العقل ؛ ويدقق فى تاريخ علاقاتنا مع بريطانيا وآرائنا السياسية فيما نعتقد أنه المصلحة للعرب من صداقتها .

وليت الحكومة البريطانية اطلعت على ما يشاع عنا مقابل هذه الإشاعات ؛ فلقد فسّر كثير من العرب سكوتنا فى قضية فلسطين أنه تواطؤ منا مع بريطانيا مقابل مصالح خاصة ضمنتها لنا لقبولنا فى التقسيم . فهذه التهم وُجهت لنا سراً وجهاراً ، حتى من أشد الناس وثوقاً بغيرتنا الإسلامية العربية ، لقد قالوا ذلك حينما رأوا ذلك السكوت منا فى الوقت الذى يجدون فيه الآخرين معالنين بما يجول ويتردد فى النفوس الإسلامية العربية عن قضية فلسطين .

« ومن أجل ذلك نحن نلخص لها الموقف هنا بجلاء لتكون بريطانيا على يقين من حقيقة ما يقال :

١ – إن أهل فلسطين وكثيراً من العرب موقنون الآن بأن الحكومة البريطانية مصممة على تقسيمهم ، وأنهم إن لم يرضوا بهذا التقسيم فستمحوهم عن بكرة أبيهم وتزيلهم من الوجود ، وتحل اليهود محلهم .

٢ – إن هذه العقيدة شملت أهل فلسطين ، واستيقنها غيرهم من العرب والمسلمين .

٣ – لقد وردت لنا رسائل عديدة من بعض الحكومات العربية ومن كثير من الجمعيات يستحثوننا لطلب المساعدة والنجدة .

٤ – إن أهل فلسطين يسعون بشتى الوسائل لإدراك أقصى ما يمكنهم من الذخيرة والقوة لمواصلة القتال من أي جهة كانت ، لأن الذى يشعر أنه هالك لا يبالى بسلوك أي طريق قد يكون له أمل فيه .

٥ – إن الشعور العامّ في بلادنا متأثر من قضية فلسطين إلى أبعد مدى ، ولولا خوفه من شخصى لأتى بأعمال تزيد الموقف حراجة .

٦ – أما نحن فإنا لا نزال ولن نزال على عهدنا الذى تعاهدنا مع بريطانيا عليه ، ولا نزال نعتقد أنه لا بد لبريطانيا أن تنظر بعين الإنصاف للعرب ، وأنه خير للعرب أن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا في سائر الأوقات .

٧ – عملنا التحقيق الدقيق فيما ذكرته الحكومة البريطانية عن تهريب سلاح من « حقل » فلم نعثر على أثر لذلك ، وظهر أن ما قيل لم يقع ، وحققنا في جهات « الجوف » بعد إخبار الحكومة البريطانية لنا قاربنا بشخصين كانا قدما للتجارة فأخرجناهما .

٨ – حققنا فيما نسبته الحكومة البريطانية من تصريحات ليوسف ياسين ، فتحقق لدينا تحققاً يقيناً لا شبهة فيه أن يوسف لم يتلفظ بمثل ما نُقل عنه للحكومة البريطانية .

٩ – إن خطتنا التى نسير عليها في قضية فلسطين هي أن نصارح الحكومة البريطانية بنصائحنا وآرائنا فيها مصارحة الصديق لصديقه .

« أما اعتقادنا فإن تأسيس دولة لليهود في فلسطين هو مناف لمصالح العرب ، وممهد بمحو العرب ، ليس في فلسطين وحدها ، بل في سائر البلاد

العربية . كما نعتقد أن ذلك ضد مصلحة بريطانيا ، وإننا من أجل ذلك نواصل نصائحنا ورجاءنا للحكومة البريطانية لتعدل عن هذه الخطة ، كما نواصل نصائحنا الخاصة لأهل فلسطين بأن يتخذوا طريق التفاهم مع بريطانيا من أجل ذلك لأنه أسلم الطرق للوصول للمقصود .

ونحب أن تكون بريطانيا على يقين من أننا ما زلنا ولن نزال أصدقاءها ، ولم ينقطع أملنا في إنصافها » .

(الختم الملكي)

عبد العزيز السعود

وعندما صدر قرار لجنة اللورد بيل بالتقسيم أصدرت الحكومة الامريكية بيانا أيدت فيه قرار التقسيم ، فارسل الملك عبد العزيز رسالة إلى الرئيس روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية . وهذا نصها :

« في ٧ شوال ١٣٥٧ (٢٩ نوفمبر ١٩٣٨)

« يا صاحب الفخامة

« لقد اطلعنا على ما أذيع عن موقف حكومة الولايات المتحدة الأميركية في مناصرة اليهود بفلسطين ، وبالنظر لما لنا من الثقة في محبتكم للعدل والإنصاف وفي تمسك الأمة الأميركية الحرة بأعرق التقاليد الديموقراطية المؤسسة على تأييد الحق والعدل ونصرة الأمم المغلوبة ؛ ونظراً للصلات الودية التي بين مملكتنا وحكومة الولايات المتحدة فقد أردنا أن نلفت نظر فخامتكم إلى قضية العرب في فلسطين وبيان حقهم المشروع فيها ، ولنا ملء الثقة أن بياننا هذا يوضح لكم وللشعب الأميركي ، قضية العرب العادلة في تلك البلاد المقدسة .

« لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن موقف أميركا أن قضية فلسطين قد

تنظر إليها من وجهة نظر واحدة ، هي وجهة نظر اليهود والصهيونية ، وأهملت وجهات نظر العرب . وقد رأينا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة النطاق أن الشعب الأميركي الديموقراطي قد ضلل تضليلا عظيما أدى إلى اعتبار مناصرة اليهود على سحق العرب في فلسطين عملاً إنسانياً ، في حين أن مثل ذلك ظلم فادح وُجه إلى شعب آمن مستوطن في بلاده كان ولا يزال يثق بعدالـة الرأي العام الديموقراطي فى العالم عامة وفى أميركا خاصة ، وإنا على ثقة بأنه إذا اتضح لفخامتكم وللشعب الأميركي حق العرب في فلسطين فإنكم ستقومون بنصرته حق القيام .

« إن الحجة التي يستند إليها اليهود فى ادعاءاتهم بفلسطين هي أنهم استوطنوها حقبةمن الزمن القديم ، وأنهم مشتتون في بلاد العالم ، وأنهم يريدون إيجـاد مجتمع لهم يعيشون فيه أحراراً فى فلسطين ، ويستندون فى عملهم إلى وعد تلقوه من الحكومة البريطانية سُمي بوعد بلفور .

« أما دعوى اليهود التاريخية فإنه لا يوجد ما يبررها ، في حين أن فلسطين كانت ولا تزال مشغولة بالعرب في جميع أدوار التاريخ المتقدمة ، وكان السلطان فيها لهم ، وإذا استثنينا الفترة التي أقامها اليهود فيها ، والمدة الثانية التي سيطرت فيها الإمبراطورية الرومانية عليها ، فإن سلطان العرب كان منذ الزمن الأقدم على فلسطين إلى زماننا هذا .

« وقد كان العرب في سائر أدوار حياتهم محافظين على الأماكن المقدسة ، معظمين لمقامها ، محترمين لقدسيتها ، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص ، ولما امتد الحكم العثماني على فلسطين ، كان النفوذ العربي هو المسيطر ، ولم يكن العرب يشعرون بأن الترك دولة مستعمرة لبلادهم . وذلك :

١ ـــ لوحدة الجامعة الدينية .

٢ ـــ لشعور العرب أنهم شركاء الترك فى الحكم .

٣ ـ لكون الإدارة المحلية للحكم بيد أبناء البلاد أنفسهم .

« فمما ذُكر يرى أن دعوى اليهود بحقهم في فلسطين ـ استناداً إلى التاريخ ـ لا حقيقة لها ، فإن كان اليهود قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصورة استيلاء فإن العرب قد استوطنوها مدة أطول بكثير من ذلك ، ولا يمكن أن يُعتبر احتلال أمة لبلد من البلدان حقاً طبيعياً يبرر مطالبتها به ، ولو اعتبر هذا المبدأ في العصر الحاضر لحق لكل أمة أن تطالب بالبلدان التي سبق لها إشغالهـا بالقوة حقبة من الزمن ، وتسبب عن ذلك تغيير خريطة العالم بشكل من أعجب الأشكال مما لا يتلاءم مع العدل ولا مع الحق والإنصاف .

« أما دعوى اليهود التي يستثيرون بها عطف العالم أنهم مشتتون في البلدان ومضطهدون فيها ، وأنهم يريدون إيجاد مكان يأوون إليه ليأمنوا على أنفسهم من العدوان الذي يقع عليهم في كثير من الممالك فالمهم في هذه القضية هـو التفريق بين القضية اليهودية العالمية أو اللاسامية وبين قضية الصهيونية السياسية .

فإن كل المقصود هو العطف على اليهود المشتتين فإن فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم الآن مقداراً عظيماً لا يوجد ما يماثله في أي بلد من بلدان العالم وذلك بالنسبة لضيق أرض فلسطين ، وبالنسبة لأراضي العالم التي يقيم اليهود فيها ، وليس في استطاعة رقعة ضيقة كفلسطين أن تتسع لجميع يهود العالم ، حتى لو فرض أنها أخليت من سكانها العرب كما قال المستر ملكولم ماكدونالد في خطاب ألقاه في مجلس النواب البريطاني مؤخراً ، فإذا قبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين في فلسطين في الوقت الحاضر فتكون هذه البلاد الصغيرة قد قامت بأعظم قسط إنساني لم يقم بمثله غيرها ، ويرى فخامة الرئيس أنه ليس من العدل أن تسد حكومات العالم ـ وفي جملتها الولايات المتحدة ـ أبوابها بوجه مهاجري اليهود وتكلف فلسطين البلد العربي الصغير لتحملهم .

« وأما إذا نظرنا إلى القضية من وجهة الصهيونية السياسية فإن هذه الوجهة

تمثل ناحية ظالمة غاشمة . سداها القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل ، ولحمتها النهم السياسي والطمع الشخصي لبعض أفراد الصهيونية .

« وأما استناد اليهود إلى تصريح بلفور فإن التصريح بحد ذاته جاء جورا وظلما على بلاد آمنة مطمئنة . وقد أعطي من قبل حكومة لم تكن تملك يوم إعطائه حق فرضه على فلسطين . كما أن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ، ولا فى نظام الانتداب الذى فرض عليهم . كما صرح بذلك ماكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية أيضاً . وذلك برغم الوعود التى بذلها الحلفاء — وبينهم أميركا — لهم بحق تقرير المصير . ومن المهم أن نذكر أن وعد بلفور كان مسبوقاً بوعد آخر من الحكومة البريطانية بمعرفة الحلفاء بحق العرب فى فلسطين وفى غيرها من بلاد العرب .

« ومن هذا يتبين لفخامتكم أن حجة اليهود التاريخية باطلة ، ولا يمكن اعتبارها ، وحجتهم من الوجهة الإنسانية قد قامت فيها فلسطين بما لم يقم به بلد آخر ، ووعد بلفور الذى يستندون إليه مخالف للحق والعدل ، ومخالف لمبدأ تقرير المصير ، والمطامع الصهيونية تجعل العرب فى جميع الأقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها .

أما حقوق العرب في فلسطين فإنها لا تقبل المجادلة ، لأن فلسطين بلادهم منذ أقدم الأزمنة ، وهم لم يخرجوا منها . كما أن غيرهم لم يخرجهم منها . وقد كانت من الأماكن التى ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهاراً يدعو إلى الإعجاب ، ولذلك فهي عربية عرقاً ولساناً وموقعاً وثقافة ، وليس فى ذلك أي شبهة أو غموض ، وتاريخ العرب فى تلك البلاد مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة .

« ولما جاءت الحرب العامة انضم العرب إلى صف الحلفاء أملاً فى الحصول على استقلالهم ، وقد كانوا على ثقة تامة من أنهم سينالونه بعد الحرب العامة للأسباب الآتية :

١ — لأنهم اشتركوا بالفعل فى الحرب ، وضحوا فيها بأموالهم وأنفسهم .

٢ — لأنهم وُعدوا بذلك من قبل الحكومة البريطانية فى المراسلات التى دارت بين ممثلها السر هنرى مكماهون وبين الشريف حسين .

٣ — لأن سلفكم العظيم الرئيس ولسون قرر دخول الولايات المتحدة الأميركية فى الحرب إلى جانب الحلفاء نصرةً للمبادىء الإنسانية السامية التى كان من أهمها حق تقرير المصير .

٤ — لأن الحلفاء صرحوا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ عقب احتلالهم البلاد أنهم دخلوها لتحريرها وإعطاء أهلها حريتهم واستقلالهم .

« وإذا رجعتم فخامتكم إلى التقرير الذى قدمته لجنة التحقيق التى أرسلها سلفكم الرئيس ولسون عام ١٩١٩ إلى الشرق الأدنى علمتم المطالب التى طلبها العرب فى فلسطين وفى سورية حينما سُئلوا عن المصير الذى يطلبونه لأنفسهم .

« ولكن العرب — لسوء الحظ — وجدوا أنفسهم بعد الحرب أنهم قد خُذلوا وأن الأمانى التى وُعدوا بها لم تحقق ، وقد جزئت بلادهم ، وقسمت تقسيماً جائراً ، وأوجدت لهذه الأقسام حدود مصطنعة لا تبررها عوامل جغرافية ، ولا جنسية ، ولا دينية ، وعلاوة على ذلك وجدوا أنفسهم أمام خطر أعظم ، هو خطر غزو الصهيونية لهم واستملاكها لبقعة من أهم بقاعهم .

« لقد احتج العرب بشدة عندما علموا بتصريح بلفور ، واحتجوا على نظام الانتداب ، وأعلنوا رفضهم له وعدم قبولهم به منذ اليوم الأول ، وقد كان تدفق مهاجرى اليهود من الآفاق المختلفة إلى فلسطين مدعاة لتخوف العرب على مصيرهم وعلى حياتهم ، فحدثت فى فلسطين ثورات وفتن متعددة سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ وكان أهم تلك الثورات ثورة عام ١٩٣٦ التى لا تزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة .

إن عرب فلسطين – يا فخامة الرئيس – ومن ورائهم سائر العرب وسائر العالم الإسلامي يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنها ؛ ومن المستحيل إقرار السلام في فلسطين إذا لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا أن بلادهم لن تُعطَى إلى شعب غريب أفاق تختلف مبادئه وأغراضه وأخلاقه عنهم كل الاختلاف ، ولذلك فإننا نهيب بفخامتكم ، ونناشدكم باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهرت بها الأمة الأميركية النبيلة أن تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين ، وأن تكونوا نصراء للآمن المطمئن الهادىء المعتدى عليه من قِبَل تلك الجماعات المشردة من سائر أنحاء العالم ؛ لأنه ليس من العدل أن يُطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدن . وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته .

ولا نشك في أن المبادىء السامية التي يتحلى بها الشعب الأميركي ستجعله يذعن للحق ويقدم لنصرة العدل والإنصاف » .

حُرِّر في قصرنا بالرياض ، في اليوم السابع من شهر شوال سنة سبع وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرية ، الموافق تسعة وعشرين نوفمبر سنة ثمان وثلاثين بعد التسعمائة والألف ميلادية .

* * *

واهتمت الصحافة العالمية والعربية برسالة ابن سعود إلى روزفلت اهتماما عظيما ، ونشرتها كاملة ، وعلقت عليها ، وتصدى لها اليهود بالرد ، وتناولها جهابذة علماء اليهود بالنقد . وكتبوا الفصول الطويلة يثبتون فيها حقهم التاريخي في فلسطين بحجج لا تثبت أمام المنطق والحق والعدل والعقل ؛ ولم يسخط الصهيونيون على حاكم عربي سخطهم على ابن سعود ، فقد كان – دون منازع – حامل راية فلسطين في العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وجعل قضيتها قضية حياته بل أكثر .

وإن مذكرة ابن سعود التي بعثها للحكومة البريطانية في ٢٠ يونيو ١٩٣٨ والتي سبق نشرها قبل هذه الرسالة تحوي صراحة قوله : « اذا قلت لكم : إنه يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود فإني غير صادق ، ولو أن المقصود اليهود وحدهم فإني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين » .

وهذه الكلمة الموجزة تدل على عظم قضية فلسطين ، فهي أكبر من الأموال والأولاد ، بل هي أعظم لأنها أكبر من الذراري التي يدخل فيها النساء ، فالقضية هي الحياة كلها بما تحوي ومن تحوي .

وتلقى ابن سعود جواب روزفلت ، وهو هذا :

البيت الابيض

واشنجتون : ٩ يناير ١٩٣٩ يوافق ١٦ ذى القعدة ١٣٥٧ .

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربيـــة السعودية .

يا صاحب الجلالة :

لقد سرني كثيراً استلامي كتاب جلالتكم المؤرخ في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٨ الذى سلمه القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بالقاهرة في ٦ ديسمبر إلى القائم بأعمال المفوضية الأمريكية هناك بخصوص مسألة العرب في فلسطين .

ولا يخفى على جلالتكم أن الحالة في فلسطين استرعت طويلا اهتمـــام الشعب الأميركي ، ولذلك فإني قد طالعت كتاب جلالتكم الذى كرستموه لهذا الموضوع باهتمام خاص .

إن اهتمام الشعب الأميركي بفلسطين يرتكز على عدة اعتبارات ، منها ما هو ذو صبغة روحية ، ومنها ما هو ناشىء عن الحقوق التي نالتها الولايات المتحدة في فلسطين من الاتفاقية الأميركية البريطانية الخاصة بالانتداب في فلسطين ، المؤرخة في ٣ ديسمبر ١٩٢٤ .

وقد تبين موقف الولايات المتحدة بشأن فلسطين في « بيان عام » أصدرته وزارة الخارجية في ١٤ اكتوبر ١٩٣٨ ويسرني أن أبعث بجلالتكم بصورة منه . ويمكنني أن أضيف إلى ذلك أن هذه الحكومة لم تتخذ مطلقاً أيّ موقف مخالف لما تمسكت به منذ البداية في هذا الموضوع .

صديقك الحميم

(التوقيع)

فرانكلين روزفلت

وهذا هو البيان الامريكي الذي أشار اليه الرئيس روزفلت :

وزارة الخارجية

للصحافة

١٤ اكتوبر ١٩٣٨ (رقم ٤٩٩)

قد تسلمت الحكومة في خلال الأيام القليلة الأخيرة عدداً كبيراً من الرسائل البرقية والخطابات صادرة من أفراد وهيئات في الولايات المتحدة بشأن الحالة في فلسطين . وتشير إشارة خاصة لما يشاع من احتمال تطبيق الحكومة البريطانية لسياسة جديدة إزاء هذه البلاد ، وواضح أنه من المتعذر الإجابة على حدة على الرسائل العديدة التي وصلتنا . ولهذا فهذا البيان صادر بديلا عن الردود الفردية .

وكما هو معروف حق المعرفة فالشعب الأميركي قد اهتم اهتماماً وثيقاً عدة سنين برقي الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وكل رئيس — ابتداءً من الرئيس ولسون — قد عبّر عن اهتمامه الخاص في مناسبة واحدة أو مناسبات عدة بفكرة وطن قومي . وأبدى سروره بالتقدم الذي وصل إليه إنشاء هذا الوطن ، وفوق ذلك فقد عبر عن عطف الأميركيين على الوطن اليهودي في فلسطين ، وبالقرار المشترك الذي اتخذه المجلس النيابي الأميركي [1] والذي أمضاه الرئيس في ٢١ سبتمبر ١٩٣٢ مسجلاً خطة الولايات المتحدة الودية نحو هذا الوطن القومي .

وقد أبدت لجنة الشؤون الخارجية في هذا المجلس عند تقديم القرار رأيها : أي أنه يعبر عن اهتمامنا الأدبي وخطتنا الودية نحو إنشاء وطن قومي للشعب في فلسطين ، وهو لا يربطنا بأي ارتباط خارجي أو يزج بنا في أي اشتباك .

وإنه في ضوء هذا الاهتمام قد راقبت الحكومة الأميركية وشعبها بأشد العطف تدرج الوطن القومي في فلسطين ، وهو مشروع لعب فيه الذهب ورأس المال الأميركي دوراً رئيسياً .

وفي مناسبات عدة قد عرضت هذه الحكومة آراءها بخصوص حقوق الولايات المتحدة ومواطنيها في فلسطين على أنظار الحكومة البريطانية . وإذا رجعنا قليلاً إلى عام ١٩٣٧ فقد تبودلت رسائل رسمية ، والفقرة الآتية الغنية عن كل بيان مقتبسة من المذكرة النهائية المؤرخة ٤ أغسطس ١٩٣٧ التي بعث بها سفير أميركا في لندن لوزارة الخارجية البريطانية . وهي :

« إزاء التعبير عن ارتياحنا وتقديرنا للتوكيدات المقدمة من حكومة صاحب الجلالة عن رغبتها في إحاطة حكومة الولايات المتحدة إحاطة تامة بأية مقترحات

---

(١) الكونجرس .

قد تعرضها على مجلس عصبة الأمم لتعديل الانتداب في فلسطين ، فإني مكلف بالرجاء لتقديم هذه المقترحات لحكومتي قبل وقت كاف يسمح لها بتوجيه أية ملاحظات قد ترغب في إبدائها إن كان هناك محل للملاحظة بخصوص حفظ الحقوق الأميركية في فلسطين » .

ولذلك فمن المأمول أن تتاح الفرصة لهذه الحكومة لتقديم آرائها للحكومة البريطانية بخصوص أي تغييرات تمس الحقوق الأميركية مما قد يقترح في الانتداب على فلسطين ، وهذه الحقوق التي حددتها اتفاقية الانتداب بين أميركا وبريطانيا أو معاهدة ٣ ديسمبر ١٩٢٤ تشمل معاهدة عدم التمييز في مسائل التجارة ، وعدم المساس بالحقوق الملكية الأميركية المكتسبة ، والترخيص للرعايا الأميركيين بإنشاء وإدارة المعاهد التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين ، والضمانات الخاصة بالنظام القضائي ، وعلى العموم المعاملة على قدم المساواة مع كافة الرعايا الأجانب

وحقوق الولايات المتحدة بخصوص أي تغييرات تطرأ على الانتداب في فلسطين مبينة في المادة (٧) من المعاهدة السالفة الذكر ، وهاك نصها :

« لا يمس أي شيء تشمله الاتفاقية الحاضرة من جراء أي تعديل قد يطرأ على شروط الانتداب كما هو مبين من قبل إلا إذا وافقت على هذا التعديل الولايات المتحدة » .

وهذه المادة في مجموعها مشابهة لما يماثلها من المواد الموجودة في ثمانية اتفاقات أخرى عقدتها الحكومة بخصوص الأقاليم تحت الانتداب ، وهي : سورية ، ولبنان ، والجزر الألمانية سابقاً في شمال المحيط الهادي ، والكمرون الفرنسية ، وتوجولند الفرنسية ، وشرقي إفريقيا البلجيكي ، والكمرون البريطاني ، وشرق إفريقيا البريطاني ، وتوجولند البريطانية ، ولا تخوّل أية مادة من هذه المواد حكومة الولايات المتحدة أن تمنع تعديل أية مادة من مواد إحدى هذه الانتدابات ، إلا أنه بمقتضاها تستطيع هذه الحكومة أن ترفض الاعتراف

بمشروعية تطبيق أيّ تعديل يطرأ على الانتدابات فيما يختص بتطبيقه على المصالح الأميركية ، إلا إذا كان هذا التطبيق قد وافقت عليه حكومة الولايات المتحدة .

وترى هذه الوزارة (وزارة الخارجية) أن لجنة تقسيم فلسطين التي عينت من بضعة شهور خلت لتشير على الحكومة فيما تراه بخصوص التقسيم أنها ستقدم تقريرها للحكومة البريطانية في نهاية هذا الشهر ، وأن هذه الحكومة لن تصل إلى قرار ما في هذا الموضوع إلا بعد إتاحة الفرصة لها لبحث هذا التقرير .

وإجابة على سؤال قدم في مجلس العموم في ٦ اكتوبر ١٩٣٨ نقل الينا أن المستر ماكدونلد وزير المستعمرات البريطاني قد صرّح بأن مجلس العموم قد لا يكون في مركز يخوله التصديق على أيّ قرار يكون قد اتخذ فعلا ووضع موضع التنفيذ أو رفضه ، ولكن تتاح للمجلس الفرصة في بحث أية سياسة قبل التصديق عليها ووضعها موضع التنفيذ من قبل الحكومة البريطانية .

وبالطبع ، ستستمر وزارة الخارجية الأميركية في متابعة الحالة عن كثب ، وستتخذ كل الخطوات الضرورية لحماية الحقوق والمصالح الأميركية في فلسطين » .

وهذا البيان الامريكي يوضح وضوحاً تاما موقف الحكومة الامريكية من قضية فلسطين ، فهي حامية اليهود ، وراعية مصالحهم ، ومنفذة خططهم في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

ولهجة البيان توحي بأن الحكومة الامريكية مصممة على نشوء هذا الوطن ، وسياستها في الشرق العربي قائمة على العمل الجاد على إنشاء هذا الوطن وقيامه .

وما دمنا قد بدأنا في بيان اتصالات ابن سعود برئيس الولايات المتحدة الامريكية فان من تمام البحث أن نستوفي هذه الاتصالات الرسمية ثم نعود إلى اتصالات ابن سعود بالحكومة البريطانية لنتم القول فيها .

وبعث ابن سعود كتابا إلى الرئيس روزفلت فى ٢٥ ربيع الآخر ١٣٦٢ (٣٠ إبريل ١٩٤٣) هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية إلى فخامة الرئيس فرانكلين روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية .

يا صاحب الفخامة .

فى هذا المعترك العالمي العظيم الذى قامت فيه الأمم تهدر دماءها ، وتبذل ثرواتها دفاعاً عن حرياتها واستقلالها ؛ فى هذا المعترك الذى أعلنت فيه المبادىء السامية التى يكافح عنها الحلفاء فى ميثاق الاطلانطيك .

فى هذا الصراع الذى أهاب فيه زعماء كل بلد بشعوبهم وبحلفائهم وأصدقائهم أن يكونوا عوناً لهم فى النزاع الحياتي راعني وراع المسلمين والعرب ما شاع من انتهاز فئة من اليهود الصهيونيين هذه الأزمة الخانقة وقيامهم بدعاية واسعة النطاق أرادوا بها السعي لتضليل الرأي العام الأميركي من جهة ، والضغط على دول الحلفاء فى موقفهم الحرج من جهة ثانية ليحملوا بذلك دول الحلفاء على الخروج على مبادىء الحق والعدل والإنصاف التى أعلنوها وقاتلوا من أجلها ، وهي حريات الشعوب واستقلالها ، يريدون بعملهم هذا أن يحملوا الحلفاء على مساعدتهم فى القضاء على الشعب العربي الآمن المطمئن فى فلسطين من آلاف السنين يريدون إخراج هذا الشعب الكريم من موطنه ، وأن يحل اليهود المشردون من كل الآفاق فى هذا الموطن الإسلامي العربي المقدس ، وأيّ ظلم فادح فاضح — لا قدّر الله — أن يكون من نتائج هذا الصراع العالمي أن يأتي الحلفاء فى آخره ليكللوا ظفرهم المقبل بهذا الجور من إخراج الشعب العربي من موطنه فى

فلسطين ، وأن ينزلوا مكانه شذاذ آفاق من اليهود لا تربطهم بهذا الموطن أية رابطة غير دعوى خيالية لا أصل لها في نظر الحق والعدل إلا ما يحيكونه بوجوه مملوءة بالخداع والغش : منتهزين بذلك هذه الفرصة الحرجة للحلفاء ، ومنتهزين فرصة جهل الشعب الأميركي بحقيقة قضية العرب عامة ، وقضيتهم في فلسطين خاصة .

لقد سبق أن كتبت لفخامتكم بتاريخ ٧ شوال ١٣٥٧ الموافق (١٩ نوفمبر ١٩٣٨ كتاباً أوضحت فيه حقيقة الأمر بين العرب واليهود في فلسطين ، ولا بدَّ أن فخامتكم إذا رجعتم إلى ذلك الكتاب ستجدون فيه أنه لا يوجد أيّ حق لليهود في مطالبتهم بفلسطين ، وأن كل ما يطلبونه فيها ليس إلا اعتداء وعدواناً لم يسجل التاريخ له مثيلا في تاريخ البشرية ، ففلسطين عربية منذ التاريخ الأقدم ، وموقعها في وسط البلاد العربية ، ولم يسكنها اليهود إلا حقبة من الزمن كان أكثر مدة تاريخهم فيها مملوءاً بالمجازر والمآسي ، ثم أجلوا عنها ، وجلوا منها منذ حقب من الزمن ، هؤلاء القوم يراد اليوم أن يعيدوا سيرتهم الأولى فيُعتدى بذلك على الآمنين المطمئنين .

تكاد السماوات يتفطرن وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً من كل ما يدعيه اليهود في فلسطين ديناً ودنيا .

وكنت بعد كتابي المشار إليه لفخامتكم أعتقد — ولا أزال أعتقد — أن حق العرب في فلسطين أصبح واضحاً لدى فخامتكم ، لأني لم ألاحظ في جوابكم لي بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٩ أن فخامتكم لاحظتم أية ملاحظة على الحقائق التي ذكرتها في ذلك الكتاب .

وكنت أرغب ألاّ أشغل فخامتكم ورجال دولتكم في هذا الظرف العصيب بهذه القضية ، ولكن ما تواترت به الأنباء عن عدم تورع هذه الفئة من الصهيونيين في إثارة هذه القضية الظالمة الخاطئة هو الذي جعلني أذكّر فخامتكم بحقوق

المسلمين والعرب في ذلك البلد المقدس لتعملوا على منع هذا الظلم ، وليكون بياننا لفخامتكم مساعداً على إيضاح حق العرب في فلسطين للشعب الأميركي بأسره ، ليعلم الشعب الاميركي — الذي يراد تضليله من طرف الصهيونية اليهودية بما لها من وسائل الدعاية الواسعة — الحقيقة الواقعة ، فيعمل في نصرة العرب المظلومين ، ويكلل جهاده الحاضر بإقامة قسطاس الحق والعدل في سائر المواطن من العالم .

إننا لو تركنا جانباً العداوة الدينية القائمة بين المسلمين واليهود من أول نشأة الإسلام بأسباب ما كاده اليهود للإسلام والمسلمين ونبيهم من أول يوم ، لو تركنا ذلك جانباً ونظرنا إلى قضية اليهود من الوجهة الإنسانية البحتة لوجدنا الأمر كما ذكرته لفخامتكم في كتابي السابق من أن فلسطين — باعتراف سائر من عرف فلسطين من أبناء البشر — لا تستطيع أن تحل قضية اليهود العالمية .

ولو فرضنا أن أحكام الظلم طُبقت على فلسطين بكل معانيها ، بمعنى أنه لو فرضنا أن قتل أبناء فلسطين العرب عن بكرة أبيهم رجالا ونساء وأطفالا ، وأخذت أراضيهم ، وسلمت كلها لليهود ؛ فإن ذلك لا يمكن أن يحل المشكلة اليهودية ، ولا يمكن أن يؤمن أرضا كافية يسكنها اليهود ؛ فلماذا يراد القيام بهذا الظلم الفرد الفذ في تاريخ البشرية بدون وصول إلى نتيجة ترضى الساعين في هذا القتل أنفسهم ونعنى بهم اليهود ؟ .

لقد ذكرت لفخامتكم في كتابي السابق أنه إذا نظر إلى الموضوع من وجهته الإنسانية فإن فلسطين البلد الصغير قد زُجّ فيها من اليهود إلى ما قبل الحرب العالمية الحاضرة ما يقرب من أربعمئة ألف ، فصارت نسبتهم فيها بعدما كانت في آخر الحرب العالمية الماضية سبعة في المئة ؛ وهذه الزيادة لا تزال مستمرة ولا ندرى إلى أيّ حد ستنتهى ؟ وأصبح ما يملكونه إلى ما قبل الحرب العامة الحاضرة مليوناً وثلاثمئة واثنين وثلاثين دونماً من أصل سبعة ملايين دونم ، وهو كل ما هو قابل للزراعة في فلسطين جميعها .

إننا لا نريد محو اليهود ، ولا نطالب بذلك ، ولكننا نطالب بألا يُمحى العرب من أرض فلسطين من أجل إسكان اليهود فيها .

إن أرض العالم لن تضيق على اليهود ، فإذا تحمل كل بلد من بلدان الحلفاء الآن في الوقت الحاضر عُشر ما تحملته فلسطين أمكن حل قضية اليهود ، وأمكن حل قضية إسكانهم ، وكل ما نرجوه في هذا الموقف الحاضر هو مساعدة فخامتكم لإيقاف سيل هذه الهجرة إيقافاً تاماً بإيجاد أماكن لليهود في غير فلسطين يأوون إليها ، ومنع بيع الأراضي لليهود في فلسطين منعاً باتاً ، ثم ينظر فيما بعد بين العرب والحلفاء لتأمين حياة من يمكن أن تتحمله فلسطين من اليهود المقيمين فيها الآن .

إني أكتب هذا الرجاء لفخامتكم وأنا على يقين بأنكم ستتقبلون هذا الرجاء من صديق يشعر بتقديركم للصداقة ، كما يشعر بتقديركم للحق والعدل والإنصاف ، وكما أشعر بأن الشعب الأميركي من أقصى أمانيه أن يخرج من هذا المعترك ظافراً بنصر المبادىء التي يحارب من أجلها ، وهي حرية الشعوب وإعطاء كل شعب حقه ، لأنه – لا سمح الله – لو أعطي اليهود بغيتهم في فلسطين لظلت فلسطين مقراً لفتن دائمة كما حصل في الماضي تسبّب المتاعب للحلفاء عامة وللحكومة بريطانيا الصديقة خاصة ، واليهود بما أوتوا من قوة في المال والعلم قادرون على إيقاع الشقاق بين العرب والحلفاء في كل وقت ، كما كانوا سبباً لكثير من المشاكل التي وقعت من قبل .

وكل ما نحرص عليه هو أن يسود العدل والحق سائر الحلول التي ستُحل بها قضايا الشعوب والأمم بعد هذه الحرب ، وأن تكون علاقات العرب على الدوام مع الحلفاء على أحسن حال وأقواه وأمتنه .

وفي الختام أرجو أن تتقبلوا فائق تحياتي .

حُرر في مخيمنا بروضة خريم في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع

الثاني سنة اثنتين وستين بعد الثلاثمائة والألف ، الموافق لليوم الثلاثين من شهر ابريل سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادية .

(التوقيع)
عبد العزيز

وتلقى ابن سعود جواب كتابه من روزفلت ، وتاريخه ١٥ يوليو ١٩٤٣ (١٩ رجب ١٣٦٢) وهذا نصه :

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية — الرياض —

أيها الصديق العظيم

قد تلقيت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٣٠ ابريل ١٩٤٣ المتعلقة بالشؤون التي تمس فلسطين . وإني أقدر روح الصداقة التي أبديتموها في إعرابكم لي عن هذه الآراء ، ولقد أحطت علماً بكل دقة بالتصريحات الواردة في هذه الرسالة . كما أني أحطت علماً بما جاء في كتاب جلالتكم المؤرخ في ١٩ نوفمبر ١٩٣٨ والرسالة الشفوية التي بلغ بها المستر كيرك الوزير الأميركي في نهاية زيارته الأخيرة إلى الرياض ، ولا شك أن جلالتكم قد تلقيتم رسالتي التي بلغها المستر موس لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، وكما ذكرت في تلك الرسالة يظهر لي من المرغوب فيه للغاية أن العرب واليهود ممن تهمهم المسألة يتفاهمون تفاهماً ودياً فيما يتعلق بفلسطين ، وذلك بمساعيهم الخاصة قبل انتهاء الحرب ، ويسرني أن تتاح لي هذه الفرصة لاكرر تأكيدي بأن رأي حكومة الولايات المتحدة هو أنه في كل حال يجب ألا يتخذ أي قرار يغير وضعية فلسطين الأساسية من دون التشاور الكامل مع كلا العرب واليهود .

وفي الختام أكرر التعبير عن خير التمنيات لدوام صحة جلالتكم والرفاه لشعبكم .

صديقكم المخلص
(التوقيع)
فرنكلين د . روزفلت

ورأى الرئيس روزفلت أن يعزز مكاتباته برسول يمثل شخصه لدى ابن سعود ، فاختار اللفتننت كولونل هارولد هوسكنز الذى وصل إلى الرياض فى شهر رجب ١٣٦٢ (يوليو ١٩٤٣) ويحمل كتابا من روزفلت موجها إلى ابن سعود ، وهذا نص ترجمته العربية :

واشنطن — البيت الأبيض .

٧ يوليو ١٩٤٣

جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية

صديقى العزيز العظيم

لقد كلفت اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز بجيش الولايات المتحدة واضعاً فيه ثقتى الكاملة أن يطالب مقابلة جلالتكم ليبحث باسمى بعض المسائل الخاصة ذات المصلحة المشتركة .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعبر لجلالتكم عن أحسن تمنياتى بالصحة الطيبة لشخصكم والسعادة والرخاء لشعبكم الكريم .

صديقك المخلص
فرانكلن . د . روزفلت

ورحب ابن سعود بالممثل الشخصي للرئيس الامريكي ، وبعد ذلك ترك له الحديث لينقل إليه آراء الرئيس ، فقال هوسكنز :

« تعلمون جلالتكم أن الرئيس روزفلت تلقى كتبكم حول قضية فلسطين وسبق أن قدم إلى جلالتكم شكره على ما تفضلتم به من إبلاغه رأيكم ورأي العرب عامة في هذه المشكلة ، وهي كما تقدرون جلالتكم مشكلة متعقدة ، وقد زادت أهميتها في الأشهر الأخيرة عند الرئيس وعند المستر هل وزير الخارجية ، والمستر ولز نائب وزير الخارجية ، فازداد اهتمامهم بها .

« ولا يخفى على جلالتكم أنه قد أصبح من سياسة حكومة أميركا المقررة – وفيما أعتقد من سياسة حكومة بريطانيا أيضاً – أن تؤجل بقدر الإمكان إلى ما بعد انهزام المحور الأبحاث في المشاكل الإقليمية ومشاكل الحدود الكثيرة الكائنة في مختلف أنحاء العالم . لأن غايتنا الأولى التي نحن في أشد الحاجـــة إلى إدراكها هي النصر على أعدائنا .

« غير أنه في الوقت ذاته سيكون المستر تشرشل والرئيس روزفلت مقصرين في واجباتهما لو أهملا أية وسيلة يمكن أن تؤدي حتى قبل انتهاء الحرب إلى حل قضية فلسطين حلا وديا سلميا على شرط أن يكون الوصول إلى هذا الحـــل بطريق الاتفاق والتراضي بين الجهات المختصة المهمة .

« لقد فهم الرئيس روزفلت من كتب جلالتكم اهتمامكم الخاص بمشكلة فلسطين . ومع أنه يقدر تلك الكتب الثمينة حق قدرها إنما يعتقد أنه لا يمكن دراسة هذه القضية ولا البحث عن الوسائل لحلها من دون أن يطلع عـــلى آراء جلالتكم اطلاعا واسعا شاملا يزيد عما يمكن تدوينه في الكتب الرسمية . لأن قضية دقيقة وصعبة مثل قضية فلسطين لا يتضح كل ما تنطوي عليه إلا فـــي المحادثات الطويلة . ولهذا السبب أرسلني الرئيس روزفلت لأتشرف بمواجهة جلالتكم ، وآخذ رأيكم مباشرة ، ثم عند ما أعود إلى واشنطن أستطيع أن أبلغ

الرئيس رأساً وشخصياً ما تبدونه جلالتكم .

« وقد أمرني الرئيس بصفة خاصة أن ألتمس من جلالتكم الإجابة على السؤال الآتي :

« هل ترون جلالتكم أنه مما يُرغب فيه ومما يفيد في الوقت الحاضر أن تستقبلوا هنا في الرياض أو في أي مكان آخر الدكتور حايم وايزمن زعيم الصهيونيين لكي تتحدثوا معه وتبحثوا معاً عن حل لمشكلة فلسطين يرضى به كل من العرب واليهود ؟ .

« هذا هو سؤال الرئيس روزفلت ، ولكن إذا استصعبتم هذا الأمر ورأيتم أنه لا يمكن اجتماعكم بالدكتور وايزمن فيسأل الرئيس : هل ترون جلالتكم أنه مما يرغب فيه ومما يفيد في الوقت الحاضر أن يُعقد اجتماع بين شخص تعيّنونه لينوب عن جلالتكم وبين الدكتور وايزمن أو شخص آخر معيّن من قبل الوكالة اليهودية ، ويكون هذا الاجتماع إذا وافقتم عليه في مكان غير الرياض .

« وبهذه المناسبة يمكنني أن أحيط جلالتكم علماً بأن الرئيس روزفلت قد أخبر المستر تشرشل والمستر إيدن برغبته في إرسالي إلى الرياض لمقابلة جلالتكم في هذا الشأن فعبّرا عن موافقتهما على ذلك .

« وأكون شاكرا لجلالتكم إذا تفضلتم بالنظر في هذا السؤال ، وتكرمتم بعد التفكير فيه بإخباري عما إذا رأيتم أن اجتماعاً يعقد بين جلالتكم والدكتور وايزمن يكون من المرغوب فيه ومن المفيد .

وقد أمرت بعد أن أتشرف بتلقي إجابة جلالتكم أن أعود إلى واشنطن وأبلغ الرئيس روزفلت شخصياً بقراركم » .

وأجاب ابن سعود بما نصه :

« أبلغتموني سعادتكم تفضل فخامة الرئيس روزفلت بسؤاله عن رأينا ورأي العرب في مشكلة فلسطين التي زادت أهميتها في الأشهر الأخيرة .

« ونحن إذ نشكر لفخامته هذا الاعتناء المهم ، وإيفاده مندوباً لبقاً مثل سعادتكم للاستفسار عن رأينا في قضية فلسطين ؛ نذكر لفخامته أن رأينا في هذه القضية لم يتغير ، وقد ذكرناه لفخامته بكل وضوح في كتابينا اللذين أرسلناهما إلى فخامته بتاريخ ١٩ نوفمبر (١٩٣٨) وتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٤٣ وكل ما نريد في الأمر هو ألا يهضم حق العرب الصريح الذي هو مثل الشمس بمغالطات تاريخية ونظريات اجتماعية واقتصادية من قبل اليهود الصهيونيين .

« ثم إننا نؤيد كل ما أتينا به في كتابينا المشار إليهما ، ونرجو كذلك ألا تقترن أعمال من يريد العدل ونصرة الإنسانية — التي لا نشك بأن اميركا لم تدخل هذه الحرب الضروس إلا لتأييدها — بعمل غير إنساني يقضي على حقوق العرب في فلسطين لعدم الوقوف على الحقيقة ، فتكون بذلك مأساة وضربة للعرب لم يأت التاريخ بمثلها .

« ونحن إذ تسرنا الوعود الكريمة بالنظر في هذه القضية بوجه الحق والإنصاف بعد اندحار المحور يمكننا أن نرجو من فخامته تطبيق أحكام الكتاب الأبيض على الأقل في مدة هذه الحرب ؛ لأن في عدم تطبيق أحكامه وعدم وقف الهجرة التي تجاوزت الحد المعين خرقا كبيرا لحرمة العهود والمواثيق ، وإن ذلك في صالح اليهود على طول الخط ، وضد العرب بصورة لا تقبل الشك والتأويل .

« أما دخولي في مذاكرات لحل قضية فلسطين بصورة عملية غير إبداء الرأي والنصائح فذلك غير ممكن ، ولا أستطيع أن أعمل أي عمل إلا بعد استطلاع أفكار ذوي العلاقة الذين في أيديهم الحل والعقد في هذه القضية .

وبذلك يمكن توجيه الآراء لحل المشكلات على ضوء هذه الأفكار ، فإذا رأى فخامته أن نقوم بمراجعة العرب للاستفسار عن آرائهم فنحن نقوم بذلك إن شاء الله .

« وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام .

« أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة ، وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ، ومتأصلة من أول الزمان ، فمن هذا يظهر جلياً أننا لا نأمن غدر اليهود ، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم : أولاً : لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين ، وثانياً : لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم ، وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن نقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم فنحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذ .

« أما الشخص الذي هو الدكتور وايزمن فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة ، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والإسلام تكليفاً دنيئاً لأكون خائناً لديني وبلادي ، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه ، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب ، إذ أرسل إليّ شخصاً أوربياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلّم إليّ عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ، ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع .

إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لايقبل هذا ، لا في حقي ولا في حقه ، فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس حتى يرى إلى أيّ حدّ يتجرأ اليهود للوصول إلى غاياتهم الباطلة ، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها » .

وبعد انتهاء الاجتماع بين ابن سعود والممثل الشخصي للرئيس أسلمه جواب رسالته إليه ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية

إلى صاحب الفخامة الرئيس فرانكلن روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية

يا صاحب الفخامة

« تلقيت ببالغ السرور كتاب فخامتكم الصادر عن البيت الأبيض بتاريخ ٧ يوليو ١٩٤٣ الذي حمله إليّ مندوب فخامتكم اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز ، وقد كان من دواعي اغتباطي أنني اجتمعت بالمندوب المشار إليه ، وأطلعني على آراء فخامتكم الخاصة ببعض الشؤون والمسائل ذات المصلحة المشتركة ، وبحثت معه في هذه المواضيع على ضوء المصالح المذكورة ، وهو سينقل بدوره ولاشك لفخامتكم آرائي وأفكاري .

« هذا وقد تلقيت بالحبور تحيات فخامتكم التي حملها إليّ المندوب المشار إليه ، والذي قام بما عهد إليه من المهمة بما تقتضيه فطنته ولباقته اللامعة ، وإني اغتنم فرصة عودته إلى الولايات المتحدة فأبعث لفخامتكم بشكري الخالص على

نيل غايتكم بانتداب سعادته مما دلّ على متانة الصداقة التي تربط بلادينا ، كما أبعث بتحياتي الخالصة وتحيات حكومتي وشعبي وتمنياتنا الطيبة لفخامتكـــم وللشعب الأميركي الكريم .

صديقكم

(التوقيع)

عبد العزيز

ولم يقف ابن سعود جهوده لدى الرئيس الامريكي . ففي نهاية الحــرب الكبرى الثانية كتب إليه رسالة مطولة هذا نصها [1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم : ٢٦ / ٤ / ١ / ٤٥

التاريخ : ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٤

١٠ مارس ١٩٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأفخم

يا صاحب الفخامة

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشارككم السرور بانتصار المبادىء التي أعلنت

(١) هذه الرسالة نفسها بعثها ابن سعود الى ونستون تشرشل بالتاريخ نفسه ، وباسمه .

الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكّر الشخصيات العظيمة التي بيدها — بعد الله — تصريف مقاليد نظام العالم بحق صريح دائم منذ عرف التاريخ ، ويراد — الآن — القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلا ولا نظيرا .

ذلك هو حق العرب في فلسطين الذي يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم التي اخترعوها وبيتوها وعملوا لها في شتى أنحاء العالم من الدعايات الكاذبة ، وعملوا في فلسطين من المظالم ، وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا مما علم بعضه الناس ، ويقي الكثير منه تحت طي الخفاء . وهم يعدون العدة لخلق شكل نازي فاشستي بين سمع الديموقراطية وبصرها في وسط بلاد العرب ، بل في قلب بلاد العرب ، وفي قلب الشرق الذي أخلص العمل لقضية الحلفاء في هذه الظروف الحرجة .

وإن حق الحياة لكل شعب في موطنه الذي يعيش فيه حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية ، وأقرته مبادىء الإنسانية التي أعلنها الحلفاء في ميثاق الإطلنطي وفي مناسبات متعددة ، والحق الطبيعي للعرب في فلسطين لا يحتاج إلى بينات ، فقد ذكرتُ غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت ، وللحكومة البريطانية في عدة مناسبات أن العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ ، وكانوا سادتها والأكثرية الساحقة فيها في كل العصور ، وإننا نشير إشارة موجزة إلى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين حتى اليوم لنبين أن دعوى الصهيونية في فلسطين لا تقوم على أساس تاريخي صحيح .

يبتدىء تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأول من توطن فيها الكنعانيون ، وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب ، وكانت مساكنهم الأولى في منخفضات الأرض ، ولذلك سموا كنعانيين .

وفي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين) بقيادة

النبيّ إبراهيم فريق من اليهود ، وأقاموا في فلسطين ، ثم هاجروا إلى مصر بسبب المجاعات حيث استعبدهم الفراعنة .

وقد ظل اليهود مشردين فيها إلى أن أنقذهم النبيّ موسى من غربتهم ، وعاد بهم إلى أرض كنعان عن طريق الجنوب الشرقي في زمن رمسيس الثاني سنة ١٢٥٠ أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد .

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائد اليهود الذي فتح فلسطين كان يشوع ابن نون ، وهو الذي عبر بجيشه واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشه : « حرّقوا كل ما في المدينة ، واقتلوا كل رجل وامرأة ، وكل طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها » . (يشوع ٦ : ٢١ — ٢٢) وقد انقسم بعد ذلك إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ، وقصبتها السامرة (نابلس) وقد دامت ٢٥٠ سنة ، ثم سقطت في يد شلمناصّر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسَبّى شعبها إلى مملكته .

ثم مملكة يهوذا ، وقصبتها : أورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل ، ثم أبيدت على يد نبوخذ نصّر ملك بابل الذى أحرق المدينة والهيكل بالنار ، وسبي الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة ، ثم رجع اليهود إلى فلسطين بأمر قورش ملك الفرس .

ثم تلا ذلك الفتح اليوناني بقيادة إسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة ، وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ قبل الميلاد بقيادة بومبي ، ودام حكم الرومان في فلسطين مدة ٧٠٠ سنة ، وفي سنة ميلادية احتل العرب فلسطين ، ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة متواصلة ،

وكانت وصية الخليفة الفاتح : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تَغُلّوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأناس قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » وقد ذكر هذا ابن الأثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم في فلسطين إلى الأتراك سنة ١٥١٧ ميلادية في زمن السلطان سليم الأولّ ، وظلت فلسطين في حوزتهم مدة ٤٠٠ سنة ، وكان العرب سكانها ، وكانوا شركاء مع الأتراك في حكمها وإدارتها . وفي سنة ١٩١٨ احتلها البريطانيون ، ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية ، يدل على أن العرب أول سكانها ، سكنوها منذ ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة قبل الميلاد ، واستمر سكناهم فيها بعد الميلاد إلى اليوم ، وحكموها وحدهم ومع الأتراك ألفا وثلثمائة سنة تقريباً ، أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها إقامات متفرقة مشوشة ، منذ سنة ٣٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود في فلسطين أي وجود أو حكم إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ .

ومعنى ذلك أن اليهود منذ ألفين ومئتي سنة لم يكن لهم في فلسطين عدد ولا نفوذ .

ولما دخل البريطانيون إلى فلسطين لم يكن عدد اليهود فيها يزيد على ثمانين ألفا ، كانوا يعيشون في رغد وهناء ورخاء مع سكان البلاد الأصليين من العرب ، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين في حقبة من الزمن ، ثم أخرجوا منها منذ أكثر من ألفي سنة .

أما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين فتستند :

١ — على حق الاستيطان الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، ولم يخرجوا منها في يوم من الأيام .

٢ — وعلى الحق الطبيعي في الحياة .

٣ — ولوجود بلادهم المقدسة فيها .

٤ — ليس العرب دخلاء على فلسطين ، ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانه فيها .

أما اليهود فإن دعواهم التاريخية إنما هي مغالطة ، ثم إن حكمهم القصير في فترات متقطعة — كما ذكرنا — لا يعطيهم أي حق في ادعائهم أنهم أصحاب البلاد ، لأن احتلال بلد ما ثم الخروج منه لا يخوّل أي شعب ادعاء ملكية تلك البلاد ، والمطالبة بذلك ، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال .

إن حل قضية اليهود المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الجائرة ، فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم ؛ وفلسطين قد تحملت قسطاً فوق طاقتها ، وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الأصليين فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري .

وإنا نوضح بصراحة أن مساعدة الصهيونية في فلسطين لا يعني خطراً يهدد فلسطين وحدها ، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية ، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين ، وفي سائر البلاد المجاورة ، فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ، ومن الخطأ أن يقال : إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم . وإن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم .

وإنا نقول : إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر اليهودية الصهيونية ، وقد بدأ هؤلاء

أعمالهم المنكرة بالإساءة للحكومة التى أحسنت إليهم وآوتهم ، وهي الحكومة البريطانية ، فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشكيلات عسكرية خطيرة تملك في فلسطين في الوقت الحاضر كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية ، ثم قام أفرادها بشتى الاعتداءات ، وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذى كان ممثلا بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو اللورد موين ، ومما يدل على أن فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من جميع اليهود المظاهر والمساعى التى قام بها رجال الصهيونية في كل مكان فى طلب تخفيف العقوبة عن المجرمين ليجرئوا غيرهم على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التى أحسنت إليهم كل الإحسان ، فكيف يكون الحال لو مكنوا من أغراضهم ، وأصبحت فلسطين بلدا خالصا لهم ، يفعلون فيه وفى جوارها ما يريدون ؟ .

ولو ترك الأمر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين فربما هان ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب ، فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية ، بل قامت بتدبير حبائل الشر ، وبدأتها ببريطانيا ، وأنذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها ، فإذا كانت الحكومات المتحالفة التى تشعر العرب بصداقتها تريد أن تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهود فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج .

وإن أخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو :

١ — أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .

٢ — ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل فى إفساد ما بين العرب والحلفاء ، وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين فى مقتل اللورد موين فى

مصر ، فقد قدر اليهود أن يخفوا فاعل الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر .

٣ - إن مطامع اليهود ليست فى فلسطين وحدها ، فإن ما أعدوه من العدة يدل على أنهم ينوون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية .

٤ - لو تصورنا استقلال اليهود فى مكان ما فى فلسطين فما الذى يمنعهم من الاتفاق مع أي جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب ، وهم قدبدأوا بعدوانهم على بريطانيا وهم تحت حمايتها ورحمتها .

لا شك أن هذه أمور ينبغي أخذها بعين الاعتبار فى إقرار السلام فى العالم عندما يُنظر فى قضية فلسطين ، ففضلا عن أن حشد اليهود فى فلسطين لا يستند إلى حجة تاريخية ، ولا حق طبيعي ، وأنه ظلم مطلق ؛ فهو فى نفس الوقت يشكل خطرا على السلم وعلى العرب ، وعلى الشرق الاوسط .

وصفوة القول : إن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضيةلكيان العرب ، ومهددا للسلم باستمرار ، لأنه لا بد أن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب ، فإذا نفد صبر العرب يوما من الأيام ويئسوا من مستقبلهمفإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة إزاء هذا العدوان ، وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء ، العاملين على سيادة السلم واحترام الحقوق ، ولا نشك أنهم لا يرضون هذه الحالة المقلقة المهددة لسلام الشرق الأوسط .

ما كنت أريد فى هذا المعترك العظيم أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين فى هذه الحرب العظمى بهذا الموضوع ، وكنت أفضل - وأنا واثق من إنصاف العرب من قِبَل دول الحلفاء - أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب ، لولا ما نراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج ، غير مقدرين الظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرها ، عاملين

للتأثير على الحلفاء بكل أنواع الضغط ليحملوهم على اتخاذ خطة ضد العرب تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادىء الحق والعدل .

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين على حقيقته ، لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية دفعاً لعدوانهم ، وبيانا للحقائق ، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب في بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم ، فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم في عدم التشويش على الحلفاء في الظروف الحاضرة ، فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه .

وكل ما نرجوه هو أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يعتبر خطرا على العرب وعلى مستقبلهم في سائر أوطانهم ، ويكون العرب مطمئنين من العدل والإنصاف في أوطانهم .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي .

عبد العزيز السعود
(الختم الملكي)

وتلقى ابن سعود جواب رسالته هذه من روزفلت وهذا نصها :

البيت الأبيض — واشنطن

٥ إبريل ١٩٤٥

صديقي الطيب العظيم

لقد تسلمت رسالة جلالتكم التي بعثتم بها إليّ بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥

والتي أشرتم فيها إلى قضية فلسطين ، وإلى المصالح الدائمة للعرب في استمرار كل ما يؤثر في رقيّ وتحسين تلك البلاد ..

إنني مغتبط أن جلالتكم انتهزتم هذه الفرصة للفت انتباهي لآرائكم في هذه القضية ، وقد أعطيت أدق الانتباه للبيانات التي أدرجتموها في كتابكم . وإني أيضا لمنعم الخاطر بالمحادثات التي لا تنسى والتي جرت بيننا منذ أمد غير بعيد ، والتي في أثنائها تهيأت لي الفرصة لأدرك أي أثر حيّ لآراء جلالتكم في هذه القضية .

وتذكرون جلالتكم أنني في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين ، وأوضحت رغبتنا بألا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كل من العرب واليهود ، ولا شك أن جلالتكم تذكرون أيضا إنني في خلال محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أني لن أتخذ أي عمل — بصفتي رئيسا للسلطة التنفيذية لهذه الحكومة — يتضح أنه عدائي للشعب العربي .

وإنه لمما يسرني أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التي سبق أن تلقيتموها جلالتكم بشأن موقف حكومتي وموقفي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين ، في هذا الخصوص ، وأن أؤكد لكم أن سياسة هذه الحكومة في هذا الأمر لن تتغير .

وأود في هذه الفرصة أن أبعث إليكم بأحسن تمنياتي بدوام صحة جلالتكم ورفاهية شعبكم

صديقكم الحميم

(التوقيع)

فرنكلين . د . روزفلت

إلى حضرة صاحب الجلالة ، عبد العزيز بن الرحمن آل فيصل آل سعود .
ملك المملكة العربية السعودية . الرياض

* * *

واذا كان لنا تعليق على رسالة ابن سعود فإنه أوجز ما يقال : إنه كان ملهما تقشع عن بصيرته حجاب المستقبل فذكر ما وقع بعد أن قال ما قال بسنوات كثيرة . فقد قال : ان اليهود سيقومون بسلسلة من المذابح . وهذا قد وقع ، وذكر ابن سعود أن ما قد أعده اليهود يدل على أنهم ينوون العدوان على البلدان العربية المجاورة .

قال ابن سعود ذلك قبل أن يتأسس لليهود دولة ببضع سنوات ، ولما أقيمت الدولة أخذ ما ذكره ابن سعود قبل وقوعه يقع تباعا حتى كانت كارثة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ التي انتهت باحتلال اليهود أراضي عربية من سوريا ومن مصر ومن الأردن .

ولم تقف جهود ابن سعود على المكاتبات بينه وبين حكام امريكا وبريطانيا ؛ بل تجاوزها إلى الصلات والمقابلات الشخصية ، فعندما قابل ابن سعود روزفلت كان أكبر اهتمامه وقفا على قضية فلسطين ، وبحث معه بحثا مجردا عن الهوى ؛ واستطاع أن يقنع روزفلت بحق العرب وعدالة القضية .

وقد مر بالقارىء اسم « هوبكنز » الممثل الشخصي للرئيس روزفلت الذى بعثه إلى ابن سعود ، وهوبكنز صديق روزفلت ، وكان في صحبته إلى مؤتمر يالطة الذى جمع بين روزفلت وتشرشل وستالين قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ؛ وقد دون هوبكنز في « مذكراته » المطبوعة اجتماع ابن سعودوروزفلت وما جرى بينهما من أحاديث ، لأنه كان في صحبة الرئيس الامريكي ، وعلم بكل ما دار بين الزعيمين الكبيرين ودونه ، وما جاء في « مذكراته » لا يخرج عما جاء في المحاضر الرسمية التي تحتفظ وزارة الخارجية السعودية بنسخة منها ، وهذا ما ذكره هوبكنز :

« لقد كتب شيء كثير عن المظهر العام لاجتماعات الرئيس بالثلاثة : الملك عبد العزيز . والملك فاروق ، وملك الحبشة . ولكن الأمر الجدير حقيقة بالاهتمام من تلك الاجتماعات أو المؤتمرات هو المناقشة التي دارت بين الرئيس وابن سعود بشأن فلسطين ، فلقد كانت قصيرة وحاسمة .

« واني على يقين من أن الرئيس لم يكن يتوقع أن يرى في ابن سعود الذي طلب مقابلته ما رآه فيه ، فهو رجل ذو مهابة خارقة ، وقوة عظيمة ، ولد جندياً وقضى حياته كلها في خوض المعارك التي تلذ له ولكل أتباعه الكارهين لليهود ، وهو عربي من أوله إلى آخره ، وفي كل وقت .

« وعندما طلب الرئيس من ابن سعود السماح بدخول عدد آخر من اليهود إلى فلسطين مبيناً له أن عددهم ضئيل بالنسبة إلى مجموع سكان الأقطار العربية صُدم صدمة عنيفة بإجابة ابن سعود له ، وعلا وجهه العبوس قائلاً : لا ، ثم أبان أنه بنى رفضه على أساس الحقيقة التالية : وهي أن اليهود لم ينجحوا في العمل على ازدهار المنطقة التي يسكنونها إلا بفضل رؤوس الأموال الأميركية والإنكليزية التي تدفقت عليهم بملايين الدولارات ، وقال : لو أن هذه الملايين أعطيت للعرب لأمكنهم أن يعملوا مثل عملهم .

« وذكر عبد العزيز لروزفلت : أن هناك جيشاً إسرائيلياً في فلسطين كامل التسليح يريدون به فيما يعتقد محاربة العرب لا محاربة الألمان .

« وأوضح ببساطة أن العالم العربي لن يسمح لليهود بأي توسع آخر في فلسطين للتوطن في المستقبل .

« وأكد بوضوح أن العرب سيحملون السلاح قبل أن يوافقوا على هذا الأمر ، وأن دينه يوجب عليه العمل معهم في فلسطين وحولها .

« ويظهر أن الرئيس لم يفهم كل الفهم ما كان يقوله ابن سعود ، فقد أعاد

عليه السؤال مرتين أو ثلاث مرات ، وكان ابن سعود في كل مرة أشد تصميماً مما قبلها في إجابته .

ولا شك في أن ابن سعود ترك أثراً كبيراً في نفس الرئيس بأن العرب ينوون العمل لا مجرّد القول » .

ويردد هوبكنز قوله : « إن الرئيس قد تأثر جد التأثر بما قاله ابن سعود » وقال : « لا يمكنني أن أستسيغ تصريح الرئيس في مؤتمر صحفي عقب ذلك بأن ما عرفه من ابن سعود عن فلسطين في خمس دقائق أكثر مما عرفه في حياته كلهـــا » .

وبعد عودة الرئيس روزفلت إلى واشنطن صرح في « الكونجرس » يوم أول مارس ١٩٤٥ بقوله :

« في طريق عودتي من بلاد القرم اتخذت التدابير لأقوم بمقابلة شخصية للملك فاروق ملك مصر ، وهيلاسلاسي امبراطور أثيوبيا ، والملك ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وقد تناول حديثنا من المسائل ما يتصل بالمصلحة المشتركة . وسيكونون ذوي نفع مشترك ، لأنهم منحوني كما منحوا كثيراً منا فرصة مقابلتهم والتحدث إليهم وجهاً لوجه ، ومبادلتهم الرأي في أحاديث خاصة بدلا من الوسائل الرسمية .

فقد وعيت — مثلا — عن مسألة الجزيرة العربية تلك المشكلة بحذافيرها : مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود . وعيت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة » .

وقد جاء في كتاب « خمسون عاما في الجزيرة العربية » للشيخ حافظ وهبة (صفحة ٦٨) قوله : « وفيما يلي نص ما دار بينهما » ثم ذكر الحديث الذي

جاء بنصه الاستاذ خير الدين الزركلي في كتاب « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » (صفحة ١١٦٥ – ١١٦٦) ذكر أنه رأى في إضبارة بوزارة الخارجية بجدة في موضوع المقابلة ما نصه حرفيا ، وكلا المؤلفين تيسر لهما الاطلاع على المكاتبات والوثائق الرسمية بوزارة الخارجية بحكم عملهما فيها ، ونحن ننقل عنهما وعن غيرهما ما جاء في هذا الفصل من المكاتبات والتصريحات والوثائق مما يتعلق بقضية فلسطين ، وها هو ذا ما جاء في هذين المرجعين :

« سأل فخامة الرئيس روزفلت جلالة الملك عن نصيحته فيما يراه بخصوص قضية هجرة اليهود الذين أجلوا من أوطانهم في أوربا ، فردّ جلالته على فخامته بقوله : من رأيي أن يعود اليهود المقصوّن عن بلادهم ليعيشوا في البلدان التي أخرجوا منها ، أما اليهود الذين دمرت أوطانهم تدميراً تاماً ، والذين لا تواتيهم الفرص لأن يعودوا للعيش في أحضانها فيجب أن يعطوْا أماكن يعيشون بها في أراضي دول المحور التي اضطهدتهم .

« وقد لاحظ فخامة الرئيس أن بولندا يمكن أن تعتبر مثالاً في هذا الصدد ، إذ يبدو أن الألمان قتلوا من سكانها ثلاثة ملايين يهودي بولندي ، وهذا معناه وجوب إيجاد أماكن لكثير من هؤلاء اليهود الذين أصبحوا بلا مأوى .

« وحينئذ عبر جلالة الملك عن وضع العرب وحقوقهم الشرعية في بلدانهم ، ثم صرح بأن العرب واليهود لا يمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض لا في فلسطين ولا في أي بلد آخر ، واسترعى جلالته الانتباه إلى تهديد حياة العرب ، وتفاقم الأزمة الناجمة عن استمرار الهجرة اليهودية ، وشراء اليهود الأراضي العربية ، وزاد على ما تقدم أن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود ، وأن أمل العرب مبني على كلمة الشرف التي قالها الحلفاء ، وعلى الحقيقة المشهورة لدى الجميع من حب الولايات المتحدة الأميركية للعدل ، وعلى ما أناط العرب من الرجاء والأمل في الولايات المتحدة الأميركية لمعونتهم ومساعدتهم .

« وقد ردّ فخامة الرئيس على ذلك بأنه يودّ أن يؤكد لجلالته أنه لن يعمل أيّ شيء يساعد به اليهود ضد العرب ، وأنه لن يعمل أية حركة عدائية نحو العرب ، وذكر لجلالة الملك أنه من المستحيل أن يمنع الكلام أو إبداء الآراء في البرلمان الأميركي أو في الصحافة الأميركية فيما يتعلق بأيّ موضوع ؛ وأن تأكيداته تعتبر سياسته المقبلة نفسها كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأميركية .

« وقد شكر جلالة الملك الرئيس على هذه التأكيدات ، وذكر لفخامته المشروع الرامي الى إرسال وفد عربي إلى كل من أميركا وبريطانيا لتوضيح قضية العرب بفلسطين . فقال فخامته : إنه يرى أنها فكرة جيدة جداً ، لأنه يعتقد أن كثيراً من الناس في أميركا وانكلترا يجهلون ذلك ، فقال جلالة الملك : إن إرسال وفد عربي لتنوير الرأي العام عن قضية العرب في أميركا وانكلترا فكرة صائبة ومفيدة ، ولكن الأهمّ من كل ذلك عنده هو ما صرّح به فخامته الآن لجلالته فيما يتعلق بسياسته الطيبة تجاه العرب .

« وتكلم الرئيس عن حبه الشديد للزراعة : وأنه نفسه كان مزارعاً ، ولاحظ الحاجة إلى إيجاد المياه الكافية لزيادة الأراضي التي يمكن زراعتها وريها بالآلات لتقوم بريّ البلاد ، وعبر عن رغبته الخاصة في الريّ وتشجير الأرض . وقوة المياه التي يؤمل أن تنتشر بعد الحرب في كثير من البلدان ومن بينها بلاد العرب الذين يحبهم . وشكر جلالة الملك فخامته على تشجيعه الخاص للزراعة ولكنه قال : إنه شخصياً لا يرى الارتباط بشيء بشأن الزراعة إذا كانت النتيجة ستكون بتغلب اليهود في بلاد العرب .

(٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥)

وهناك تفصيل أدق لما دار بين ابن سعود وروزفلت دونه الكولونيل وليم إدي الذي كان حينئذ الوزير المفوض الامريكي بجدة في كتيب نشره وطبعه ،

ولا أستطيع أن أشير إلى طبعته وسنة صدوره ، لأنه بخزانة كتبي بمكة المكرمة حرسها الله ، وأنا أكتب هذا الفصل وأنا بلبنان . وقد نشر موجزه في بعض الصحف وبعض الكتب ، وأنا أنقل عنهما ما يخص المقابلة بين الزعيمين .

لما كان ابن سعود ضيف روزفلت الذي طلب المقابلة فقد أمسك عن تحديد الموضوعات التي يراد بحثها ، بل ترك ذلك للرئيس الامريكي .

« وبعد حديث في الحرب ونتائجها ذكر روزفلت لابن سعود : أن في باله أمرا عظيما يشغله ، ويرغب في استشارته ويطمع أن يكون له عونا في حله . وهذا الأمر هو قضية إنقاذ بقايا اليهود في أوربا ، وإعادة توطينهم بعد أن عانوا من العذاب على يد النازيين الذين اضطهدوهم وشردوهم وخربوا ديارهم وقتلوهم بالجملة » وأنه (أي روزفلت) يشعر بمسئولية شخصية حيالهم ، وأنه مصمم على أن يبذل العون لحل مشكلتهم . وسأل روزفلت الملك السعودي رأيه في ذلك .

وأجابه ابن سعود جوابا موجزا وسريعا إذ قال له : هذا حسن ، أعطوا اليهود وأحفادهم أحسن بيوت الألمان وأراضيهم ، أليس الألمان هم الذين اضطهدوا اليهود — كما تذكرون — اذن ، هم الذين يُغَرَّمون .

فرد عليه روزفلت : إن للناجين من اليهود رغبة عاطفية في سكنى فلسطين ، وأنهم يخشون — عن حق — الاقامة في ألمانيا خوفاً من تكرار العذاب الذي أصابهم .

فقال ابن سعود : إنني أعرف أن لليهود أسبابا تمنعهم من الثقة بالألمان ، إلا أنه يعرف حق المعرفة أن الحلفاء سيقضون القضاء التام على قوة النازيين إلى الأبد ، وسيكون نصرهم عزيزا بحيث يبسط الحماية على ضحايا النازية ، وإذا كان الحلفاء لا ينوون أن يشرفوا بحزم على سياسة ألمانيا في

المستقبل فلماذا يخوضون مثل هذه الحرب ذات الثمن الفادح ؟ إني – شخصياً – لا أتصور عدوى في مركز يسمح له بأن يرد الضربة بعد هزيمته ، ولا أستطيع أن أترك له قائمة تقوم ! .

ولم ينل الرئيس روزفلت مطلبه ومتمناه من ابن سعود فعاد إلى مطالبه نفسه بأسلوب آخر وقال : إني أعتمد على الكرم العربي ، وعلى الملك عبد العزيز في حل المشكلة الصهيونية . فأجابه ابن سعود قائلا : دع العدو الظالم يدفع الثمن ، وعلى هذا الأساس نحن العرب نخوض الحرب ، فالمجرم هو الذى يجب أن يؤدى الغرامة وليس المتفرج البريء ؟ .

ثم قال ابن سعود في أسلوب الاستفهام : أي شر ألحقه العرب بيهود أوربا ؟ إنهم المسيحيون الألمان الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم ، اذن ، فليدفع الألمان الثمن ! .

وعاد الرئيس الامريكي إلى الموضوع ليشكو من أن العاهل السعودي لم يمده بعونه لحل هذه المشكلة .

ويقول وليم إدى : يبدو أن صبر العاهل السعودي قد نفد بعض الشيء فقال بشيء من الحدة : إنه كبدوي غير متعلم لا يفهم مقصد الرئيس من عدم إلزام الألمان بالتعويض على اليهود ! .

وأنهى العاهل السعودي حديثه قائلا : إن من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين من المعركة على العشائر المنتصرة وفقاً لعدد كل عشيرة ، وبمقدار ما سمحت به من ماء وطعام في تموين المحاربين ، وقال : إن في المعسكر الحليف خمسين بلدا أصغرها وأفقرها فلسطين التي عهد إليها بأكثر مما تطيق من اللاجئين الأوربيين .

ويذكر وليم إدى أن الرئيس روزفلت أكد لابن سعود أنه – بصفة كونه

رئيساً للولايات المتحدة — لن يفعل شيئاً من شأنه أن يكون عدائيا للعرب . وإن حكومة الولايات المتحدة لن تغير من سياستها الأساسية حيال فلسطين دون مشاورات سابقة وكاملة مع كل من العرب واليهود .

* * *

ونغمة اضطهاد اليهود التي يرددها المسئولون الأمريكيون والبريطانيون والصحافة البريطانية والأمريكية تدل على سوء نياتهم جميعاً . فمنهم من يعرف أن الاضطهاد كما تصوره الصهيونية غير واقع ، ولكنهم يؤيدون الصهيونيين الظلمة بكل ما يملكون ، وبخاصة ونستون تشرشل . وأما روزفلت فيبدو لى من محادثته مع الملك عبد العزيز أنه طيب القلب سليم النية ، وقد خدعته الدعاية الصهيونية فاعتقد أن اليهود مضطهدون ، وغفل عن الاسراف فى المبالغة ، وعن أسباب الاضطهاد .

واليهود لم يكونوا مضطهدين ابتداء ، بل هم الذين يدفعون الناس دفعاً شديداً إلى أن يقفوا منهم موقف العداء بأعمالهم الهدامة . ولكن مهارة الصهيونية أثبتت فى أذهان كثير من السياسيين أن اليهود مضطهدون .

وعندما ذكر روزفلت للملك عبد العزيز اضطهاد اليهود لم يجابهه بالرد الذى يفحم ، لأنه ضيف لا يريد أن يسيء إلى مضيفه . فوافقه — جدلا — وذكر له أن حق المضطَهَد على مضطَهِده وظالمه ، لا على الأبرياء ، وإذا كان الألمان اضطهدوا اليهود وسلبوا لهم أموالهم وأخرجوهم فعلى اليهود أن يرجعوا على الألمان وحدهم .

ومن الظلم الذى لم يقع فى تاريخ البشر حتى اليوم أن يكون العرب محل النقمة والظلم والاستئصال والضراوة والفتك من قبل اليهود والغرب ، مع أن العرب كانوا الوحيدين فى جميع فترات التاريخ الذين أحسنوا إلى اليهود ،

وفي الوقت الذى كان المسيحيون يضطهدون واليهود اليهود يجدون فى ظل ظل السيادة الاسلامية الحرية التامة والأمن الكامل والعدل والرحمة والانصاف، ولكنهم يهود وحسب .

وقد بلغت الدعاية الصهيونية من المهارة أن المسئولين الألمان بعد عهد هتلر اعتقدوا أن ألمانيا الهتلرية اضطهدت اليهود حقيقة ، فهم يكفّرون عن جرائمها ضد اليهود بتعويضهم بالمال والسلاح وكل أنواع المعونات .

وقد فندت فرية « اضطهاد اليهود » عندما كنت في ألمانيا ، وأرى أن أعيد نشر ما قلت فى التفنيد من كتابي « اليهودية والصهيونية » الذي صدر منذ شهور ، وها هوذا النص :

« فى صباح يوم الأحد ٢٩ شعبان ١٣٨٩ (٩ نوفمبر ١٩٦٩) كان فى البرنامج الذى أعدته الاذاعة الالمانية لى مقابلة مسؤول فى وزارة الاعلام الالمانية فى برلين .

« وكان مرافقي الاستاذ مروان الشوربجي — وهو سوري من دمشق ومن كبار موظفي الاذاعة الالمانية بالقسم العربي ، والمعلق السياسي بها — وهو الذى يقوم لى بالترجمة ، وهو ذو خلائق فاضلة .

« بدأت زيارتي إياه بمكتبه فى الساعة العاشرة صباحاً ، ودامت المقابلة ثلاث ساعات شغلها الحديث فى الشيوعية والصهيونية واليهود ودولة اسرائيل وقضية فلسطين .

« ولم يكن المسئول الالماني متعصباً لليهود ، بل أستطيع أن أقول : انه كان صديقاً للعرب .

« وقال المسئول الالماني : الواقع أن قضية الأسلحة التى قدمتها ألمانيـــا

لاسرائيل لم تكن في صالح الشعب الالماني ، ولم يكن المسؤولون الالمان — غير المستشار السابق ووزير الدفاع الالماني — على علم بها ، وإن البرلمان الالماني استنكر صفقة الأسلحة التي تمت بين إسرائيل ومستشار ألمانيا السابق ووزير خارجيته .

« ثم قال : إن الشعب الالماني لا يخلو من شذوذ ، ومن هذا الشذوذ أنه لا يعرف الوسط ، فهتلر اضطهد اليهود وقتلهم بالجملة ، وهذا اندفاع شاذ ، واضطر الشعب الألماني الى دفع التعويضات ، لأن هتلر قتل اليهود ، وصادر أملاكهم وأموالهم ، وشعر الشعب الألماني بالإثم الفظيع . وأراد أن يكفّر عن خطيئته فدفع لليهود تلك التعويضات الضخمة ، ومن بينها الأسلحة .

« فأجبته : لنفرض أن هتلر اضطهد اليهود ، وقتلهم بالجملة ، وشعر الشعب الألماني بالإثم ، وصمم على التكفير ، واستعد بدفع التعويضات عن أرواح اليهود وأموالهم وأملاكهم المصادرة ، أترى أن هتلر صادر لهم أسلحة ومعدات حربية ؟ إن تكفيرهم عن إثم مفتعل بإثم أشد وأفظع يحتاج الى تكفير ! إنكم شعرتم بالإثم لأن هتلر قتل آلاف اليهود ، وأنتم أبحتم لليهود أن يقتلوا آلاف الأبرياء المدنيين الذين لم يؤذوا أحداً بالأسلحة التي دفعتموها لهم .

« وإذا كان هتلر قتل آلاف اليهود ، أفترى هؤلاء اليهود كانوا أبرياء .

« إني لا أدافع عن هتلر ، فهو ليس أهلاً لأن أدافع عنه ، ولكني أجعل التاريخ هو الذي يذكر تلك الحقائق ، فاليهود في ألمانيا لم يكونوا يوما بارين بوطنهم الألماني ، بل كانوا مع أعدائه دائماً ، وهم سبب هزيمته في حربين كبيرين .

« وما يزال اليهود حتى اليوم يعادون المانيا الغربية ، وإذا كانوا يتظاهرون لها بترك العداء السافر فسببه حاجتهم إلى أموال المانيا وأسلحتها ومساعداتها .

« واليهود دائماً يبالغون ، فإذا طلبت إليه حقاً من حقوقك وكان غير راغب

فى الوفاء به هاج وماج ، وصاح : قف ، هنا لا سامية ، هنا حرب لليهود .

« وأنتم باعترافك تبالغون ، وتسرفون ، والاسراف فى الشعور بالإثم المكذوب دفعكم إلى تضخيم التعويضات ، وإلى دفع الأسلحة والمعدات الحربية لليهود .

« إنكم تزعمون أنكم أصدقاء العرب ، أما العرب فقد كانوا وما يزالون أصدقاءكم ، ووقفوا معكم في الحربين ، وكانوا معكم دائماً ، وانهزمت دولة المسلمين وخلافتهم حتى أزيلت الخلافة من الوجود وكسرت شوكة المسلمين في الأرض بسبب وقوفنا معكم .

« واليهود وقفوا ضد الشعب الالماني ، وكانوا من أسباب هزيمته النكراء فى حربين كبريين وقبلهما ، وعد إلى تاريخ ألمانيا فستجد أن اليهود الالمان كانوا ضد ألمانيا فى كل فترات تاريخها .

« ومع ذلك جحدتم فضل العرب والمسلمين ، وهم أصدقاء لكم ، وأيدتم اليهود وقدمتم لهم الأسلحة التى قتلوا بها أصدقاءكم العرب والمسلمين ، قتلوا بها الأطفال والرضع والنساء والعجزة ، أيدتم اليهود وهم أعدى أعدائكم .

« ثم ان اليهود لم يضطهدهم هتلر إلى الحد الذى بالغ اليهود فى تصويره ، ولم يذكر عنه أنه قتل أطفال اليهود ، ولكن أسلحتكم التى أعطيتموها اليهود قتلت مئات الأطفال العرب .

« ثم زعم المسؤول الألماني بوزارة الاعلام أن اليهود قد اضطهدوا على مر التاريخ ، وان آلاف اليهود هاجروا من المانيا بسبب الاضطهاد الهتلري كما هاجروا من غير المانيا ، وفلسطين وطن اليهود الأصلي ، فإذا هاجروا إلى فلسطين فقد عادوا إلى وطنهم القومي ، ولكننا لا نوافق على إخراج العرب من ديارهم فى فلسطين ، ويجب أن يعيش العرب واليهود فى فلسطين بسلام .

« فقلت له : إني أحدث إليك حديثاً تدعمه الحقائق ، أما أنت فتحدثني حديثاً بعيداً عن الحق ، فاليهود لم يضطهدهم أحد في التاريخ كله ، بل هم الذين نكبوا الشعوب التي عاشوا في أوطانها ، ووسعتهم بفضلها وخيراتها .

« وأما أن فلسطين وطن قومي أصيل لليهود فذلك زعم مردود ، فاسم فلسطين يثبت أنها ليست لليهود ، ولم تكن مدينة القدس موضعاً دينياً لهم .

« فإبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يدعي نسبته إليهم ، وهو أبو كل رسلهم لم تكن فلسطين وطناً لهم ، فهو نفسه عليه الصلاة والسلام قد هاجر من العراق إلى فلسطين ، وسكن مع أهلها الأصلاء ، ولم يملك فيها شبراً من الأرض ، ولما توفيت زوجه سارة لم يكن يملك قبراً يدفنها فيه ، فاشترى من عفرون الحثي في جبل صهيون مكاناً دفن به زوجته ، وارجع إلى سفر التكوين تجد ذلك .

« والتوراة نفسها تثبت أن فلسطين أرض الكنعانيين ، وليست لليهود ، بل اليهود يعترفون أنهم هاجروا إليها وشاركوا أهلها السكن ، وكان اليهود عشائر غير متحضرة ، وكانوا منحطين عقلياً وثقافياً ، ولم تكن لهم مملكة ولا دولة ، بل كان لكل عشيرة شيخ يسمى قاضياً ، ومشهور في التاريخ أن عصر القضاة هو أول عصورهم في فلسطين .

« وهاجر يعقوب وأولاده الى مصر حيث وجدوا الأمن والرخاء ، وعاشوا تحت حكم الفراعنة ، ولسوء نيات اليهود وفساد أخلاقهم اضطهدهم الفراعنة ، فقرروا الهجرة ، ولم تكن فلسطين مقصدهم لأنها وطن قومي ، أو مكان ديني لهم ، فهاجروا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الشرق من مصر ، ولكنهم لم يدخلوا أرض فلسطين إلا بعد أربعين سنة ، وبعد موت موسى .

« ولم تكن لليهود دولة إلا لفترة قصيرة من سنة ١٠٢٠ قبل الميلاد الى سنة

٩٢٣ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي حكم فيها أول ملوكهم شاوول ثم داود وسليمان ، وبعد وفاة سليمان انقسمت المملكة قسمين : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهوذا ، ولم تكن المملكة الموحدة إلا في جزء صغير من فلسطين ، وأما المملكتان فكانتا صغيرتين ، وانتهى حكم الدولتين في فترتين ، فمملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة انتهت في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، ومملكة يهوذا انتهت في أواخر القرن السادس للميلاد .

« ثم يجب أن نلاحظ أن اليهود قد نفوا وهاجروا من فلسطين بأعداد كبيرة ، ومن بقي منهم في فلسطين كانوا في أحط الدركات .

« فأرض فلسطين ليست وطناً قومياً لهم ، وهيكل سليمان لم يكن مقدساً لدى اليهود جميعاً ، فقد هدمه أحد ملوك اليهود كما تذكر أسفارهم المقدسة .

« لا حق لليهود في فلسطين ، لا من ناحية الدنيا ولا من ناحية الدين .

« وأما خرافة اضطهاد اليهود فيجب فهمها على حقها ، وعلى سبيل المثال : من الذي اضطهد اليهود في مصر في عهد موسى ؟ وما أسبابه ؟ إن الشعب المصري لم يضطهدهم ، بل كانوا على وفاق معه ، بدليل تجده في سفر الخروج أحد أسفار التوراة ، فهو يذكر أن بني اسرائيل استعاروا من المصريين مصوغات ذهبية وفضية وملابس وهربوا بها ، ولو كان المصريون أعداء اليهود لما أعاروهم نفائسهم .

« وما يدعيه اليهود من اضطهاد الشعوب إياهم كذب ، فهم الذين يضطهدون الجوييم ، والجوييم غير اليهود ، يتاجر اليهود في كل بلد أكرمهم أهله بأرزاقه ويحتكرونها ، ويسلبون الناس أموالهم وأملاكهم ومزارعهم بوساطة القروض الربوية ، ويعزلون أنفسهم في كل بلد عن أهله ، فلا يؤاكلونهم ، ولا يشاركونهم في ضرائهم ، بل ضراؤهم ناجمة من اليهود .

« إن اليهود حتى اليوم هم الذين يضطهدون الشعوب الأخرى ، ولا تدل الهجرة اليهودية الى فلسطين على اضطهاد الناس إياهم ؛ بل سياسة زعمائهم ورغبتهم في حشد اليهود بفلسطين هي التي دعتهم الى تهجيرهم .

« ونكتفي بألمانيا مثالاً نسوقه ؛ فالمعروف المستقر في أذهان الناس أن الهتلريين اضطهدوا اليهود فاضطروا الى الهجرة فرارا من اضطهاد النازيين ، ولكن الواقع غير ذلك ، فقد كان للوكالة الصهيونية مكتب رسمي في برلين ، يرعى شؤون يهود ألمانيا ، وله فروع في مدنها ، وعلاقته بالجستابو علاقة وثيقة ، وأنت تعرف – ولا شك – شارع « ماين شبتراس » في برلين ؛ ففي هذا الشارع يقع المكتب اليهودي الصهيوني ، وكان يحتل العمارة رقم ١٠ قبل هدم برلين ، وفي أيام هتلر .

« وكان مدير هذا المكتب يهودياً صهيونياً مشهوراً في أوروبا يدعى جلعاد .

« وكان هذا المكتب يقوم بترحيل اليهود الألمان الى أوروبا وأمريكا وفلسطين .

« وكان اليهود المهاجرون ذوي صحة حسنة ، ويخرجون ومعهم أموال طائلة ينقلونها معهم الى البلدان التي يهاجرون اليها .

« أفيتفق هذا مع الاضطهاد ؟ .

« إن المضطهَد لا يكون موفور الصحة ، حراً في نقل أمواله .

« فرد المسؤول الألماني قائلاً : إنني أسمع هذه الحقائق لأول مرة ،وسأرجع الى المصادر التي ذكرتها ، وإلى الوثائق الرسمية والكتب التي ذكرت هجرات اليهود لأتزود منها بمعلومات أكثر ، وأعدك أنني سأرفع الى المسؤولين الكبار كل ما ذكرت .

* * *

« ومضت ثلاث ساعات فى الحديث بينى وبين المسؤول الألماني وقلت له : إننى لم أذكر لك كل ما أعلم مما يتصل باليهود والصهيونية ، وما ذكرته إن هو إلا عناوين ومن الذاكرة ، ولم أكن مستعداً للبحث العلمي الشامل فى موضوع اليهود ، ومع ذلك ففيما ذكرت بعض الغناء لمن يريد أن ينصف العرب والمسلمين وشعب فلسطين .

« وقلت له فى ختام الحديث : إنكم تزعمون أن النازيين صادروا أملاك اليهود وأموالهم فى ألمانيا ، لنفترض صحة هذا الزعم ، ولنفترض أن لهم الحق فى التعويض ، وأنا أوافق جدلاً على أن ذلك حق ، فأنتم أعطيتم دولة إسرائيل الأموال بدلاً من أموالهم وأملاكهم ، أفترى أن النازيين صادروا من اليهود أسلحة ومعدات حربية حتى تعطونهم إياها ؟ .

« ثم إنك تعترف بأن الشعب الألماني والحكومة لم يكونا على علم بصفقة الأسلحة التى تمت بين إسرائيل ومستشاركم السابق ووزير دفاعه ،ولم يوافق الشعب والحكومة عندما علما بهذه الصفقة ، وهذا يدل على أن العملية مريبة وغير شرعية ، وإلا لما استنكرتم .

« فوافق المسؤول الألماني على كل ما قلت ، ورجا أن تكون العلاقات بين ألمانيا والعرب حسنة فى الحاضر والمستقبل .

والحق أن الشعب الألماني المعروف بالشجاعة والكرم يكره اليهود لما طبعوا عليه من اللؤم والخسة وكراهيتهم لكل شعوب العالم » .

فاضطهاد اليهود فرية وليست حقيقة ، ولكن السياسة الاميريكية واقعة تحت تأثير الصهيونية التى لها نفوذ يجبر كل من يرشح نفسه للرئاسة والرئيس الذى يرغب فى إعادة ترشيحه يستجديان اليهود أصواتهم فيتحكمون فيهما ، وينتزعون منهما الوعد بتأييدهم ، ولا يكتفون بالتأييد ، بل ينتزعون منهما

الوعد بمعاداة العرب ، فاذا الرئيس المنتخب أو المعاد انتخابه ينقلب صهيونيا ، وهذا ما رأيناه في ترومان وفي جونسون وفي نيكسون — الرئيس الحالي — وسنراه فيمن يخلفه ، ولن يخرج أحد من رؤساء الولايات المتحدة عن قبضة الصهيونية ؛ فهذا ماكجوفرن منافس نيكسون على منصب الرئاسة يعلن في خطابه أنه مع اسرائيل ضد العرب ليعطيه يهود الولايات المتحدة أصواتهم فيفوز بمنصب الرئاسة .

* * *

ونعود إلى ما بعد الحرب الكبرى الثانية ، إلى سنة ١٩٤٦ لنرى موقف ترومان رئيس الولايات المتحدة الذي خلف الرئيس روزفلت ، فاذا هو يسفر عن عداء أصيل وحقد بشع على العرب ، فيؤيد الصهيونية أيما تأييد ، ويخضع لها خضوعاً تاماً ، ويبدأ عهده بكتاب يرسله الى رئيس الحكومة البريطانية يؤيد فيه تقرير اللجنة الانجليزية الأمريكية ، ويدعو إلى تنفيذه ، ولا يكتفي بذلك بل يعلن صهيونيته .

وموقفه ينقض موقف سلفه الرئيس روزفلت الذي وعد ابن سعود وعودا يعترف بها الامريكيون أنفسهم ، فيتصدى له ابن سعود ويعارض قرار اللجنة وكل من أيدوه، فتضطر لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية إلى زيارته بالرياض — وهي مؤلفة من السير جون سنجلتون رئيسا ومن كل من الميجر مانتجهام بولر والمستر باكستون عضوا وقابلوا ابن سعود في ١٦ ربيع الآخر ١٣٦٥ (٩ مارس ١٩٤٦) وبدأ رئيس اللجنة الحديث قائلا :

« إن اللجنة — كما يعلم جلالة الملك — قد أوفدتها الحكومتان البريطانية والأميركية رغبة في الوصول إلى حلّ مرض لمشكلة فلسطين الحاضرة ، وبعد انتهائها من زيارة مختلف البلدان العربية وغيرها ستقدم ما يتجمع لديها من معلومات وتقارير إلى الحكومتين البريطانية والأميركية . وتنحصر مهمتها في

معرفة ما لدى الجميع لتقدم تقريرها إلى الحكومتين المذكورتين . وليس لها أن تتعدى ذلك . كما أنه ليس من اختصاصها أن تؤيد فريقاً دون آخر ، أو أن تفصل فى القضية بحكم فى مصلحة قوم دون آخرين .

وقال : « إنهم يشكرون الملك عبد العزيز على قبوله لهم ليسمعوا آراء جلالته الشخصية فى الموضوع » .

فأجابهم : إن أمر فلسطين يشغل باله ويهمه ، لأنه عربي ومسلم ، والعربي للعربي . والمسلم أخو المسلم . وهو والعرب أصدقاء للحلفاء ، فمن مصلحة العرب مسلمين ومسيحيين دوام الصداقة والاتفاق مع الحلفاء ، وإن هذه الصداقة وهذا الاتفاق من مصلحة الحلفاء أيضا ، وذكر أنه نصح العرب والمسلمين وبخاصة مسلمى الهند بأن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا ، لأن فى ذلك مصلحة لهم .

وتابع حديثه قائلاً : « إن قضية الصهيونية فى فلسطين تهم المسلمين والعرب بصورة عامة وتهمنى بصورة خاصة ، وإن العداوة التى بين اليهود والمسلمين ليست وليدة عهد جديد ، وإنما هي نتيجة عداء تاريخي قديم يرجع إلى آلاف السنين . وقد ذكرها الله فى كتابه حيث قال : ﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ وإن ما جاء فى هذه الآية الكريمة هو عماد سياستنا وسياسة المسلمين الدينية .

وأما الذى يهمنى بصورة خاصة فى هذه القضية زيادة عما يهم غيرى من المسلمين والعرب، فهو أنى من العرب وللعرب ، والمسلمون يعرفون دياتنى وتمسكى بأحكام الإسلام ، وما أقوله عنهم يقبلونه منى لحسن ظنهم بى ولما يعرفونه من صدق نيتى وتمسكى بعقيدتى » .

ثم قال : « اليهود أعداؤنا في كل مكان ، وهم في كل بقعة يأتون إليها يفسدون ويعملون ضد مصلحتنا ، وإني لعلى يقين — أولاً — من أن اليهود الصهيونيين لا يدخرون وسعاً في إحداث الاختلافات بين العرب وصديقتيهم بريطانيا وأميركا ، وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه — وثانياً — إن هجرة اليهود — إذا استمرت على ما هي عليه وتوسعت أملاكهم في فلسطين — فسيكونون خطرا على العرب كافة . لأن لديهم جميع الوسائل لإمدادهم بالأسلحة والنقود وغيرها ، وسيستعملون هذا ضد العرب ، وفيه — في نفس الوقت — إشكال على البريطانيين . والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين ، هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود ؟ هل رأت اليهود في ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم ، ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين وما هم عليه من الفقر والعوز ؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات وأملاك ؟ وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الأشقياء ؟ويعنون بذلك العرب ، إذا أرادت اللجنة أن تسأل عن أسباب ذلك فإني أخبرها بالأسباب التي أوصلت الفريقين إلى ما هم فيه » .

فرجا رئيس اللجنة من الملك أن يذكر الأسباب ، وما يراه لمعالجة الحالة في فلسطين .

فأجاب الملك عبد العزيز : الأسباب تتلخص في جملة واحدة ، هي أن العرب نهضوا للدفاع عن بلادهم والمطالبة بحقوقهم واستعادة ما سلب منهم » ثم شرح هذه الجملة بقوله :

« كيف يتسنى للعرب أن يباروا اليهود وهم ما بين مصلوب على أعواد المشانق وسجين وشريد ومغرّب ؟ كيف يتسنى لهم أن يتقدموا وهذه العقبات أمامهم ؟ بينما اليهود تتسهل لهم جميع الوسائل . وكلما تكلم العرب مطالبين بحقوقهم لم يجدوا من يعينهم على أمرهم أو يسمع شكواهم .

أما اليهود فإنهم — على مرأى ومسمع منكم أيها الإنكليز — يقتلون عساكركم وكبراءكم ، ويحاربونكم بشتى الأشكال ، وأنتم لا تجيبونهم إلا بإطلاق الرصاص في الهواء كأن لم يكن بينكم وبينهم حساب » .

وهنا علق رئيس اللجنة قائلا : إن الانكليز متساهلون كثيراً ، وهذا ما يجعل الناس يطمعون فيهم .

فرد الملك : « ليس الخبر كالعيان ، إن التساهل في بعض الأحوال يجعل الخطر أعظم والبلبلة أعم ، وأضرب لكم مثلاً بإنسان تُحلِّق فوق رأسه الطائرات ويده مغلولة وخالية من السلاح وإنسان آخر عنده سلاح ويده مطلقة ، فهل يتساوى الشخصان ؟ تلك هي حال العرب واليهود في فلسطين » .

وأيد الملك قوله بالأدلة التي تثبت العدوان المتكرر المتجدد الذي لا ينتهي من قبل اليهود ، وأنه لا حدّ لاعتداءاتهم ، وأشار من بين إشاراته إلى اغتيال اللورد موين .وأيده رئيس اللجنة وزميلاه وبخاصة في مقتل اللورد موين الذي وصفه الرئيس بقوله : إن موته خسارة فادحة على العالم ، لأنه كان صديق العالم كله ، وتابع الملك حديثه قائلاً :

« إنني منذ أن أوجدني الله وصرت أسعى لاستعادة ملك آبائي وأجدادي ما عرفت من الدول غير بريطانيا — وكانت صديقتي — ورأيت منها ما سرني ، ورأت مني ما سرها ، ولما نشبت الحرب أيدت سياستها وسياسة حلفائها وثوقاً مني بأن ذلك في مصلحتي ومصلحة العرب جميعاً .

« لهذا السبب كانت الحكومة البريطانية — ولا تزال — ترغب إليّ أن أسعى للتوفيق بينها وبين العرب منذ أيام الحرب وبعد انتهائها اتقاءً لحدوث المشاكل بينها وبينهم ، وكنت أعمل ما في وسعي مع إخواني العرب ، وأنصحهم بألا يجعلوا سبيلاً لحدوث اختلاف بينهم وبين بريطانيا ، لأن أعداء

الحلفاء هم أعداء العرب ، ويجب علينا الصبر والتروى ، وذلك لاعتقادى بأنه من مصلحة العرب .

« ولقد بلغ منى الأمر أن تكلمت أمام جمع من المسلمين فى مكة المكرمة ونصحتهم بأن يكونوا إلى جانب بريطانيا وحلفائها ، لأنها صديقتهم ، وتدافع فى حربها عن حقوقهم ومصالحهم ، وألا يدعوها فى حرج من أمرها .

« وتكلمت بهذا فى وقت كان يجب فيه عليّ أن أكتفي بالدعوة إلى كلمة الله ، والتمسك بكتابه وبشريعة نبيّه ، والناس جميعاً يعلمون أن برنامجى الذى تسير عليه حكومتى هو برنامج دينى خالص ، لا مطمع لى فى مال أو زيادة ملك ، أنا وحكومتى ندعو إلى عبادة الله ؛ والمسلمون عالمون بالأمن والسكينة والراحة فى مملكتنا ؛ وكل هذا من فضل الله ثم ببركة الدين .

« وعلى أثر ذلك تلقى علماؤنا كتباً من العلماء فى بلاد المسلمين تنتقد موقفى ، ففاتحونى فيما جاءهم ، وأبدوا لى أنهم لا يتعرضون للمسائل السياسية ، ولكنهم يعجبون من معاضدتى لبريطانيا فى الوقت الذى تؤوى فيه اليهود ، وتوليهم على فلسطين ، فأوضحت لهم الأخطار التى تستهدف لها أوطاننا إذا انتصر أعداء بريطانيا عليها ، فقالوا : هل تضمن أن بريطانيا — إذا انتصرت — لا تؤيد اليهود ولا تؤويهم فى بلادنا ؟ وأنها تعامل العرب فى فلسطين بالعدل ؟ فأجبتهم : إنى لا أضمن لكم أن تفعل بريطانيا هذا أو ذاك ؛ ولكن ما أعرفه عن بريطانيا ووعودها التى قطعتها على نفسها أنها — إذا لم يقم العرب بأعمال ضدها — ستعاملهم بالإنصاف .

« وأذكر لكم أمراً واقعاً ، وهو أن الوزير البريطانى المفوض بجدة زارنى بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة ؛ وقال لى : إن حكومتى ترى أن حركات اليهود الحاضرة ربما تكون من حظ العرب ، لأنه كلما ازدادت حركاتهم كلما انكشفت نياتهم ، ورجانى أن أبذل جهدى لدى العرب لالتزام الهدوء ،

وأقنعني بأن هذا هو خير لمصلحتهم ، فلم أدخر وسعاً في هذا السبيل إلى أن وصلنا للموقف الذي نحن فيه .

« لقد وقعت الآن في مشكل خطير أمام شعبي وجماعتي ، وأمام العرب والمسلمين . فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحق الواضح ، وأن تذهب وعودها أدراج الرياح فليس أمامي إلا أن أقول للمسلمين : دونكم ونفسي ، اقتلوني ، أو أنزلوني عن الملك ، لأني مستحق لذلك ، وأنا الذي جنيت عليكم وثبطت عزمكم .

« هذه هي حقيقة موقفي شرحتها لكم بوضوح .

« وتسألون عن رأيي في بقاء اليهود في فلسطين . وأنا أقول لكم : نحن ما تعدينا على اليهود ، ولم نأخذ أملاكهم وبلادهم ، وإنما أخذنا فلسطين من الرومان ، والعرب حكام فيها منذ ألف وثلاثمئة سنة وأكثر . لا نعرف اليهود ولا هم يعرفوننا ، والبلاد بلادنا بحق الفتح ، ونحن الذين فرحنا بنصر الحلفاء نحب أن نتمتع بلذة النصر ، فهل يراد أن يتمتع غيرنا ببلادنا نتيجة لهذا النصر ؟ اليهود قوتهم بالدينار ، ونحن حجتنا في فلسطين حجة شرعية : بلادنا أخذناها من الرومان بالسيف ، قاتلنا دونها وملكناها بعد أن سفكت دماؤنا فكيف يأتيها تاجر ويأخذها بالفلوس ؟ ليس هذا من الإنصاف في شيء .

« وفي كلمة أخرى أريد أن أقولها لكم . يزعم اليهود أن من المستحيل على العرب أن يحاربوا من أجل فلسطين ، وأنا أقول : إن الحرب لو كانت بين العرب واليهود لما تأخر العرب دقيقة واحدة عن خوضها ؛ ولكن دفاع بريطانيا عن اليهود يجعل الحرب بين العرب وبريطانيا ، والعرب لايحبون محاربة بريطانيا ، وأعتقد أن حكومة بريطانيا رشيدة عاقلة ، تدرك حقائق الأمور ، وتعلم أنه ليس من مصلحتها محاربة العرب أيضاً . كما أنه ليس من مصلحتها أن توجد أعداء من جميع المسلمين والمسيحيين يضمرون لها الشر في قلوبهم . والدنيا

ليست على حال واحدة ، فقد يأتي يوم تقوى فيه شوكة اليهود فيكونون أول من يحاربونها مع أعدائها كما يحاربونها اليوم .

لماذا تعمل بريطانيا — بمساعدتها للصهيونية — على تأليف مجموعة ضدها من كل مسلم يوحّد الله في الشرق والغرب ؟ ليس هذا من مصلحتها » .

وهنا قال رئيس اللجنة : إن بريطانيا دخلت حربين في ربع قرن لأجل السلام والحرية ، وبريطانيا يهمها كثيراً ألا تضيع صداقة العرب في الوقت الذي تدعو فيه إلى سلم عالمي ، فردّ عليه الملك قائلاً :

« نحن يهمنا وجود السلام العالمي ، ونريد أن نعيش في هذا العالم بسلام . بسلام ، ولكن ما دام اليهود يؤتى بهم لبلادنا ، وعددهم يزيد في فلسطين يوماً بعد يوم فمن المستحيل أن يستريح لنا بال أو يصلح لنا حال ، وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت — عندما اجتمعت به في العام الفائت — مطامع اليهود ومقاصدهم ، وأشار لي في أثناء حديثه إلى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها ، فأجبته : ما دام اليهود في بلادنا فلا نريد زراعة ، ونفضل الموت على الزراعة » .

« وأنا أسألكم عن رأيكم أنتم ، وأرضاكم حكماً ، هل ترضون بأن يتعدى أحد من العرب على امرأة إنكليزية أو أميركية وبيتها ؟ إن اليهود يأتون إلى بلاد العرب ويأخذون أملاكهم ويطردونهم ويؤذونهم . فأي عقل أو دين أو سياسة تحمل العرب على قبول مثل هذا ؟ » .

« أنا لا أريد أن أجرح عواطفكم ، والذي يحملني على هذا القول هو صداقتي لكم ، وإن من حق الصديق على صديقه أن يصارحه بالواقع .

هذا ما عندي ، وإن أردتم أن تستوضحوا عن شيء فأنا مستعد لإجابتكم .

وهذا كلامي الشخصي . وسنقدّم إليكم مذكرة خاصة توضح آرائي » .

وكانت لدى رئيس اللجنة أسئلة ، فلما انتهى ابن سعود من حديثه الجامع الشامل ألقى عليه سؤاله الأول وهو إذا كان في حديثه مع المستر تشرشل والرئيس روزفلت قد تطرق إلى هذه القضية ، فقال :

« تحدثت مع الرئيس روزفلت حديثاً طويلا في قضية فلسطين ، سُجلت بمحضر خاص ، وقد كان من الذين حضروا حديثي مع الرئيس روزفلت الوزير الاميركي المفوض في جدة [1] . وقد أطلعت المستر تشرشل على حديثي مع روزفلت ، وعلى الوعد الذي وعدني به ، فوعد المستر تشرشل بأن يقوم بالواجب من قبله في مساعدة العرب . وعدم الإجحاف بحقوقهم ، ولقد كان الرئيس روزفلت يسعى لإيجاد مكان لإيواء اليهود . وكان مقتنعاً بأن فلسطين لا تصلح أن تكون مأوى لهم . وأن في بلدان أوربا متسعاً لهم ، إذ تمكنهم الإقامة في الأماكن التي خلت بما أبيد من اليهود بسبب الحرب . ولقد كان عجيباً ما روي عن الرئيس ترومان إذ قيل : إنه طلب إيواء مئة ألف يهودي في فلسطين ، بينما لم يسمح بإيواء أكثر من تسعة وثلاثين ألف يهودي في الولايات المتحدة كما بلغنا » .

وألقى عليه رئيس اللجنة سؤاله الثاني قائلا : أيوافق جلالتكم على هجرة عدد من الأطفال والعجزة واليتامى اليهود الاوربيين إلى فلسطين على أن يكفلهم يهود فلسطين . فأجاب :

« العرب متفقون على رفض الهجرة ، والطفل اليوم سيكون رجلا بعد بضع سنوات ، فأنا لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال بالقبول »..

ثم استأذن رئيس اللجنة في سؤال قد يكون فيه بعض الإزعاج . فأبدى الملك

---

(١) الكولونيل ادي

سروره لسماع أي سؤال ، وأنه صريح ويحب الصراحة ، فأشار الرئيس إلى قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين إلى قسمين .

وقال رئيس اللجنة : أرجو أن يسمح لى جلالتكم بسؤال قد يكون فيه بعض الازعاج وهو : ما رأيكم فى قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين إلى قسمين فأجابه :

« أنا واحد من العرب ، ورأيي هو ما يجمع عليه العرب ، وقد أجمعوا على رفض التقسيم فأنا أرفضه لأني واحد منهم ، وليس لى رأي خاص يخالف ما أجمعوا عليه » .

وسأل رئيس اللجنة : أيمانع جلالتكم فى مواصلة الهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ يهودي فى الشهر ؟ فأجابه : « الموت خير لنا من الهجرة ! وكل جهادنا لنحول دون هجرة اليهود إلى فلسطين ، وامتلاك أراضيها » .

وسأل رئيس اللجنة : فى بدء حديثكم أشرتم إلى العداوة الدينية بين العرب واليهود ، فهل تستمر هذه العداوة بين العرب واليهود إذا امتنعت الهجرة ؟ فأجابه :

« إذا أرادت بريطانيا أن تحافظ على صلاتها الحسنة مع العرب فلتوقف الهجرة فى الحال ، ولتمنع بيع الأراضي ، لأن هذين الأمرين هما أساس المشكلات ومنبع الاضطرابات ، وتعقد مؤتمراً من رؤساء العرب والبريطانيين والأمريكيين يتفق على الطريقة التى تؤمن الراحة والطمأنينة فى فلسطين ، ويزال ما هنالك من خلاف ويحل السلام ، فإذا منعت الهجرة منعاً باتاً وأوقف بيع الأراضي أمكن الوصول إلى حل جميع المشاكل المعترضة » .

وانتهت أسئلة الرئيس ، وبدا لعضو اللجنة الميجر بانتجهام بولر أن يسأل

الملك : هل الحديث الذى دار بينكم وبين الرئيس روزفلت وأفضلتم بذكره هو كل ما دار بينكما ؟ فأجابه الملك : إنني طلبت من الرئيس روزفلت أن أتحدث معه كرجل مسلم عربي اسمه عبد العزيز يتكلم مع رجل هو رئيس الولايات المتحدة اسمه روزفلت ، فقبل الحديث معي بهذا الاعتبار ، فقلت له : لماذا تعين على هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكنهم من الاستيلاء عليها بغير حق ؟ فأجابني بصراحة وحزم : إنني لم آمر بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ولم أقم بأي ضغط من أجلها ، ولا يمكن أن أعمل أي عمل ضد العرب في فلسطين ، ولن أعمل في المستقبل ، وقد أكد لى حديثه هذا بصفته المستر روزفلت وبصفته رئيس الهيئة التنفيذية للولايات المتحدة » .

وبجواب ابن سعود الأخير انتهى الحديث ، وشكره رئيس اللجنة وعضواها على تزويده اياهم بمعلومات يفخرون بالحصول عليها لصدورها من أكبر رجل في العالم العربي .

وإذا كان الحديث الذى وصفه ابن سعود بأنه شخصي فقد بقيت المذكرة التى أشار اليها فى حديثه ، ووعدهم بتقديمها إليهم ، وهي توضح آراءه ، وقد بر بوعده ، وقدمت اليهم ، وهذا نصها :

« ١ — إن كل ما لديّ من معلومات وآراء في قضية فلسطين أبديته للحكومة البريطانية في مذكرات وأحاديث متعددة ، كما أبديته للحكومة الأميركية برسائل ثلاث بعثتها لصديقي الراحل العظيم المستر روزفلت وأوضحت له في اجتماعي به في مياه الإسماعيلية حقيقة ما عندي وما عند العرب والمسلمين في هذه القضية ، فما كان منها عندكم فأنتم مطلعون عليه ، وما ليس عندكم فهو موجود في ديواني يمكنكم الاطلاع عليه .

« ٢ — بشأن الموقف الحاضر في فلسطين قدمتُ لكم جامعة الدول العربية

الآراء التي تعبر عن رأي حكومتي وآراء سائر الحكومات العربية ، وقد أيد ذلك سائر مندوبي دول الجامعة .

« ٣ – إن الذي يدعو للحيرة في الموقف هو الاعتداء المجسم الصريح على حقوق العرب في بلادهم فلسطين ، تلك الحقوق الطبيعية التي جاءت بريطانيا ومن ورائها اليوم أميركا لتأييد العدوان الصهيوني عليها برغم كل الوعود الصريحة التي قطعت في شتى المناسبات .

« أ » : أنظروا تصريح الحكومة البريطانية في يونيو ١٩١٨ للسبعة من العرب في القاهرة الذي عرف بتصريح السبعة .

« ب » : والتصريح البريطاني الفرنسي الصادر بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٨ ففيهما الوعود القاطعة للعرب .

« ج » : وانظروا الفقرة الأخيرة من كتاب الرئيس روزفلت بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٤٥ حيث يقول لي : « وجلالتكم تذكرون أيضاً بدون شك أني أثناء محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أني لن أقوم بأي عمل بصفتي رئيساً للسلطة التنفيذية في هذه الحكومة يمكن أن تضر العرب » وهذه كلها صدرت بعد وعد بلفور ، فضلاً عن الوعود التي كانت للعرب قبله .

« ٤ – علمت أن الصهيونيين أطلعوكم على بعض المزارع والمصانع التي أوجدوها في فلسطين ليلفتوا أنظاركم إلى مقدار ما يمكن أن يخدموا به البلاد ، وبينوا لكم أنهم عمروا البلاد التي عجز العرب عن إعمارها .

« فهؤلاء الصهيونيون أخذوا تأييدا من بريطانيا وأميركا بشكل لم يسبق له مثيل إزاء أية أمة أخرى : فتحت لهم الحكومة البريطانية سائر الطرق حتى يتمكنوا من تطبيق برنامجهم : فجمعوا لذلك الأموال الطائلة من البلاد التي فيها ، واشتروا الأرض التي تساوي خمسة بخمسين : وأخذوا ينفقون عليها

بغير حساب من منابع خاصة لأغراضهم الخاصة . وهي احتلال فلسطين وإخراج أهلها منها . فشرّدوا العرب وطردوهم بقوة الحكومة ، إذ كل قرية يشترونها يُخرجون أهلها العرب ، ثم يمحون آثار القرية ويغيرون اسمها ومعالمها ، وبذلك شُغل الأهلون بفقرهم وبدفاعهم عن أنفسهم ، والنظر في حالتهم عن أيّ عمران .

« لقد ملأت الحكومة البريطانية السجون والمعتقلات بالعرب ، ونصبت لهم المشانق ، وبلغ بها من الشدة أن دلالة الكلاب على بيت من بيوت العرب كافية لإدانة العربي ، وكل ذلك وهم صامدون صابرون لنيل حقوقهم الطبيعية ، والصهيونيون يقومون بأعمال الإرهاب ، بل من الأعمال الحربية ضد القوات البريطانية ، ولم نسمع أن أحدا قد أعدم ، بل علمنا أن القوات البريطانية عندما توجه لها أعمال الاعتداء من الصهيونيين تقابلها بإطلاق الرصاص في الهواء ، والعرب ليسوا أقل من غيرهم في الأعمال الزراعية ، فقد مررتم بالقطر المصري ، ووجدتم تقدمه الزراعي ، كذلك في سورية والعراق ، وهذه بوادر التقدم في أراضينا الزراعية .

« أما أن يُغدق المال بغير حساب على الصهيونيين ، ويُغفر لهم جميع إجرامهم ، ثم يعامل العرب في فلسطين بأقسى أنواع المعاملات إلى الآن ، ويقال : إن الصهيونيين أهل تعمير والعرب متأخرون ، فهذا منطق معكوس ولا يقوله إلا من يريد إقامة حجة لإنفاذ الظلم .

« ٥ — وإذا كان منطق الأشياء يطبق على العموم ولا يكال الكيل بمكيالين والوزن بميزانين فالحق والإنصاف واضحان لذي عينين ، ترى رئيس الولايات المتحدة المستر ترومان يعلن — والكل يعلم ما هو تأثير المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة في هذا الصراع التاريخي — ويطلب دخول مئة ألف يهودي إلى فلسطين الضيقة باسم الإنسانية والرحمة على حساب العرب الضعفاء ، نقول : يطلب دخولهم إلى تلك البلاد التي سيكون الكل أربعة وأربعين نسمة

فيها ميل مربع واحد ، بينما نفس المستر ترومان في الوقت ذاته لا يقبل في بلاد أميركا الواسعة الغنية إلا بدخول تسعة وثلاثين ألف نسمة ، بحيث يكون للرجل النازح إليها خمسة وتسعون ميلاً مربعاً .

« إن القيام بعمل كهذا ، والمناداة به من طرف أنصار الحق والقائمين على الظلم والاعتساف لمن دواعي الأسف الشديد . وإنها لمغالطة أمام الحق والإنصاف نترك لضمير الإنسانية والتاريخ القول الفصل فيها .

« ولا يمكننا أن نسكت – ونحن في معرض القول – عن الأراضي الواسعة الخالية في هذه الكرة الأرضية مثل أستراليا ونيوزيلندا والأميركتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التي يمكنها أن تؤوى وتسع أضعاف أضعاف يهود العالم ، ولكن ، لكون مالكي هذه الأراضي أقوياء ويسندهم حق القوة لا يكلفون أن يؤوهم ولا يلامون – إذا كلفوا – على رفضهم لمثل هذا الطلب الإنساني .

٦ – أنا صديق لبريطانيا ، وصديق لأميركا ، وسياستي قائمة على تحسين سياستي مع هاتين الدولتين ، بل مع سائر دول العالم ، وقائمة على تحسين السياسة بين العرب وهاتين الدولتين أيضاً ، ولا أريد أن تضطرني الأيام بالرغم منا وبغير إرادتنا إلى أن نتعادى مع بريطانيا وأميركا لدفع هذا الضرر المميت لنا جميعاً .

« وأحب أن تكونوا على يقين بأنه إذا استمرت هذه السياسة في استمرار الهجرة وبيع الأراضي ومنع العرب من حقوقهم الطبيعية التي وعدوا بالمحافظة عليها فإن الحكومتين البريطانية والأميركية لا تستهدفان لنقمة العرب وحدهم بل إنهما ستستهدفان لنقمة كل من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله من عرب ، وعجم ، وهند ، وسند ، وصين ، وكل مسلم على وجه الكرة الأرضية في مشرق والأرض ومغربها وشمالها وجنوبها . وهذا لا مصلحة لأحد منه ، وفيه

الضرر كل الضرر على المسلمين والعرب وعلى بريطانيا وأميركا .

والصهيونيون لا تهمهم مصلحة بريطانيا ولا أميركا ولا العرب ، ولا يهمهم إلا مصلحة أنفسهم ، ولو تقوّى اليهود في هذا المكان الدقيق ، وصارت لهم دولة — لا سمح الله — فمن السهل عليهم أن يكونوا في جانب أية قوة تعادي بريطانيا واميركا ، لأن الذين يقاتلون البريطانيين الذين أحسنوا إليهم وآووهم ويقومون في وجوههم أيام الحرب من السهل أن يقوموا عليهم في أحرج من هذه الأوقات » .

* * *

وإذا كان الغدر بالعرب مبيتا فلا جدوى من استطلاع الرأي العربي ، وحق العرب واضح في فلسطين ، وغير مجهول من أولئك الذين يريدون أن ينتزعوه منهم لا يبالون الحق والعدل والإنصاف والسمعة : بل هم أصدروا الحكم على العرب ثم أخذوا يعملون على تلفيق الأدلة الزائفة لإثبات الحكم وصبغه بصبغة العدل ، فلجنة التحقيق البريطانية لم تكلف نفسها المجيء إلى ابن سعود من أجل العدل وإعادة الحق لأصحابه ، بل جاءت مؤملة أن يكون ابن سعود عوناً لها ، وأن يكون متساهلا ، وكانت تعتقد أنها تستطيع إقناعه بمنطقها الخالب الخداع ، وجهلت أن ابن سعود وضعه الله في مكان المواجهة ضد الظلم الحائق بفلسطين والعرب والمسلمين ومقدساتهم .

وأعتقد أن اللجنة قد ضربت في مأملها في مقتله ، فحق ابن سعود قد أزهق باطلها ، ومنطقه الصواب أذل منطقها ، فغادرته مخفقة ، لأنها لم تستطع خدعه أو استمالته ، بل قهرها منطقه الغلاب ، ولكن الشيء الذى كان مقررا أن يكون قد أوصت به ألا وهو التمكين للصهيونية في فلسطين العربية المسلمة ، والإجحاف الشنيع بحق العرب الثابت .

ولم يكن ابن سعود غافلا عما سيكون ، ولم يغب عنه أن توصيات اللجنة الامريكية البريطانية ستكون مجحفة أيما إجحاف بحق العرب ، وأن خاتمة « المسرحية » ستنتهي بفاجعة كبرى بالنسبة للعرب ، وسيضطرون الى ردها ما استطاعوا .

ولكن الشيء الذي يجب أن ندركه أن ابن سعود لم يكن بيده وحده مقاليد العمل من أجل إنقاذ فلسطين ، بل كان كأي أحد من حكام العرب ، ولو كان وحده لتغير مجرى تاريخ فلسطين ، وسيأتي ما يدل على أن ضياع فلسطين كان من عدم وجود القيادة في يد ابن سعود ، ومن عدم تمكينه من تنفيذ خطته في محاربة اليهود عندما أعلنت قيام دولة إسرائيل .

وتلقى ابن سعود من الحكومة الأمريكية مذكرة مصحوبة بتقرير اللجنة الامريكية البريطانية بشأن قضية فلسطين ، وبعد أن درسه كتب الى هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة كتابا هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض

٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٥

٢٤ مايو ١٩٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية

إلى صاحب الفخامة الرئيس هاري ترومان ، رئيس الولايات الاميركية المتحدة .

يا صاحب الفخامة

تلقت حكومتنا منذ أيام قليلة مذكرة من الحكومة الأميركية مرفقاً بها تقرير « اللجنة البريطانية ـ الأميركية » بشأن قضية فلسطين ، وقد أجابت حكومتنا باستلامها المذكرة ، وأبدت مطالعاتها بصورة عامة ، ووعدت بإعطاء الجواب المفصل خلال المدة المقترحة بعد الاجتماع الذي يعقد في مصر من ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية ، واجتماع مجلس جامعة الدول العربية ، وليس موضوع هذه المذكرة هو الذي قصدنا أن نتكلم عنه إلى فخامتكم ، وإنما قصدنا أن نوجه إليكم خطابنا هذا على أثر ما سمعناه عن تصريح وزير خارجيتكم بشأن القواعد السياسية التي ما زالت حكومتكم الموقرة تستلهمها في موضوع تقرير لجنة فلسطين .

نحب أن نؤكد لكم ـ يا صاحب الفخامة ـ أن البلاد العربية والإسلامية تعلق أكبر الآمال على الحكومة الأميركية بصفتها مشعل الحرية ، والمناضلة عن الحق والعدل في جميع أنحاء العالم من دون تفريق بين العناصر والألوان والمذاهب ، ونحن نعلم أن من بين الدوافع الرئيسية التي تحملها على مناصرة قضية الصهيونيين إنما هو الدافع الناشىء عن اعتقادها أنها تخدم قضية العدالة والحق والإنسانية .

ولكننا ـ يا صاحب الفخامة ـ نربأ بالحرية الأميركية بأن تعالج الظلم بارتكاب ظلم أفدح منه ، وأن تسعى لإغاثة شعب بائس على حساب بؤس شعب آخر ، وأن تطالب بحرية شعب مضطهد مشتت بينما أن ذلك يؤدي إلى استعباد شعب آخر واضطهاده .

إننا لا نخاطبكم باسم المصلحة أو العاطفة فحسب ، وإنما نخاطبكم بصفتنا أصدقاء نعمل معاً على ما فيه خير بلادنا وشعبينا خاصة والعالم عامة ، ونناشدكم باسم الإنصاف والعدل من حيث هما إنصاف وعدل .

إن قضية إيجاد ملجأ لضحايا الظلم النازي والفاشيستي لقضية إنسانية تحتمها مبادىء العدل والإنصاف والحرية ، ولكن فلسطين لا يمكن أن تحل قضية هؤلاء اليهود الذين انتهى الآن وقت اضطهادهم بزوال قوات الظلم والطغيان ، وقد أوضحت اللجنة المشتركة هذا الأمر في توصيتها الأولى ، والصهيونيون يتخذون أمر هؤلاء اللاجئين وسيلة لنوال أغراضهم السياسية في فلسطين ، وإننا نربأ بالحكومة التي يترأسها فخامتكم أن تكون مؤيدة لهذا العمل الذي ينظر إليه كل عربي بأنه ظلم فادح لا مثيل له في التاريخ .

وأصبح العرب يا صاحب الفخامة ينظرون إلى قضية فلسطين كأنها قضية حياة أو موت ، وهي إن لم تعالج بالحكمة وعلى أساس احترام حقوق العرب فإنها قد تجر إلى متاعب ومشكلات لا يعلم نتائجها إلا الله ، والمهم أن يطمئن العرب إلى أن الأسس التي أعلنتها الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ لن تتغير ، وأن العرب ليأملون أن يجدوا في فخامتكم وفي الحكومة الأميركية والشعب الأميركي نصراء لقضيتهم العادلة ، مدافعين عن حقوقهم الطبيعية وحرياتهم الأصيلة التي حاربت بلادكم مرتين من أجل نصرتها ، وإن ايجاد ملجأ لضحايا الاضطهاد والظلم أمر ضروري ، ولكنه يجب أن يكون منفصلا عن قضية الصهيونية السياسية وعن مطامعها ومبادئها العرقية المستمدة من التعاليم النازيـــة والفاشستية .

هذا هو الذي نرجوه ونؤمله من فخامتكم ، وهو الأمر الذي حملنا على الكتابة إليكم في هذا الوقت الذي تدرسون فيه الحلول المختلفة لقضيـــــة فلسطين .

وتفضلوا بقبول تحياتنا » .

(الختم الملكي)

عبد العزيز السعود

وأجاب الرئيس الأمريكي على كتاب ابن سعود بهذا الجواب :

البيت الأبيض : واشنطن

٨ يوليو ١٩٤٦ [١]

حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز بن سعود ، ملك المملكة العربية السعودية

يا صاحب الجلالة

إنه لمن دواعي سروري العظيم تسلم خطاب جلالتكم المؤرخ ٢٤ مايو ١٩٤٦ المحتوى على آرائكم الأولية عن تقرير اللجنة الإنكليزية الأميركية للبحث في موضوع فلسطين ، ذلك الخطاب الذي أحضره لي في نفس يوم وصوله إلى واشنطن صديقي العزيز الوزير لدى بلاط جلالتكم الكولونيل وليم إدي .

إني أود أن أؤكد لجلالتكم أنه سيكون مساعداً حقيقياً لي أن أستفيد من آراء جلالتكم السديدة في هذا الموضوع الصعب .

وإني لمغتبط جداً لعلاقات الصداقة الأكيدة التي توطدت بين حكومتينا وبين الأميركيين والعرب السعوديين على وجه العموم ، ومع أن الموضوعات التي هي موضوع البحث بيننا ليست خالية من الصعوبات إلا أنني على ثقة كبيرة من أن علاقاتنا هذه ستبقى على أساس من الصداقة المتينة في المستقبل .

ولقد سررت جداً من إدراك جلالتكم للأسباب الإنسانية التي أوجبت على هذه الحكومة التدخل في مشكلة فلسطين ، وإن المصالح الأميركية في هذا الموضوع يرجع عهدها إلى زمن طويل ، وقد أثارها وأوجب التعجيل بها حاجة

---

(١) يوافق ٨ شعبان ١٣٦٥ هـ

أولئك الضحايا للاضطهاد ، وبالنظر لإدراكي أهمية وجهة نظر العرب أجمعين وصلتهم بفلسطين فقد رحبت بفكرة زيارة لجنة فرعية للرياض من لجنة التحقيق الإنكليزية الأميركية .

إن تقرير اللجنة أوضح الإشكال في حالة فلسطين ، وإن توصياتها التي وضعت بعد دراسة وعناية طويلة أعتقد أنكم توافقون معي على أنها تتطلب عناية من الجميع .

وإني أعتقد مخلصاً أن السماح لمئة ألف يهودي بدخول فلسطين لن يُعدّ تعدياً على حقوق العرب وامتيازاتهم الآن في فلسطين ، ولا يؤدي إلى تبديل في الوضع الحالي ، وإني لمقتنع بأن فلسطين يمكنها أن تستوعب المئة ألف ساكن إضافي بأحوالها الاقتصادية الموجودة بها من دون أن يؤثر في بقية السكان الحاليين .

وإني قد عينت ثلاثة أعضاء من وزارتي لضمان النظر بدقة في هذا التقرير من ناحيتنا ، وإشعاري بما يرون فيه ، وسيتصلون في مباحثاتهم بالحكومة الإنكليزية .

وإني لأرجو أن توضح الحالة بطريق الاستشارة مع العرب واليهود ، وأن يبقى الاتصال وثيقاً بيننا وبين كل الجهات المهتمة بهذه الأمور .

مع أعز تمنياتي باستمرار صحة وسعادة جلالتكم ورخاء شعبكم لي الشرف أن أبقى صديقكم المخلص لكم » .

هاري . اس . ترومان

ورد ابن سعود على ترومان بالكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض

في ١٨ ذي القعدة ١٣٦٥

١٥ أكتوبر ١٩٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

إلى حضرة صاحب الفخامة مستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة

يا صاحب الفخامة

إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التي بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت ، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها ، والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة . ولذلك تجدونني فخامتكم ألحّ وأكرّر في كل كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية لكي أزيل ما يمكن أن يعكر هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم عن حقيقة الموقف في فلسطين ، والحق الطبيعي للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين . وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية ، اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس يخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتونها ليس لفلسطين وحدها ، بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن في بلادنا المقدسة .

ولقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين ، وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر في الوضع الحاضر خلافاً للتعهدات السابقة .

ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً إلى فخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأميركية في جدة من وزارة خارجيتها أن ينشر في جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦ وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقيد بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم بحلّها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية ووزراء خارجية الدول العربية ؛ وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث ، وأظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني أشك في صحة نسبته إليكم ؛ لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ من البيت الأبيض؛ وإني لعلى يقين من أن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لم يقترف ذنباً غير إيمانه بمبادىء العدل والإنصاف التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ؛ وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ؛ وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل .

ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت مساعدات لهذا العدوان الصهيوني ، ويقيني أن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل بأن يدعو للحق والعدل والإنصاف ؛ ويحارب من أجل ذلك ليقره في سائر أنحاء العالم ، ثم يمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة ؛ واقبلوا فائق تحياتي .

(التوقيع)

عبد العزيز آل سعود

وردترومان على ابن سعود بهذا الكتاب :

البيت الأبيض — واشنطن

٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ [١]

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

يا صاحب الجلالة

تسلمت الآن الكتاب الخاص بفلسطين الذى تفضلتم جلالتكم بإرساله إلىّ بواسطة المفوضية العربية السعودية بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٤٦ ؛ وقد اهتممت للآراء التى احتواها ذلك الكتاب ؛ وإنى أقدر حق التقدير الصراحة التى أعربتم عنها فى كتابكم ؛ وإن صراحتكم لتتفق تمام الاتفاق مع العلاقات الطيبة التى لها زمن طويل بين بلادينا ؛ وتتفق أيضاً مع الصداقة الشخصية التى بين جلالتكم وبين المرحوم سلفى ، تلك الصداقة التى آمل أن تبقى وتزداد قوة ؛ وإن العلاقات الطيبة بين بلدينا ، وموقف جلالتكم الودي ليشجعني على أن ألفت نظـر جلالتكم إلى بعض الاعتبارات التى حدت بحكومتى لاتخاذ الوجهة التى اتخذتها بالنسبة لفلسطين واليهود المشردين فى أوربا .

وإنى لمتأكد من أن جلالتكم ستوافقون على أن حالة بقايا ضحايا الاضطهاد النازي فى أوربا تخلق مسألة عويصة لا يمكن أن يتجاهلها أناس لديهم شيء من الإنسانية ؛ وهذه المسألة مسألة عالمية ؛ ويلوح لى أن علينا جميعا مسؤولية عامة لإيجاد حل يسمح لهؤلاء التعساء الذين يجب أن يتركوا أوربا لإيجاد وطن جديد حيث يستطيعون المعيشة فى سلام وطمأنينة ، وبين هؤلاء الذين بقوا على قيد

---

(١) يوافق ٢٨ ذى القعدة ١٣٦٥ .

الحياة مشتتين في أوربا يوجد عدد من اليهود الذين يرثى لحالهم ، فإنهم يمثلون بقايا ملايين قرر النازيون استئصالهم ، وكثير من هؤلاء الأشخاص يتطلعون إلى فلسطين ويعتبرونها جنة ، حيث يأملون أن يجدوا ملجأ بين أبناء ملتهم ، فيستأنفوا حياة هادئة نافعة ، ويساعدون على استثمار الوطن اليهودي القومي .

وإن الحكومة والأمة الأميركية قد أيدوا منذ البداية مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى التي كان من نتائجها تحرير مساحات واسعة في الشرق الأدنى ، ومن ضمنها فلسطين ، وتأسيس عدة حكومات مستقلة أصبحت اليوم أعضاء في منظمة الأمم المتحدة .

والولايات المتحدة التي بذلت دماءها ومواردها في سبيل كسب الحرب لا يمكن أن تخلي نفسها من المسؤولية تجاه بعض الولايات التي تحررت ، ولا مصير الأهالي الذين أصبحوا أحرارا في ذلك الوقت ، وقد رسمت لنفسها طريقا ما زالت تسلكه إلى الآن ، وهو أن هؤلاء الأهالي يجب أن يهيأوا لأن تكون لهم حكومة ذاتية ، وأن يؤسس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وإني لسعيد بأن أقول : إن أغلب الأهالي المحررين أصبحوا الآن مواطنين في ممالك مستقلة ، وعلى كل حال فإن الوطن القومي اليهودي لم يستكمل صفته بعد ، وإنه لطبيعي — بناءً على ذلك — أن حكومتي تؤيد في هذا الوقت إدخال عدد كبير من اليهود الذين ليس لهم مأوى في أوربا إلى فلسطين ، لا ليجدوا مأوى فيها فحسب ، بل ليساهموا بنشاطهم وذكائهم في بناء الوطن القومي اليهودي ، وتمشياً مع السياسة التقليدية لهذه الحكومة فإنني بدأت منذ أكثر من عام أتبادل الرسائل مع رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، محاولا أن أعمل على التعجيل بحل سريع لقضية اليهود الباقين في المعتقلات ، وذلك لنقل عدد كبير منهم إلى فلسطين ، وكان اعتقادي الذي ما زلت أتمسك به — والذي يشاركني فيه عدد كبير من أهالي هذه البلاد — ألا شيء يخفف من آلام هؤلاء اليهود أكثر

من التصريح العاجل بإدخال مئة ألف على الأقل إلى فلسطين ، ولم يكن من المستطاع الوصول إلى قرار بالنسبة لهذا الاقتراح ، ولكن حكومتي لا تزال تؤمل مواصلة السير على النهج الذي بينته لرئيس الوزراء ، وفي الوقت نفسه لا بد بالطبع من بذل جهود أخرى لفتح أبواب بلاد أخرى – بما فيها الولايات المتحدة – لهؤلاء التعساء الذين يواجهون الشتاء للسنة الثانية بدون مأوى منذ وقوف رحى القتال ، وأنا من جانبي قد أعلنت بأني مستعد لأن أطلب من الكونجرس – الذي لا بد من موافقته حسب قانوننا الدستوري – إصدار تشريع خاص يسمح لهذه البلاد بقبول عدد من هؤلاء الأشخاص زيادة عما يسمح به قانون الهجرة .

وزيادة على ذلك فإن حكومتي كانت مهتمة مع بعض الحكومات الأخرى لإمكان تأسيس مستعمرات في بلاد مختلفة خارج أوربا لهؤلاء المشردين المضطرين للهجرة من أوربا ، وبهذه المناسبة كان مما أثلج صدورنا أننا لاحظنا أن كثيرا من زعماء العرب أظهروا رغبة بلادهم بأن يساهموا في هذا المشروع الإنساني بقبول عدد معين من هؤلاء الأشخاص في بلادهم .

وإني أعتقد مخلصاً أنه من الممكن الوصول إلى حل مُرْضٍ لمسألة استيطان هؤلاء اللاجئين على النحو الذي ذكرته آنفاً .

وفيما يختص باحتمال استعمال اليهود القوة والعنف ضد جيرانهم العرب حسب ما جاء في كتابكم فإنه يمكنني أن أؤكد لكم أن هذه الحكومة تقف ضد كل اعتداء من أي نوع من استعمال الإرهاب لأسباب سياسية ، وفوق هذا يمكنني أن أضيف بأنني مقتنع أن زعماء اليهود المسؤولين لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين .

ولا يمكنني أن أتفق مع جلالتكم بأن تصريحي في ٤ اكتوبر غير متفق بأي حال مع تصريحي الذي نشر في ١٦ اغسطس ، وفي التصريح الأخير كان الأمل

أن نتيجة المحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانية وممثلي اليهود والعرب تؤدي إلى حل معتدل لمسألة فلسطين ، وتتخذ الخطوات مباشرة لتخفيف حالة اليهود في اوربا ، ومن المؤسف أن هذه الآمال لم تتحقق .

وإن المحادثات فيما بين الحكومة البريطانية والممثلين العرب قد أرجئت -- كما فهمت -- حتى ديسمبر من دون ايجاد حل لموضوع فلسطين ، ومن دون اتخاذ أية إجراءات لتلطيف حالة اليهود المشردين في أوربا .

وفي هذه الحالة يظهر أن من الواجب علي أن أقرر بقدر ما يمكن من الصراحة الاستعجال في الأمر وإبداء نظرياتي ؛ وكلاهما للتوجيه لإيجاد حل يتوصل إليه على أساس معقول مع رغبة طيبة في أمر الإجراءات الحالية التي لا بد من اتخاذها .

هذا هو ما أدليت به في بياني بتاريخ ٤ أكتوبر ، ولم أستطع أن أفهم لماذا يشعر جلالتكم بأن هذا البيان قد كان مخالفاً للوعود السابقة والبيانات التي أدلت بها هذه الحكومة ؟ .

وسيكون من المستحسن أن يُتذكر بأن هذه الحكومة -- عندما أوضحت موقفها في الماضي عن موضوع فلسطين -- قد أعطت تأكيداتها بأنها لن تقوم بأي عمل يبرهن على عداء للعرب ؛ كما أنه -- بحسب نظرها -- لن يكون هناك أي قرار فيما يتعلق بالحالة الأساسية لفلسطين من دون سابق استشارة مع العرب اليهود ، وإني لا أعتبر بأنه حتى لقبول عدد معلوم من اليهود المشردين في فلسطين أو أن بياناتي فيما يختص بحل موضوع فلسطين هما بأي حال يمثلان وعملا عدائياً للعرب ، لقد كان -- ولا يزال -- شعوري نحو العرب عندما أدليت بهذه البيانات شعور صداقة تامة .

وإني آسف لأي نوع من النزاع فيما بين العرب واليهود ، وإني لمقتنع بأن

كلا الشعبين — لو اقتربا لحل مشاكلهما بروح الوفاق والاعتدال — يمكنهما حل المشكلات بطريقة تكون لهما فيها الفائدة الدائمة .

وإني بالإضافة إلى ذلك لا أشعر بأن بياناتي تمثل — بأية طريقة كانت — إخفاق هذه الحكومة في الوقوف دون تأكيداتها ، إذ أنه — بحسب نظرها — سوف لا يتخذ أي قرار فيما يختص بالوضعية الأساسية في فلسطين من دون استشارة العرب واليهود .

ولا يغرب عن البال مقدار الأهمية العظمى التي لبلادكم وبلادي في حل المشاكل المتعددة التي أوضحتها فيما تقدم ، وإني انتهز هذه الفرصة لأعرب عن عظيم أملي في أن جلالتكم الذي يتمتع بشهرة ذائعة في العالم الغـــربي سيستعمل نفوذه ليساعد على إيجاد حل عادل دائم في المستقبل العاجل ، وإني مستعد لأن أبذل كل ما يمكن للمساعدة في الموضوع ، ويمكنني أن أؤكـــد لجلالتكم بأن حكومة الولايات المتحدة وشعبها سيكونان مهتمين لمصالــــــح العرب وسعادتهم ، مقدرين بذلك قيمة صداقتهم التاريخية .

وأنتهز الفرصة لأرفع لجلالتكم تحياتي الشخصية الحارة وأطيب تمنياتي لدوام صحتكم ولرفاه جلالتكم وسعادة شعبكم .

المخلص

هاري . اس . ترومان

ورد ابن سعود على ترومان بالكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض

في ٧ ذي القعدة ١٣٦٥

٢ نوفمبر ١٩٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة

يا صاحب الفخامة

لقد تلقيت بتقدير فائق رسالة فخامتكم التي بعثتموها إليّ بواسطة مفوضية الولايات المتحدة الأميركية بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ ، وإني أقدر صداقة فخامتكم وشعب الولايات المتحدة لي شخصياً ولبلادي ولسائر البلاد العربية .

وتقديراً للغيرة الإنسانية التي أظهرتموها فإنني لم أعترض على أية مساعدة إنسانية تسدونها فخامتكم أو تسديها الولايات المتحدة للمشردين من اليهود إذا كانت تلك المساعدة الإنسانية لا يراد منها القضاء على شعب آمن في موطنه ، ولكن اليهود الصهيونيين جعلوا من هذه الدعوة الإنسانية منفذاً لأغراضهم الخاصة في الاعتداء على فلسطين للتغلب فيها بأكثريتهم ، وصيرورتها يهودية ، ليؤسسوا لهم دولة فيها ، ويطردوا سكانها العرب ، ويجعلوا منها قاعدة للتعدي على البلدان العربية المجاورة ، وتنفيذ برنامجهم الجائر .

إن مبادىء الإنسانية ومبادىء الديموقراطية التي قامت عليها دعائم الحياة في الولايات المتحدة تتنافى مع إكراه شعب آمن في وطنه بإدخال عناصر أجنبية

عنه لتتغلب عليه وتخرجه من بلاده ، مستعملة في ذلك تضليل الرأي العالمي باسم الرحمة بالإنسانية ، ووضعوا من وراء ذلك الحديد والنار .

ولقد قامت الحرب العالمية الماضية ولم يكن في فلسطين من اليهود أكثر من خمسين ألف يهودي ، وقام العرب مع بريطانيا وحليفتها الولايات المتحدة وحلفائهما فقاتلوا في سبيل قضية الحلفاء انتصاراً لحقوقهم ، وانتصاراً للمبادىء التي أعلنها الرئيس ولسن ، ومن جملتها : تقرير المصير . فما كان من نتيجة ذلك إلا أن أعلنت الحكومة البريطانية وعد بلفور ، وأخذت تدخل اليهود إلى فلسطين بالقوة والجبروت خلافاً للمبادىء الديموقراطية ، وخلافاً لأي مبدأ إنساني . وقد قام العرب باحتجاجات وثورات للدفاع عن حقوقهم ، ولكنهم كانوا يجابهون بأقصى ما يمكن من الشدة والقسوة حتى أجبروا على غير ما يريدون .

ولما قامت الحرب العامة الأخيرة وتألبت القوات على بريطانيا من كل جهة ، وثبتت بريطانيا وحدها ، وأظهرت من الثبات والجلد ما حاز إعجاب العالم ، وأدى ثباتها إلى انتشال العالم من الخطر المحدق به . في تلك الأيام الحالكة المظلمة قام أعداؤها يبذلون الوعود للعرب بالقضاء على الصهيونية ، وكنت في ذلك الوقت أقدر حراجة الموقف حق قدرها ، فوقفت حينئذ بجانب بريطانيا ، ونصحت العرب أجمعين بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، وأكدت للعرب أن بريطانيا وحلفاءها لن يخالفوا المبادىء الإنسانية الديموقراطية التي دخلوا الحرب لنصرتها ، فقبل العرب نصائحي ، وساعدوا بريطانيا وحلفاءها بكل ما يستطيعون حتى خرج الحلفاء من الحرب ظافرين .

والآن ، يراد باسم الإنسانية أن تكره الأكثرية العربية في فلسطين على إدخال شعب بغيض لهم ليصبح أكثرية ، ويصبح الأكثرون الأقلين ، وأعتقد أن فخامتكم توافقون معي على أنه لا يوجد شعب في العالم يمكن أن يقبل بأن يدخل عليه في بلاده شعب أجنبي عنه حتى تكون له الأكثرية ، ويتحكم فيها

بما يشاء ، وهذه الولايات المتحدة لم تسمح حتى الآن بإدخال العدد المقترح إدخاله لفلسطين لكي يدخل بلاد الولايات المتحدة ، لأن ذلك يختلف مع نظمها الموضوعة لحمايتها وحماية مصالحها .

ذكرتم فخامتكم في كتابكم أنه يمكنكم أن تؤكدوا أن حكومة الولايات المتحدة تقف ضد كل اعتداء أو أيّ نوع من أسباب الإرهاب لأسباب سياسية إذا نفذ اقتراحكم بشأن اليهود ، وذكرتم أنكم مقتنعون بأن زعماء اليهود المسؤولين لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين ، وبهذه المناسبة أحب أن أذكر فخامتكم بأن الحكومة البريطانية هي التي أعطت وعد بلفور ، وهي التي نقلت المهاجرين اليهود إلى فلسطين تحت حماية حرابها ، وهي التي آوتهم وآوت زعماءهم ولا تزال توليهم من شفقتها ورحمتها بهم ؛ ورغم ذلك فإن الجيش البريطاني يكتوي بنار اليهود الصهيونية كل صباح ومساء ، ولم يتمكن هؤلاء الزعماء أن يمنعوا العدوان من أنفسهم عمن آواهم ونصرهم ، فإذا كان اليهود — وهم في حالتهم الحاضرة — لم تتمكن الحكومة البريطانية المحسنة إليهم من منع شرورهم وهي التي تملك من وسائل القوة ما لا يملكه العرب ، فكيف يستطيع العرب ان يأمنوا من اليهود في الحال والاستقبال ؟ أعتقد بأن فخامتكم توافقون معي — بعد استعراض هذا الموقف — على أن العرب الذين هم اليوم أكثرية في بلادهم لا يمكنهم أن يطمئنوا لدخول اليهود بينهم ، ولا يمكنهم أن يطمئنوا لمستقبل البلاد المجاورة لهم .

وذكرتم فخامتكم أنكم لا تستطيعون أن تفهموا لماذا شعرت بأن بيانكم الأخير كان مخالفاً للوعود السابقة والبيانات التي أدلت بها حكومة الولايات المتحدة ، وذكرتم فخامتكم أن التأكيدات التي بذلت لي بألا تقوم الولايات المتحدة بأي عمل يبرهن على أنه عداء للعرب ، وأنه لا يمكن أن يتخذ أيّ قرار يغير الحالة الأساسية لفلسطين بدون استشارة الفريقين .

وإني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون نقض عهد قطعتموه ، ولا

تريدون اعتداء على العرب ، ومن أجل ذلك أستميح فخامتكم أن أبدي بصراحة أن التغيير الأساسي لفلسطين يكون بأن تصبح الأكثرية العربية أقلية ، وهذا هو الركن الأساسي ، والمبادىء الديموقراطية تقضي بأنه متى وجدت أكثريــة في بلد فالحكومة تكون للأكثرية لا للأقلية . فإذا فقد العرب نسبتهم العددية الحاضرة فقدوا كل ميزات الحكم في بلادهم ، وأيّ تغيير أساسي أعظم من هــذا التغيير ؟ وهل يرضى شعب الولايات المتحدة أن يُدخل في بلاده عددا أجنبيا يتغلب عليه بأكثريته ؟ وهل يمكن ان يعتبر مثل هذا عملا إنسانيا ديموقراطيا ؟ .

وإني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون معاداة العرب ، بل تتمنون الخير لهم ، وأعتقد بأن شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يرضى بمخالفة المبــادىء الإنسانية والديموقراطية ، وقد أوضحت هذا لفخامتكم اعتماداً على الصراحة التي اعتدتها ، والتي أعتقد أن فخامتكم وشعب الولايات المتحدة يرغبان فيها ، وإني على استعداد لبذل كل ما من شأنه أن يزيل سوء التفاهم ، وأن يجلــو الحقائق ويوضحها لتأمين الحق والعدالة ولتوطيد الصداقة بيني وبين فخامتكم وبين شعب الولايات المتحدة .

وأحب أن تثقوا فخامتكم بأن رغبتي في الدفاع عن العرب ومصالحهم لا تقلّ عن رغبتي في الدفاع عن سمعة الولايات المتحدة في البلاد الإسلاميــة والعربية وفي العالم أجمع ، ولذلك تجدونني حريصاً كل الحرص على أن أواصل مساعيّ لإقناع فخامتكم وشعب الولايات المتحدة بالحقوق الإنسانية والديموقراطية التي تستهدفها الأمم المتحدة ويستهدفها فخامتكم وشعب الولايات المتحدة .

ولذلك أتوقع أن تعيدوا فخامتكم النظر في هذا الموقف لإيجاد حل عادل لهؤلاء المشردين يحفظ لهم حياتهم في البلاد الواسعة بدون اعتداء على شعب آمن مطمئن في بلاده .

وتقبلوا تحياتنا

(الختم الملكي)
عبد العزيز السعود

وهذا كان جواب ترومان لابن سعود :

البيت الأبيض — واشنطن

فى ١٣ يناير ١٩٤٧ [1]

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية — الرياض

يا صاحب الجلالة

آسف جداً لتأخير الإجابة على كتاب جلالتكم الخاص بفلسطين ، والمرسل إلى فى ٢ نوفمبر ١٩٤٦ بواسطة المفوضية العربية السعودية فى واشنطن ، وإن التأخير هو نتيجة لرغبتى فى أن تُدرس النقاط التى أبداها جلالتكم فى الكتاب بعناية تامة .

وإنى مقدر جداً لأسلوب الصراحة وللصراحة التى أبديتموها فى إجابتكم على رسالتى المؤرخة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ وإنى لمقتنع بأن هذه الإجابة هي من إلهام اهتمامكم ، لا برفاهية السكان العرب بفلسطين فحسب ، ولكنها رغبتكم الخاصة أيضاً فى تقوية أواصر الصداقة بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، وفى أن تتبع الولايات المتحدة فى موضوع فلسطين سياسة ترفع من سمعتها فى العالمين العربي والإسلامي .

أما من جهتى فإنى أحب أن أؤكد مرة ثانية رغبتى فى أن تستمر وتنمو قوية تلك الصداقة التى بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، والتى تقدرها هذه البلاد حق قدرها . وأملى الخالص هو أن يستمر نمو الصداقة

---

(١) يوافق ٢٠ صفر سنة ١٣٦٦ هـ .

والتعاون بين الولايات المتحدة والعالم العربي ، بل وكل العالم الإسلامي ؛ إذ أنه أصبح من المفهوم بصفة عامة بين الأميركيين والعرب والمسلمين بأنهم يكافحون من أجل هدف عامّ وهو عالم السلام والرفاه المشيد على مبادىء العدل والإنصاف.

ومما لا شك فيه أن مشكلة فلسطين هي أصعب مشكلة يواجهها العالم فى الوقت الحاضر ، وترغب الولايات المتحدة بأن تحل هذه المشكلة بالطريقة التى يتحقق لدى العالم منها أنها عادلة ومنصفة ، وكما قد ذكرت لكم فى رسالتى بتاريخ ٢٥ أكتوبر أن الولايات المتحدة والقوات الأخرى الظافرة فى الحرب العالمية الأولى قد تحملت مسؤولية معينة بشأن مستقبل فلسطين ؛ وقد أخذت موقفها بعد انتهاء تلك الحرب بأنه يجب أن تكون فلسطين موضعا للوطن القومي اليهودي ، وقد كان فى هذه البلاد شعور قوي بأن الشعب اليهودي الذى قدم للعالم خدمات شهيرة له الحق فى وطن قومي خاص ، ولقد ظهر أنه من المناسب أن يكون تأسيس هذا الوطن القومي فى أرض كانت فى نظر اليهود وطنهم الروحي منذ آلاف السنين .

ولتأييد إنشاء وطن قومي يهودي فى فلسطين لم يكن لدى الولايات المتحدة فى الماضي – وليس لها الآن – فكرة فى مباشرة سياسة ستكون مجحفة بمصالح السكان الوطنيين بفلسطين ، وترغب حكومة وشعب هذه البلاد الصيانة التامة لحقوق العرب واليهود من سكان فلسطين ؛ وأن يحيا العرب واليهود فى فلسطين حياة يسر مجردة من أي نوع من العسف السياسي أو الاقتصادي .

وإننا سنعارض بشدة أيّ حل لمشكلة فلسطين يسمح بتمييز لأغلبية السكان ضد الأقلية من الوجهة الدينية والجنسية أو أي بواعث أخرى ، واعتقادنا بأن تحل هذه المشكلة بطريقة تعطى الجماعات المختلفة فى الجنسية والدين الفرص والحريات المماثلة بصرف النظر عن أن يكون لأية جماعة أغلبية عددية فى أيّ وقت كان .

زد على ذلك أني مقتنع بأن الجماعات اليهودية ورؤساءها المهتمين بإنشاء

الوطن القومي اليهودي في فلسطين ليس لهم مأرب لا في الوقت الحاضر ولا فيما بعد في إقصاء السكان الوطنيين بتلك البلاد أو في استعمال فلسطين كقاعدة للعدوان ضد الحكومات العربية المجاورة ، ولا يوجد هناك شعب تألم خـــلال السنوات القريبة من العدوان وعدم التسامح أكثر من اليهود ، ولا يوجد شعب يقف وهو في حاجة إلى عطف العالم وتأييده في الوقت الحاضر أكثر من اليهود .

ولذا فإن ما لا يدركه العقل أن تفكر الجماعات اليهودية ورؤساؤهـــا المسؤولون في العمل على عدم التسامح ؛ والعدوان ضد العرب في فلسطين أو في أي مكان آخر ، إذ أن من المؤكد أن مثل هذا العمل سيثير الرأي العام ويستفز سخط العالم ، كما أني مقتنع أيضاً بأن الأعمال الإرهابية التي تقوم بها في فلسطين بعض الجماعات اليهودية غير المسؤولة لا تدل قطعاً على مزاج اليهود بوجه عام في العالم كله ؛ أو هي رمز للتلهف اليهودي فيما يختص بفلسطين ؛ وفي الواقع أن القسم الأعظم من اليهود الذين يقدرون بأن الالتجاء إلى الارهاب يضفي على مشكلة فلسطين من الصعوبات ما يحول دون حلها غير راضين عنه .

وإني أنتهز هذه المناسبة – مرة ثانية – لأوضح لكم بأني لا أعتبر تلك البيانات المتعددة التي صرحت بها – بما فيها البيانات التي حرصت فيها على أن يسمح على الأقل لـ ١٠٠٠٠٠ من اليهود اللاجئين من أوربا بالدخول إلى فلسطين مناقضة للبيانات أو التأكيدات السابقة التي قطعتها حكومة الولايات المتحدة على نفسها ، ولقد أوضحت هذه الحكومة مراراً بأن وجهة نظرها هي أنه لن يكون هنالك تغيير في الوضع الأساسي بفلسطين من دون استشارة العرب واليهـــود كليهما ، ولقد حدث فعلا السنة الماضية إجراء عدة مشاورات مع العرب واليهود ، ولكن لسوء الحظ لم تفض هذه المشاورات إلى حل متفق عليه للمشكلة الفلسطينية ، وإنما أكدت ضرورة الإسراع في معالجة هذه المشكلة ولزوم إيجاد حل لها من دون تأخير أطول مما سبق .

وإني واثق من أن جلالتكم توافقون معي على أنه إلى أن يتوصل إلى قرارات

بشأن مستقبل فلسطين فإن الالتباسات (عدم التثبت) التى هي فى الوقت الحاضر – على الأقل – مسؤولة إلى حد ما عن الأحوال غير المستتبة فى تلك البلاد ستستمر فى بث تأثير مزعج فى فلسطين والمناطق المجاورة .

وإنى أحب أن أكرر تقديرى للصراحة التى أبديتموها فى كتابكم المؤرخ فى ٢ نوفمبر ١٩٤٦ تلك الصراحة التى تدل دلالة واضحة لا على صداقتكم فحسب ؛ بل وصداقة الشعب العربي السعودي مع الولايات المتحدة ، ويمكننى أن أؤكد لكم بأن شعب الولايات المتحدة يرغب فى أن يحافظ ويسعى لتقوية شعورنا بالصداقة نحو جلالتكم والشعب العربي السعودي وحكام البلاد العربية وشعوبها جمعاء .

المخلص لكم

هارى . اس . ترومان

• • •

وأخذت الحوادث تتطور فى فلسطين ،واجتمعت كلمة الصهيونية والرأسمالية والشيوعية على قيام دولة إسرائيل ، وأعدت العدة لذلك ارتقابا لليوم المرتقب الذي ينشب فيه القتال بين العرب واليهود .

وصمم ابن سعود أن يخوض المعركة بنفسه ، ويتولى قيادة جيشه ، وأن يكون فى طليعة قواته كما كان يفعل فى حروبه .

وجيش البدو في مملكة ابن سعود يعد بمئات الألوف ، ولا يكلف جمعه واعداده وتهيئته زمنا طويلا ، فيكفى أن يرسل رسلا وكتبا إلى شيوخ القبائل فيجتمع المقاتلون فى أقرب وقت وأقصره .

وأصدر ابن سعود أمره على أولئك الشيوخ بتجنيد المقاتلين الراغبين فى

الجهاد . وجعل « الجوف » مكانا لاجتماع الجيوش السعودية من كل المملكة ، وفي خلال بضعة أسابيع اجتمع في الجوف عشرات الألوف من القادرين الشجعان المتلهفين إلى قتال اليهود .

وبينا المتطوعون يفدون إلى الجوف كانت الادارة البريطانية بفلسطين تتهيأ لمغادرتها ، وترك اليهود والعرب يحلون مشاكلهم بأنفسهم ، وقرر ملوك العرب ورؤساؤهم خوض غمار الحرب ، وأخذت كل حكومة من الحكومات العربية تستعد ليوم المعركة في فلسطين .

أما ابن سعود فقد استطاع بكلمة منه أن يحشد في الجوف أكثر من مئتي الف مقاتل يريدون الموت في فلسطين وصمموا على أن يموتوا ، وأعدت العدة لسفرهم .

وقبيل نشوب القتال بين العرب واليهود طلب السفير البريطاني بجدة مقابلة القائم بشؤون وزارة الخارجية السعودية (وكان حينئذ الاستاذ خير الدين الزركلي) وقابله بعد الثلث الأول من الليل ، فأبلغه السفير البريطاني أنه تلقى رسالة شفوية من المملكة الاردنية الهاشمية تتضمن أنها أخذت علما بنبأ الحشود المتجمعة على الحدود الأردنية ، فاذا كان القصد من زحفها إلى فلسطين عن طريق بلاده فسوف يترك قتال اليهود وينثني إلى تلك القوات (السعودية) لمقاتلتها .

وتشبت الحرب بين اليهود والعرب في شهر مايو (أيار) ١٩٤٨ (رجب ١٣٦٧ هـ) ولم يستطع ابن سعود أن يقود جيشه الذي أعده لدخول فلسطين ، لأن بين البلاد السعودية وفلسطين تقع المملكة الأردنية الهاشمية التي هددت بالحرب ضد تلك القوات ، واكتفى بارسال قوة نظامية لا تعدو بضعة آلاف عن طريق مصر .

وانهزم العرب وانتصرت اسرائيل ، وذهبت فلسطين شذر مذر ، وقضى

الفهرس

مطبعة الحرية - بيروت
تلفون : ٣٢٠٤٤٠